مفهوم الخلاص في الديانة اليهودية

وأثره في الواقع اليهودي والحوار الإسلامي - اليهودي

تأليف
الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
أسسها محمد علي بيضون
سنة 1971 بيروت - لبنان

هذا الكتاب

يأتي هذا الكتاب "**مفهوم الخلاص في الديانة اليهودية وأثره في الواقع اليهودي والحوار الإسلامي – اليهودي**" في إطار الاعتناء بالحوار بين الديانات الثلاثة الذي يمكن من خلاله ربط جسور معرفية بين مفهوم تلك الديانات. الخلاص باعتباره النتيجة التي يقود بها الدين أتباعه من المتدينين من أوحال الخطيئة – المعصية – الإثم، إلى سعادة النجاة، ودخول الجنة بعد انتهاء الحياة، والفوز بذلك برضوان الله تعالى.

وقد رسم البحث على الشكل التالي:

المقدمة: يستعرض فيها المؤلف المفهوم اللغوي لـ: الخلاص، المخلص، الخطيئة، المشيحانية وأثره في المفهوم العقدي.

الفصل الأول: مفهوم مجمل للخلاص في الديانة اليهودية.

الفصل الثاني: إشكالات متعلقة بمفهوم "الخلاص" اليهودي.

الفصل الثالث: أثر مفهوم الخلاص اليهودي في تكوُّن الطوائف اليهودية.

الفصل الرابع: "نهاية التاريخ" و"المخلص" عند اليهود.

الفصل الخامس: ويعتبر هذا الفصل كالمقصد لهذه الدراسة، لدراسة مقارنة لمفهوم "الخلاص" في اليهودية والنصرانية والإسلام، محللاً أوجه التشابه والاختلاف ومستنبطاً إمكانية جعل "مفهوم الخلاص" سبباً للتقارب بين هذه الأديان، وأرضية للحوار والفهم المتبادل.

الخاتمة: في دور مفهوم الخلاص في الحوار والتقريب بين الأديان.

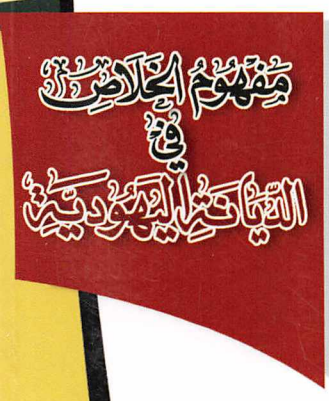

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

هاتف 12 / 11/ 804810 5 961+
فاكس 804813 5 961+
ص.ب 9424 - 11 بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت 2290 1107
info@al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
www.al-ilmiyah.com

دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

ISBN 978-2-7451-7778-0

Designed & Printed By: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

مفهوم الخلاص في الديانة اليهودية

وأثره في الواقع اليهودي والحوار الإسلامي - اليهودي

تأليف
الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

الكتاب : مفهوم الخلاص
في الديانة اليهودية

Title : MAFHŪM AL-ḪALĀṢ
FI AD-DIYĀNA AL-YAHŪDIYYA

THE CONCEPT OF
SALVATION IN JUDAISM

التصنيف : دراسات دينية
Classification: Religious studies

المؤلف : الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني
Author : Dr. Muhammed Hamza ben Ali Al-Kittani

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت
Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages	192	عدد الصفحات
Size	17 x 24 cm	قياس الصفحات
Year	2012 A.D. -1434 H.	سنة الطباعة
Printed In : Lebanon		بلد الطباعة : لبنان
Edition : 1st		الطبعة : الأولى

جميع الحقوق محفوظة
2012 A.D. -1434 H.

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon.
Riyad al-Solh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN 978-2-7451-7778-8
9 782745 177780

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

تمهيد

الحمد لله الذي اصطفى لنا الدين دينا قيما، موحِّدا له تعالى وموحَّدا فيه وملهما، وجعلنا من أمة إبراهيم الحنيفية السمحة المعطاء، التي هي أصل الأمم ومنبعها دون امتراء، وأرسل لنا نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم مصدقا لما بين يديه من "التوراة" و"الزبور" و"الإنجيل"، وموقرا لمن مضى من الأنبياء والرسل أهل الهداية والتنزيل.

اللهم صل وسلم وبارك عليه بقدر ما امتن به علينا من الهداية والإرشاد، وعصمنا به من الغواية والفساد، وحض عليه من عدم الإكراه في الدين، وأمر به من الدعوة المخلصة لشرع الله تعالى ودينه المتين، فكانت أمته آخر الأمم ظهورا، وأولها خلقا ونشورا؛ إذ هو نبي الأنبياء كافة، والمرسل إليه بخاصة وعامة. وعلى آله الأطهار، وصحابته الأبرار.

أما بعد؛ فقد حض الله تعالى في القرآن الكريم، ورسوله صلى الله عليه وسلم في السنة الطاهرة البلجاء على مجادلة من لم يتدين بدين الإسلام، من سائر الملل الظاهرة والباطنة، وأكد في ذلك على من كان لهم كتاب سابق من الله تعالى؛ كاليهودية والنصرانية، فقد ملئ الكتاب حوارا معهم، وجدالا لهم، وتذكيرا بعهودهم؛ إذ نبي الرحمة لم يناسب دعوته سوى الرحمة بالناس، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾. [الأنبياء: 107].

فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي

الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾. [النحل: 120 - 125].

وقال تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. [العنكبوت: 46].

ودعوتنا وحوارنا للآخر ليست دعوة عشوائية، ولا أسلوبا فضفاضا يراد به الاستهلاك الوقتي والمادي والزماني، ولا مؤامرة سياسية يراد منها الربح الدنيوي والغلبة المادية. ولكنها خطة لإحياء الديانات السابقة من حيث أصولها الحقيقية التي لم يلغها ما يلازم تقادم الزمان من التحريف والتشويش والتغيير والتبديل، وتتميمها بالتعريف بخاتمة الأديان ومتممتها، وناسختها؛ وهي: الأمة المحمدية، أمة الإسلام. فالحوار بيننا وبين الآخر هو تصديق لما بين يديه من الكتاب من جهة، ودعوة إلى اتباع هدي النبي الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الذي بشرت به "التوراة" و"الإنجيل"، أو ما يسمى "العهد القديم" و"العهد الجديد".

فقد جاء في سفر "أشعيا" في الإصحاح الثاني والأربعين ما نصُّه: "لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيدار؛ لتترنَّم سكان سالع، من رءوس الجبال ليهتفوا؛ ليعطوا الرب مجدًا، ويُخبروا بتسبيحه في الجزائر".

وعندما سقطت بابل في يَدِ مَلِكِ الفرس عام (538 ق. م)، سُمح لليهود بالعودة إلى فلسطين - بعد أن أسرهم الزعيم الكلداني الشهير بُخْتُنَصَّر - كما سُمِحَ لهم بإعادة بناء القدس و"الهيكل"، وعندما وُضعت الأساسات لبناء المعبد الجديد؛ ارتفعت صيحات الفرح بين اليهود، وفي أثناء هذه المناسبة بعث الله النبي حجّي عليه السلام، الذي قال لهم في هذه المناسبة: "وسوف أُزلزل كل الأمم، وسوف يأتي (حِمْده) لكل الأمم، وسوف أملأ هذا البيت بالمجد، كذلك قال رب الجنود،

لي الفضة ولي الذهب، هكذا قال رب الجنود، وإن مجد ذلك البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول، هكذا قال رب الجنود، وفي هذا المكان أُعْطِي (شالوم)، هكذا قال رب الجنود". سفر "حجي" (2/7 - 9).

ومن جهة أخرى؛ فإنه ما من شك أن الحضارات في العالم والدول والممالك إنما تنبني على عقائد وديانات، سواء بمفهوم الدين Religion، بما يتضمنه من الشريعة Legislation، أو بمفهوم المبدأ العقدي المبني على رؤية عالمية مصيرية أو أممية، وهو ما يصطلح عليه بالإديولوجيا Idiology، فيعود الصراع العالمي إلى صراع في الأفكار والمبادئ، من هنا تجلت أهمية الحوار كمنهج سوي في السلم العالمي، يجنب الحضارات سفك الدماء، ويساهم في تقريب المسافات البعيدة التي يسهل تقريبها عندما تصفو القلوب، وتتغلب الروح على الجسد.

وإن من أكبر الصراع الموجود هذا الزمان؛ هو: الصراع الإسلامي - اليهودي، وهو صراع تجلى بقوة عند غزو اللفائف اليهودية أرض فلسطين، وتأسيس "دولة إسرائيل" سنة 1368هـ/ 1948م، ذلك الغزو الذي كان عن مبدأ ديني قومي؛ وهو: الرجوع إلى أرض الميعاد التي يؤمن اليهود أن الله وعدهم بها في "التوراة" آخر الزمان، وبناء "الهيكل" على أنقاض هيكل سليمان، وهو البناء الذي لا يتم حجهم الديني ولا تستقيم عباداتهم بغيره، وتؤمن بمبدأ "شعب الله المختار"؛ أي: بني إسرائيل كعرق مقدس اصطفاه الله على العالمين.

وقد تبنت هذا المشروع "الحركة الصهيونية اليهودية" في القرن التاسع عشر الميلادي، مدعومة سياسيا وعسكريا من قوى "الحركة الصهيونية المسيحية" في أوروبا وأمريكا. وهو الصراع الذي امتد ليشمل العالم الإسلامي كله، ويتسبب في حروب اقتصادية وثقافية وعسكرية في سائر العالم الإسلامي ذهب ضحيتها الملايين من البرآء، ليس من المسلمين فحسب، ولكن من اليهود أنفسهم، والنصارى وغيرهم.

وقد كان المسلمون واليهود في منأى عن هذه الصراعات بهذا الأسلوب

المتوتر والرقعة الواسعة في العالم، ذلك للقواسم المشتركة الكثيرة التي كانت ومازالت تجمعهم، سواء القواسم الدينية، والقواسم الثقافية، وقواسم العرق المشترك، وقواسم الأرض المشتركة.

ولذلك قال الحاخام جاكي الصباغ[1]: "لسنا نفشي سرا إذا قلنا بأن التلاقح الثقافي والحضاري الذي جمع الحضارة العربية الإسلامية والحضارة العبرية اليهودية كان على جانب كبير من الضخامة والأهمية، بحيث إن مظاهر هذا التثاقف ومعالم ذلك التأثير والتأثر بين الثقافتين تبدو للباحثين المشتغلين بالموضوع، خصوصا في العالم الغربي، مثيرة للانتباه والدهشة، وبالقياس إلى درجة التشابه الكبيرة التي تجمع المكونات التراثية للثقافتين".

"فالأمر لا يتعلق بثقافتين تنطقان بأكثر من تسعين في المائة من تراكيبهما اللغوية بلسان مشترك يخضع لنفس القواعد تقريبا، ولست على ما أذكر أعلم بوجود لغة تشبه اللغة العبرية أكثر من اللغة العربية، ولا توجد فلسفة ولا علم كلام ولا شعر أقرب إلينا من فلاسفة الإسلام الكبار وعلماء كلامه وشعرائه الذين نالوا احترام وتقدير العالم في القرون الوسطى، ومازالوا يثيرون التقدير والاحترام".

"أما الفنون والموسيقى والمقامات والموشحات؛ فحدث ولا حرج عن بصمات العرب المسلمين في تاريخ فنوننا وموسيقانا ومقاماتنا وموشحاتنا التي ماتزال تطرب كل من يستمع إليها، وتحمله بحنينها إلى زمان الوصل بالأندلس، ذلك الزمن الجميل الذي عشنا فيه سويا عربا ويهودا في أمن وسلام..."[2].

ويقول المفكر اليهودي حاييم الزعفراني[3]: "لقد استطاع التراث اليهودي أن

---

(1) الكاتب العام لحاخام المغرب الأكبر.

(2) "مقدمة لدراسة الفكر العبري الوسيط" تأليف أحمد الجداد، تقديم: الحاخام جاكي الصباغ، طبع بمطبعة Safi Graphe بمدينة آسفي بالمغرب عام 2010، ص1.

(3) مفكر يهودي مغربي، له عدة مؤلفات؛ منها: "ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب"، و"يهود الأندلس والمغرب"، وغير ذلك من الدراسات، وقد اعتنى بتاريخ يهود المغرب والأندلس وعاداتهم وثقافاتهم. انظر: مقدمة كتابه: "يهود الأندلس والمغرب" ترجمة وتقديم الدكتور أحمد شحلان، منشورات "مرسم الرباط" - الرباط، الطبعة الأولى عام 2000م.

يمنح من الحضارة العربية الإسلامية المتوهجة دون التفريط في هويته، وذلك بشكل سلس وأسهل مما حدث مع المجتمع الهيلينيستي بالإسكندرية، أو حتى في العالم الحديث!...ولا أعتقد أن التراث اليهودي قد حدث له أن عاش حالة من التناغم والتلاقح مثل ما عاشه مع الحضارة العربية الإسلامية في العصر الوسيط"[1].

بل يرى الأستاذ عباس العقاد أن اليهود: "كادوا أن ينحصروا في بلاد الدولة العربية الإسلامية من صدر الإسلام إلى القرن الثالث للهجرة، وكادت بحوثهم الفقهية في ديانتهم أن تكون اقتباسا من بحوث علماء الكلام المسلمين، وكادت اللغة العربية أن تكون معتمدهم الوحيد في الثقافة العليا والثقافة العامة، حتى كانوا يكتبون العربية أحيانا بحروف عبرية!"[2].

ويذكر المؤرخون أن عدنان بن أد - جد النبي صلى الله عليه وسلم - جيَّش العرب لقتال بختنصر لما حاول إفناء بني إسرائيل، وأوحى الله إلى النبيين إرميا وبرخيا عليهما السلام أن يلوذا به وبابنه النبي معد بن عدنان عليه السلام، فاستقدم عدنان وابنه معد إلى أرض العرب جمهورا من بني إسرائيل معهم الأنبياء، وربما هم المدفونون في مسجد الخيف بمنى[3]. من هنا يمكن أن نرسم الجذور المشتركة - تاريخيا - بين المسلمين واليهود، مع عدم إغفال أخوة إسماعيل لإسحاق، وأن كليهما ابن لإبراهيم عليهم السلام.

فقد جاء الإسلام مصدقا لما بين يديه من "التوراة"، ومقدرا لموسى بن عمران عليه السلام وأنبياء بني إسرائيل عامة، وباستثناء أوقات صعبة مرت بها العلاقة بين المسلمين واليهود، كانت - في الجملة - ذات أسباب سياسية لا عقدية،

---

(1) "مقدمة لدراسة الفكر العبري الوسيط" المقدمة، ص1.

(2) "أبو الأنبياء" ص41، ضمن "المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ عباس محمود العقاد" ج11، منشورات دار الكتاب اللبناني - بيروت الطبعة الأولى سنة 1978م.

(3) "تاريخ الأمم والملوك" تأليف الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، نشر بدار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الأولى سنة 1407هـ (1/ 397) . وقد روى الإمام أبو جعفر سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني في "المعجم الكبير" (13343) بسنده إلى عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "في مسجد الخيف قبر سبعين نبيا".

وكانت بين طرفين لا بين دينين، كما هو شأن كافة العلاقات الاجتماعية في الدنيا، باستثناء ذلك فقد عاش أتباع الديانتين في نوع من التلاقح الفكري والثقافي، بل عاش اليهود في إطار الحضارة الإسلامية في أمن وسلام لم يدركوه قط منذ أن هجَّرهم الملك البابلي بختنصر (نبوخذ نصر) من فلسطين نحو عام 586 ق.م.

فقد ازدهت الحضارة اليهودية في مختلف البلاد التي عاشت فيها جماعاتهم، وسهل التواصل بين أرباب تلك الجماعات في جميع الأراضي التي شملتها الدولة الإسلامية، وظهر فيهم أعلام كبار كان لهم احترام بين قومهم وبين المسلمين أنفسهم، وتركوا بصمات مهمة في الفكر والدين اليهودي؛ أمثال: إسحاق الفاسي اليهودي الذي خلف موسى بن عزرا في منصب "حبر غرناطة" في بداية القرن السادس الهجري، ولعب دورا أساسيا في التكوين الديني ليهود الأندلس. والذي يعد حجة في الدراسات التلمودية، وقد استغرق شرحه للتلمود خمسين سنة كاملة. وبعد هجرته من قلعة بني حماد استقر في فاس، ثم انتقل إلى مدينة أليسانة، حيث أسس مدرسة أصبحت من أهم مراكز الدراسات التلمودية، وخلف عدة تلاميذ. وأبراهام بن عزرا الذي شرح "القوانين التلمودية" في 24 مجلدا، إلى جانب نبوغه في مجال الشعر.

وفي مجال الفلسفة بزغ العديد من اليهود؛ ومنهم: يهودا بن صمويل هاليفي المعروف في المصادر العربية بأبي الحسن. وقد ألف كتابا هاما عبّر فيه عن آرائه الفلسفية دون معارضة أي سلطة إسلامية، فضلا عن أبي عمر يوسف بن الصديق الذي صنف مؤلفا في الفلسفة هدف من ورائه إلى تعريف معاصريه بالحقائق الكبرى للأخلاق. ويبدو أن الفلاسفة اليهود تأثروا بالفلسفة العربية، وهذا في حد ذاته دليل على التفاعل بين مسلمي الأندلس واليهود. ويعد أبو جعفر يوسف بن أحمد ابن حسداي أول المتأثرين بابن باجة الذي كان يراسله بكيفية مستمرة، فضلا عن أسماء فلاسفة آخرين لا يسمح المجال بذكرهم أولا بأول.

أما أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي، الحبر والمفكر والفيلسوف اليهودي الشهير، الذي كان تلميذا وفيا لأبي الوليد ابن رشد، وطبيبا للناصر صلاح

الدين الأيوبي، والذي قال فيه اليهود بعد موته: "من موسى (النبي) إلى موسى (ابن ميمون) لم يأت مثل موسى!". ومازالت دراساته وكتاباته محلا للبحث العلمي والفكري إلى الآن.

أما في المجال الأدبي؛ فيظهر الشاعر الإسرائيلي إسحاق بن إبراهيم بن سهل الأندلسي الذي ألف قصيدة طنانة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، واختلف فيه هل أسلم في آخر عمره أم لا؟. جاء في مطلع قصيدته:

جعل المهيمن حُب أحمد شيمة وأتى به في المرسلين كريمة
فغدا هواه على القلوب تميمة وغدا هداه لديهمُ تتميما
صلوا عليه وسلموا تسلميا

أبدى جبينُ أبيه شاهدَ نوره سجعت به الكهان قبل ظهوره
كالطير غرد مُعربا بصفيره عن وجه إصباح يظل نسيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

أنِسَ الرسالة بعد شدة نفرة منجي البرية وهي في يد غمرة
محيي النبوة والهدى عن فترة فكأنما كفل الرشاد يتيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

الأبيات، وهي طويلة أوردها بتمامها الحافظ المقري في الجزء الأخير من كتابه "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب".

وهناك شخصيات يهودية اقتنعت بالإسلام ودخلت فيه، وكان لها فضل كبير في الدراسات الإسلامية عبر القرون، وشاركت في إدخال الفكر والنظرة والفلسفة العبرية في فهم النصوص وإدراك المعاني، وهو رصيد إنساني مهم لا يتعارض مع النظرة الإسلامية للفلسفة، بل يتوافق مع عالمية الإسلام وشموليته؛ كأم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابيين الجليلين عبد الله بن سلام، وكعب القرظي؛ والد الإمام المفسر التابعي محمد بن كعب القرظي، والتابعي الحبر الكبير كعب الأحبار، الذي كان له الفضل في ترجمة الكثير من النبوءات والأخبار اليهودية للغة العربية فيما يعرف في تاريخ التدوين الإسلامي

بالإسرائيليات، وهي جديرة بأن تجمع في رسالة جامعية وتقارن بما عند اليهود في كتبهم.

ومن الشخصيات اليهودية التي اعتنقت الإسلام: أبو الفضل ابن حسداي، والسموأل بن يحيى المغربي السبتي، وإسحاق بن صموئيل الأورشليمي، وعبد الحق الإسلامي. ورضوان الجنوي؛ إمام المغرب في القرن العاشر الهجري كان والده يهوديا وأمه نصرانية أسلما وتزوجا فأنجباه، فكان يقول: "خرجت من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين". إضافة إلى أسر كثيرة في المشرق والمغرب العربي من أصول إسرائيلية أو يهودية، مازالت تعتز بجذورها بالرغم من إيمانها بالرسالة المحمدية كرسالة متممة ومكملة للرسالة الموسوية عليهما الصلاة والسلام.

ولا نخفي سرا إن قلنا بأن مذهبا كبيرا من مذاهب الإسلام ينتمي إلى عالم كبير يزعم مؤرخوه من أتباعه أنه إسرائيلي النسب، يرفعون نسبه إلى يهوذا بن يعقوب عليه السلام؛ وهو: الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله[1].

---

(1) فقد رفع نسبه مؤرخ تراجم علماء الأحناف؛ العلامة عبد القادر بن محمد القرشي المصري المتوفى عام 775هـ في كتابه: "الجواهر المضية في طبقات الحنفية" (1/ 52) منشورات "دار هجر" للطباعة والنشر - إمبابة، الطبعة الثانية عام 1413هـ/ 1993م، تحقيق الدكتور عبد الفتاح الحلو، بقوله: "أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن كاوس بن هرمز بن مرزبان بن بهرام بن مهركر بن ماحسير بن حسنسل بن أدربود بن شروس بن بردمان بن بهرام بن مهركز بن أردرباد بن أدرخور بن بردفيروز بن سيدوس بن رفتار بن ايتكرد بن كردبوا بن شيردار بن وادين بن شيدوش بن يزد بن يخت تود بن شادان بن هرمز ديار بن خانساوا بن دينار بن كمبار بن ددين بن شيدوش بن كودرد بن ساسان الملك بن بابك الملك بن بهرمس الملك بن ساسان بن بهمن بن اسفنديار الملك بن كستاسب الملك بن بهراس الملك بن كتمس الملك بن كي باسين الملك بن كيابود الملك بن كَيقُباد الملك بن داد الملك بن برجام الملك بن برمانسوه الملك بن متُوجهر الكيان الملك؛ وهو: الفارس يهوذا بن يعقوب النبي صلى الله عليه وسلم بن إسحاق بن إبراهيم...إلخ"، ثم قال عقبه: "هكذا رأيت هذا النسب من أوله إلى آخره بخط أبي إسحاق إبراهيم الصريفيني رحمه الله". قلت: في هذا النسب ما فيه من حيث نسبة الساسانيين إلى يعقوب عليه السلام، ولم أقف على تحقيق في الموضوع، إلا أن الفرس - والساسانيون منهم - لا ينتسبون إلى يعقوب قطعا ولا إلى

هذه كلها أسباب ومعطيات نراها كافية لخلق نوع من الحوار والتواصل بين الطرفين اليهودي والإسلامي، تؤدي إلى نوع من الفهم المتبادل للمنظور العقدي والفكري، وترسم طريقا واضحا بينا من السلام المشترك، الذي لا يعم كلا الديانتين فقط، بل ينتشر فضله في العالم وبركته بعامة.

على أن حوارا من هذا النوع مازال متأخرا جدا؛ إذ قد اعتنى الناس بالحوار الإسلامي - المسيحي، والحوار الإسلامي - المجوسي...إلخ، وبالحوار المسيحي - المجوسي، أو البوذي، والمسيحي - اليهودي. أما الحوار الإسلامي - اليهودي، فمازال متأخرا لم تُقطع فيه مسافات تليق بالعلاقات المتبادلة بين أرباب الديانتين سلبا وإيجابا. غير أن في السنين الأخيرة كثرت المطالبة من كلا الطرفين بإجراء حوارات بين رجالات الدين تعمل على تقريب وجهات النظر وكسر الحواجز النفسية والحضارية بين أرباب الديانتين.

ولذلك فإن المقصود من بحثي هذا أمور يمكن إجمالها في التالي:

1- محاولة فهم الديانة اليهودية بطريقة موضوعية، بعيدة عن الاحتقانات السياسية والعقدية.

2- التوصل إلى أرضية حوار بين أرباب الديانتين الإسلامية واليهودية.

3- دعوة اليهود للإسلام باعتباره مصدقا لما بين يديهم، ومتمما لما عندهم، ورافعا للإشكالات التي اختلفوا فيها منذ سحيق الزمان.

4- المساهمة في السلم العالمي ودرء الاحتقان بين الأمم.

ولذلك فقد خصصت بحثي هذا حول مفهوم "**الخلاص في الديانة اليهودية وأثره في الواقع اليهودي والحوار الإسلامي - اليهودي**". وقد اعتنيت بهذا الموضوع في إطار الاعتناء بالحوار بين الديانات الثلاثة الذي يمكن من خلاله ربط جسور معرفية بين مفهوم تلك الديانات، التي يمكن عن طريقها تقريب المفاهيم

سام بن نوح، بل إلى يافث بن نوح، ولكن يكفينا نقل هذا النسب من مرجع يعتبر مصدرا معتمدا في تراجم علماء المذهب الحنفي وضعه مؤلفه مفتخرا به.

والوصول إلى أرضية تفاهم تكون سببا في استقرار فكري وحضاري بين الأمم يؤدي إلى سلام عالمي.

وأنا في هذا البحث أحاول مقابلة فكرة هنتنغتون Huntington في كتابه "صدام الحضارات" الذي أراد عن طريقه فلسفة الصراع الحضاري، وتبرير الحرب الصهيو - أمريكية على العالم، خاصة العالم الإسلامي، بمفهوم آخر هو: "تكامل الحضارات"، أبرر به التلاقح الفكري والعلمي بين مختلف شعوب العالم، خاصة التي تدين بالديانات السماوية، والذي من خلاله استطاعت البشرية الوصول إلى ما وصلت إليه من حضارة ورقي لم يشهدهما تاريخ البشرية من قبل.

ذلك أن الدين هو العامل الأساس في صياغة الحضارة البشرية؛ إذ هو رابط بين العبد والمعبود، يرسم علاقته بالحياة فهما، وتفاعلا، وتعليلا؛ إذ إن الدين هو مبرر الوجود، وباعث الأمل في النفس البشرية الفانية، حيث يفسر سبب الوجود، ومآله، والسبل الموصلة إلى السعادة والشقاوة.

ومفهوم الديانة يدور بالأساس على المعبود، الله جل جلاله، الذي هو الموجد، والمربي، وإليه المنتهى. فلما كان الأمر كذلك، وكانت الحضارة تدور في فلك الديانة، وكانت الديانات الثلاثة كلها تنص على الإله الواحد، مع الاختلاف في تأويل ذلك الفهم؛ كانت الديانات متحدة في المبدأ.

من أجل ذلك حاولت الدخول إلى فلسفة الدين نفسه، وما هو مقصوده؟، وباعتباره مفسرا للوجود، ابتداء، ومسارا، وغاية، فوجدت أن مدار الدين هو: تخليص البشرية من لعنة الخطيئة، والسير بها في مواكب السعادة والنجاة، كما في القرآن الكريم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. [القمر: 56]. وهو ما عنوَنْتُ له بمصطلح "الخلاص".

فالخلاص باعتباره: النتيجة التي يقود بها الدين أتباعَه من المتدينين من أوحال الخطيئة - المعصية - الإثم، إلى سعادة النجاة، ودخول الجنة بعد انتهاء الحياة، والفوز بذلك برضوان الله تعالى.

من هنا، وبتقسيم المفاهيم العامة للديانات باعتماد مصادرها الأساسية وكيف

فهمها أربابُها المعتمَدون لديها؛ يمكننا الخروج بتصور شامل ومحدد متعلق بالديانة اليهودية، وآخر بالديانة النصرانية - المسيحية، وثالث بالديانة الإسلامية، ثم المقارنة بين تلك المفاهيم، والخروج بنتيجة محورية تكون أساسا لحوار عقدي بناء، مبني على قاعدة علمية فلسفية معرفية متينة.

وقد رسمتُ البحث على الشكل التالي:

المقدمة: أستعرض فيها المفهوم اللغوي لـ: الخلاص، المخلص، الخطيئة، المشيحانية وأثره في المفهوم العقدي. وذلك لتحديد مصطلحات البحث أولا، ولتحديد مجال البحث وموضوعه ثانيا؛ إذ من أهم وسائل الحوار البناء: تحديد المصطلحات خروجا مما سماه بايكون "أوهام السوق"، وتحقيق المناط لتوحيد التصور والفهم لروافد البناء المعرفي الذي أعمل على إنشائه.

وسأحاول الاعتماد في هذا الباب على كتب المعاجم اللغوية، ومعاجم علم الكلام، ومصطلحات الأديان الثلاثة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية، وربما أستفيد من لغات قديمة كالعبرية والآرامية من أجل تحديد المصطلح كما أريدَ له في اللغة الأم التي ولد بها.

إذ ما من شك أن الباحث في الديانات السماوية؛ أعني: اليهودية والنصرانية، يصطدم بإشكالية اللغة؛ إذ "التوراة" كتبت أول ما كتبت باللغة العبرية القديمة، ثم ترجمت - بحسب التداول الزمني - إلى عدة لغات، قد يكون المصطلح فقد فيها بعض معناه واكتسب معنى آخر، فوجب الرجوع إلى الفهم العبراني للمصطلح بحسب العقلية العبرانية في ذلك الوقت.

وكذلك نصوص "الإنجيل"؛ التي كتبت أول الأمر باللغة الآرامية[1]، وهي لغة شبه بائدة، ثم ترجم "الإنجيل" إلى عدة لغات، قد تكون حافظت على اللفظ، غير أن المعنى المفهوم من اللفظ قد تغير بحسب تغيُّر اللغة، وتغير العقلية البشرية من

(1) يقول أخونا الشيخ حسن الكتاني فك الله أسره تعليقا على ذلك: "اختلفوا في ذلك اختلافا كبيرا، وذلك في كل إنجيل على حدة؛ فمنها ما كتب بالعبرانية مثل "متى"، ومنها ما كتب بالإغريقية، ولفظ "إنجيل" يدل على أن الإغريقية كانت لغة ذلك العصر؛ فإنه لفظ إغريقي".

مجتمع لآخر، ومن زمان لآخر[1].

وهذا الإشكال أجده أساسيا في فهم الديانات الكتابية غير الإسلام، وهو يحتاج إلى دراسة فيلولوجية Philology ومجتمعية وتاريخية معمقة، ليس المجال مجالها، ولكن إن لم يصبها وابل فطل!.

الفصل الأول: مفهوم مجمل للخلاص في الديانة اليهودية. وهو ما يمكن فهمه مجملا من قراءة نصوص "التوراة" و"التلمود"، وشروحاتها من كتب اليهود أو من اعتمد النقل عنهم ممن يوثق به نقلا وأمانة وحيادا، دون اعتبار لاختلاف الطوائف اليهودية وأثره في اختلاف مفهوم "الخلاص"، وأنا بهذا أحاول الإتيان بمفهوم تتفق عليه جميع الطوائف اليهودية، وإن كانت تختلف في تأويله وتفصيله، وهو يعد أرضية Template للفصول التي تأتي من بعد، ويمكن توسيع هذا البحث ليكون دراسة في إطار الحوار اليهودي - اليهودي فيما بعد.

وقد استطردت فيه بذكر مفهوم "النبوة" عند بني إسرائيل، و"المحنة" في التاريخ اليهودي، نظرا لارتباط فهم الديانة اليهودية بشكل مباشر بمصطلح "النبوة" وحالة "المحنة"، وهو فهم يمكن عن طريقه استجلاء أسباب الخلاف بين الفرق اليهودية، وعلاقة اليهود بغيرهم من الطوائف والشعوب، وفهم "العقلية اليهودية" في التعامل مع الآخر وجذور ذلك.

الفصل الثاني: إشكالات متعلقة بمفهوم "الخلاص" اليهودي. وهو فصل أستعرض فيه أهم الإشكالات المرتبطة بمفهوم "الخلاص" في الديانة اليهودية، بدءا بتدوين "التوراة" و"التلمود" اللذين يعتبران خزانة الديانة اليهودية ومصدرها الأول، واللذين اختلف فيهما اليهود لا من ناحية تدوينهما، ولا من ناحية مضمونهما، ولا

---

(1) مثلا: لفظ "ابن الله" في اللغة العبرية القديمة، وحتى بعض اللغات المعاصرة يعني: المقرب من الله، والمرضي عليه من الله، ثم نجد أنه مع الوقت اكتسب اللفظ معنى: ولد الله، أي: منسول من الله، تعالى الله عن ذلك، وتطور المعنى ليصبح ديانة بحد ذاتها. وكذلك: الأب، أو: بابا، كانت تعني السيد والمعيل، وصارت مع تغاير الترجمات، وتقادم العهود تعني الوالد...وهكذا.

من ناحية تعدادهما، ولا من ناحية الاعتراف بهما، وهذا الاختلاف كان له الأثر الكبير في نشأة الفرق اليهودية واختلافها في وجهات النظر حتى في أصول الاعتقاد، والنظرة لمفهوم الخالق، والمعاد، والنبوات...إلخ.

كما أتحدث في هذا الفصل عن إشكالات "شعب الله المختار"، و"الشريعة اليهودية"، و"الهيكل"، و"أرض الميعاد"، باعتبارها اللبنات الأساسية للفكر اليهودي، والتي بنيت عليها الديانة فيما بعد، من هنا أتحدث عن إشكالية أساسية وهي: "الثالوث الحلولي" في الديانة اليهودية، والذي يمزج في المفاهيم القداسة بين الرب والشعب والأرض، بحيث تصبح وحدة واحدة لا يمكن التفريق بينها.

الفصل الثالث: أثر مفهوم الخلاص اليهودي في تكوُّن الطوائف اليهودية. وهذا الفصل سينقسم إلى قسمين: الأول النتيجة المجملة التي تسببت في اختلاف اليهود في فهم "الخلاص"، ومن هنا نندرج إلى إشكالية التاريخ اليهودي ككل، ونستعرض العوامل التاريخية والاجتماعية والجيوسياسية التي تسببت في تكون الطوائف اليهودية واختلاف مفاهيمها وإدراكاتها.

والثاني: إلى نشأة الطوائف اليهودية، وتعداد الرئيسي منها، وفهم كل طائفة لمعنى "الخلاص" بحسب المفهوم الذي رشحناه في الفصل الأول، ومدى مطابقة هذا المفهوم للمفهوم العام ومخالفته.

الفصل الرابع: "نهاية التاريخ" و"المخلص" عند اليهود. أستعرض فيه مفهوم "نهاية التاريخ" عند اليهود، وأثره في الواقع اليهودي، على أن هذا المصطلح - وإن كان يستمد جذوره من "العهد القديم" - فإنه مصطلح جديد، بدأ ظهوره في الدراسات الإنجيلية في القرن السابع عشر، خاصة بعد ظهور المذهب البروتستانتي.

كما أتعرض فيه للنصوص التوراتية التي بشرت بوجود مخلص لليهود آخر الزمان، وهو ما يعبر عنه بالمشيحانية، أتحدث فيه عن مفهوم هذه العقيدة، وموقف اليهود من تلك النصوص، وصفة "المسيح المنتظر" الذي ينتظره اليهود آخر الزمان. معتمدا على مصادر قديمة وحديثة، ومفاهيم سابقة ولاحقة.

ومن هنا أخلص إلى "الحركة الصهيونية" باعتبارها حركة سياسية عقدية،

يتجلى فيها "الثالوث الحلولي" اليهودي في أوضح أشكاله، متحدثا عن مفهوم "الصهيونية" ومعنى المصطلح، ونشأة تلك الحركة وجذورها، ثم أستعرض الحديث عن "الصهيونية المسيحية" و"الصهيونية اليهودية" باعتبارهما وجهين لعملة واحدة، لهما الأثر البالغ في الواقع العالمي اليوم.

الفصل الخامس: ويعتبر هذا الفصل كالمقصد لهذه الدراسة، أجعله دراسة مقارنة لمفهوم "الخلاص" بين اليهودية والنصرانية والإسلام، أستعرض فيه مفهوم "الخلاص" في اليهودية، ونظير ذلك في كل من الديانتين النصرانية واليهودية، محللا أوجه التشابه والاختلاف، ومستنبطا إمكانية جعل "مفهوم الخلاص" سببا للتقارب بين هذه الأديان، وأرضية للحوار والفهم المتبادل.

الخاتمة: أتكلم فيها عن دور مفهوم الخلاص في الحوار والتقريب بين الأديان. ومن هنا سألخص النظرية العامة للدراسة، وتطبيقها على أرض الواقع، ومدى أثر ذلك في الحوار الديني تاريخا وحاضرا، وكيف يمكن تصوره مستقبلا.

هنا سأكون أنهيت الدراسة، وهي - وإن بدت في محاورها واسعة الأطراف، كثيرة التفاصيل، عميقة الغور، مفعمة بالإشكالات، قد تحتاج إلى وقت وسعة في البحث - فسأعمل على تلخيصها قدر المستطاع تلخيصا غير مخل ولا معل، معتمدا في الدراسة التحليلة والتتبع أحدث المناهج المتبعة، بأسلوب منطقي، وسبر موضوعي غير ميال إلى هوى، ولا متأثر بأفكار مسبقة.

وقد التزمت في بحثي كتابة المصطلحات الإنجليزية بالحرف الإنجليزي، والفرنسية بالحرف الفرنسي، والعبرية بالحرف العبري نفسه، وتفسير معناها بلغاتها الأم، وأحيانا أكتب المصطلحات اليونانية بالحرف اليوناني أيضا، كما التزمت ترجمة سائر الأعلام المتعلق ذكرهم بصميم البحث، والتعريف بمختلف المصطلحات التي تعتبر مفاتيح لفهم المتن المكتوب، وحتى لا يتسم البحث بالحشو، فقد جعلت تلك الشروحات والتوضيحات في الحاشية، عازيا كل معلومة للمصادر المستقاة منها.

ثم ختمت البحث بفهارس علمية شارحة لمضمونه؛ وهي:

1- فهرس الآيات القرآنية.
2- فهرس نصوص العهدين القديم والجديد.
3- فهرس الأعلام البشرية.
4- فهرس الأعلام المكانية.
5- فهرس المصطلحات.
6- فهرس المصادر والمراجع.
7- فهرس المواضيع.

كما اعتمدت - كما أومأت إليه أعلاه - على المصادر الأساسية في كل دين: "القرآن الكريم" والسنة النبوية، والعهدين القديم والحديث، و"التلمود"، ورسائل الأحبار والقسس، وما بني على ذلك من دراسات وكتابات قديما وحديثا، وما سطره الأعلام من مختلف الديانات في الحديث عن الإشكالات المتعلقة بالبحث؛ كمفهوم "الخلاص"، و"المخلص"، وتاريخ الحوار بين الديانات، والدراسة العقدية المقارنة..إلخ.

غير أنني في إطار دراستي للديانة اليهودية، اصطدمت بعدة أمور يمكن تلخيصها في التالي:

1- قلة المصادر الأصلية المتاحة، بمعنى الكتابات التي كتبها اليهود أنفسهم، إلا أن تكون كتابات دعائية المقصود منها التلميع والتنميق لا حكاية الأمور كما هي عليه.
2- الكثير من المصادر المعتمدة التي كتبها غير اليهود، تنحو منحى الدعاية السياسية، والأسلوب العدواني في طرح الأفكار والعقائد، وهو الأمر الذي يفقد تلك الكتابات الموضوعية التي هي أساس في أي بحث علمي أكاديمي.
3- نظرا لمرور النص التوراتي بمراحل عدة ترجم فيها من العبرية لليونانية والبابلية والآرامية والرومانية والعربية، فإن الحمولة اللغوية للنص قد فقدت الكثير من قيمتها، ولذلك نجد الكثير من الدراسات تنظر إلى

اليهودية كدين وثني، وذلك بإلغاء المفهوم اللغوي للمجاز والاستعارة، والقصص والتشبيه، والذي بسببه يأخذ النص تفسيرا طوباويا بعيدا كل البعد عن مفهوم النص السماوي.

4- نجد نصوصا في مصادر يهودية وإسلامية قديمة، منقولة من "العهد القديم"، وعند الرجوع للنسخة المعتمدة؛ وهي: "التفسير التطبيقي للكتاب المقدس"[1]، نجد النصوص قد تبدلت، وألفاظها ومعانيها تغيرت، وهذا بالنسبة لي إشكال كبير في جوهر الديانتين اليهودية والمسيحية، إذ كيف يعمد أرباب تينك الديانتين إلى تغيير كتبهم المقدسة من وقت لوقت وجيل لجيل؟.

5- نجد العديد من الباحثين، خاصة في المشرق العربي، عند حديثهم عن التاريخ الإسرائيلي، ومضمون "العهد القديم" لا يستحضرون أنهم يتكلمون عن كتب تعتبر سماوية، نؤمن بما فيها مما لا يخالف النصوص الإسلامية، كما أنهم يتحدثون عن سيرة شعب كان في وقت من الأوقات هو الشعب الموحد الوحيد في العالم، ويغفلون قداسة الأنبياء الذين تتحدث عنهم تلك الأسفار؛ وهم أنبياء وجب علينا الإيمان بهم كمسلمين، خاصة "الآباء: إبراهيم وإسحاق ويعقوب"، وموسى وهارون ويوشع...إلخ، فتجدهم يتحدثون بتهكم وسخرية، لا تنسجم مع الحس العلمي من جهة، ولا مع ديننا الإسلامي من جهة أخرى.

من هنا حاولت تخطي تلك العقبات، بالرجوع للمصادر الأصلية في دراسة الديانة اليهودية، وبالتغاضي عن أي أسلوب أو منطق غير مستند لأساس علمي يحمل في طياته نوعا من العدوانية والمسخ للآخر. مستحضرا في ذهني الهدف

(1) "التفسير التطبيقي للكتاب المقدس" التعريب والجمع التصويري، والمونتاج والأعمال الفنية: شركة ماستر ميديا - القاهرة، بإشراف مجموعة كبيرة من رجال اللاهوت الكنسي، والرهبان والقسس.

الأول الذي استفرغت من أجله لكتابة هذه الدراسة؛ وهو: أن أجعلها أرضية للبناء لا للهدم، وللجمع لا للتفرقة، وفي كل ذلك أرى بين عيني مرمى واحدا: وهو رضوان الله تعالى، الذي أسأله أن يجعل محياي ومماتي من أجله ومن أجل خدمة دينه وتوحيده، ونبيه سيدنا ومولانا محمد سيد البشر صلى الله عليه وسلم وعلى آله، الذي نتنفس بحبه، ونلهج بذكره، ونتعلق به تعلقا يهيمنا عمن سواه.

وفي النهاية؛ أنوه إلى أن أصل هذا البحث كان رسالة ماجستير في وحدة "المذاهب العقدية في الديانات"، بجامعة محمد الخامس بالرباط/ المغرب، والتي يترأسها أستاذي وشيخي العلامة الأستاذ الدكتور محمد أمين الإسماعيلي، الذي قضيت معه عامين كاملين مستفيدا ومرتويا، فأشكره شكرا جزيلا على ما قدمه لي من المعرفة والنصح والتوجيه، هو وسائر الأساتذة الكرام الذين تكونت عليهم في هذه الوحدة المباركة، والذين بذلوا وقتهم وجهدهم من أجل تكوين نخبة من العلماء المختصين في هذا المجال الدقيق من مجالات العلوم الإسلامية والإنسانية...

كما أنه لا يسعني إلا أن أشكر أخي وشيخي العلامة المصلح الشيخ حسن بن علي الكتاني حفظه الله تعالى، الذي أنعم علي - أيضا - بإفادات جمة، من معرفته الموسوعية التي كنت أذهل لها، وتركت بصمات عديدة في هذا البحث، بل قام بمراجعته قبل طبعه وإبداء ملاحظاته نحوه، فأسأل الله تعالى أن يجازيه خير الجزاء بمنه وكرمه.

وقد زدت على البحث الأصلي فصلا كاملا؛ وهو: الفصل الخامس، كما غيرت في ترتيبه، وأضفت إليه إضافات وتصحيحات، علاوة على ما تضمنته حواشيه من التحقيقات والتدقيقات التي يكاد ينفرد بها، من نحو التعريف بالأعلام اليهود، والصهاينة، وحل مجموعة من الإشكالات المتعلقة بالديانة اليهودية، ومناقشة مشاهير من كتبوا في الموضوع، مع أسلوب يخلو - في الجملة - من الحشو والاستطراد، واعتناء بما أنفرد بالتنويه إليه، راجيا من الله تعالى أن يكون البحث عمدة في بابه، وكتابا مدرسيا يعتمده المتخصصون في الدراسات اليهودية

في تدريسه في الجامعات والمعاهد المختصة.

ومن طريف المناسبة أن انتهائي من هذا العمل يصادف شهر رجب الفرد، وهو شهر الإسراء والمعراج، الذي يمثل الديانات السماوية الثلاث في أبهى صورها. فأسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا العمل وينفع به، فما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل، وأن يجعله محلا لرضى نبينا سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه:

الدكتور محمد حمزة بن محمد علي الشريف الكتاني

الرباط: ليلة الجمعة 22 رجب الفرد عام 1432

الموافق: 24 يونيو 2011

hamza.kettani@gmail.com

المقدمة

أستعرض في هذه المقدمة مجموعة من المصطلحات التي ينبني عليها الكتاب؛ إذ من أهم إشكاليات البحث العلمي: عدم وضوح المفهوم المقصود من المصطلح، بمعنى: وجود مصطلح ما يحمل في مفاهيمه اللغوية أو الاختصاصية المختلفة عدة معاني قد تكون متباينة، وهو الأمر الذي قد يتسبب في قلب المفاهيم لدى المتلقي، بل لدى الكاتب نفسه، وهو ما سماه الفيلسوف الإنجليزي فرنسيس باكون Francis Bacon[1] بأوهام السوق.

ومن هنا أستعرض المفهوم اللغوي والاصطلاحي لكل من: الخلاص، المخلص، التكليف، الخطيئة، وأثره في المفهوم العقدي.

المبحث الأول: مفهوم "الخلاص" بين الديانات السماوية الثلاث:

لا شك أن لفظة الخلاص - بحسب الاصطلاح - هي لفظة مسيحية بامتياز؛ إذ لم تنل هذه الكلمة التي يرادفها باللاتينية: Salvation، ويمكن أن يطلق عليها أيضا: Deliverance، أو: Redemption. وبالعبرية: "جيئُولاه" גאולה، تلك العناية التي نالتها بعد ظهور المسيحية، وبالضبط بعد مجمع "نيقيا" الذي تم عام 325م، والذي عن طريقه بدأ الفكر الثالوثي المسيحي، المبني على فكرة تجسد الإله في صورة المسيح، ثم صلبه وتألمه بالموت من أجل أن يخلص البشرية من ذنوبها، أو باصطلاح آخر: من "اللعنة" التي لازمت البشرية ابتداء من أكل آدم وحواء من

---

(1) فرانسيس بيكون (1561 - 1626م)، فيلسوف ورجل دولة وكاتب إنجليزي، معروف بقيادته للثورة العلمية عن طريق فلسفته الجديدة القائمة على "الملاحظة والتجريب". من الرواد الذين انتبهوا إلى غياب جدوى المنطق الأرسطي الذي يعتمد على القياس. الموسوعة الحرة، موقع إلكتروني.

الشجرة، وانتهاء بالتشديدات الكثيرة التي امتازت بها الديانة اليهودية - ديانة بني إسرائيل - حتى صارت "اللعنة" لا تنفك تتبعهم في كل مسارات حياتهم.

فالخلاص في اللغة العربية؛ تقول: خَلَص الشيء (بالفتح) يَخْلُص خُلُوصاً وخَلاصاً إذا كان قد نَشِبَ ثم نَجا وسَلِم. وأَخْلَصه وخَلَّصه وأَخْلَص لله دِينَه: أَمْحَضَه، أي: جعله خالصا محضا ليس لغيره فيه مأرب. وأَخْلَصَ الشيءَ: اختاره[1].

فيأتي الخلاص في اللغة بمعنى: النجاة والسلامة، وبمعنى: المحض والصفاء من الشائبة، وبمعنى الاختيار... وكلها تؤدي إلى معنى واحد؛ وهو: السلامة من الغيرية، والنصاعة عن أية شائبة، معنوية كانت أو حقيقية.

وفي الديانة الإسلامية؛ يأتي بمعنى: إخلاص العبادة لله تعالى، بمعنى: نفي الشريك عنه؛ قال تعالى: ﴿إِلَّا عبادَكَ منهم المُخْلِصين﴾. [الحجر: 40]، والمُخْلَصِين؛ قال ثعلب: "يعني بالمُخْلِصين الذين أَخْلَصوا العبادة لله تعالى، وبالمُخْلَصِين: الذين أَخْلَصهم اللهُ عزّ وجلّ".

والمُخْلِص: الذي وحّد الله تعالى خالصاً؛ ولذلك قيل لسورة: ﴿قل هو الله أَحد﴾؛ سورة الإخلاص. قال ابن الأثير: "سميت بذلك؛ لأَنها خالصة في صفة الله تعالى وتقدّس، أَو لأَن اللافظ بها قد أَخْلَصَ التوحيدَ لله عزّ وجلّ".

وكلمة الإخلاص: كلمة التوحيد، وقوله تعالى: ﴿من عبادنا المُخْلَصِين﴾، وقرئ المُخْلِصين، فالمُخْلَصُون المُخْتارون، والمُخْلِصون المُوَحِّدُون[2].

أما الخلاص كمصطلح لاهوتي؛ فهو: مصطلح يدل على حالة الخروج من حالة أو وضع وظرف غير مقبول أو غير محبب، ويدرج استعماله في الكثير من الديانات[3].

---

(1) "لسان العرب" تأليف: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، منشورات دار صادر - بيروت عام 2003. (5/ 127).

(2) "لسان العرب" (5/ 127).

(3) "الموسوعة الحرة"، موقع إلكتروني بعدة لغات عالمية:

http://ar.wikipedia.org ،http://en.wikipedia.org.

ففي الديانة اليهودية؛ يلخص الأستاذ عبد الوهاب المسيري مفهوم "الخلاص" في الفكر بأنه: "اصطلاح ديني يشير إلى الاختلاف العميق والجوهري بين ما هو كائن وما سيكون وإلى انتهاء آلام الإنسان"[1].

كما يرى أن مفهوم الخلاص في اليهودية هو: "غير متجانس ولا مستقر، شأنه شأن كثير من الأفكار الدينية الأخرى المتصلة بالآخرة. والخلاص في أسفار موسى الخمسة خلاص قومي جماعي للشعب لا للأفراد، ويتم داخل الزمان لا خارجه، وفي كتب الأنبياء أخذ المفهوم يكتسب أبعادا إنسانية وأخلاقية واضحة، ومع التهجير البابلي والإحباطات المتكررة أصبح الخلاص مسألة ستتم في العالم الآتي؛ أي: في آخر الأيام، ولكن داخل الزمان وبشكل فجائي، وفي القرنين الأخيرين قبل الميلاد ظهرت فكرة الخلاص بعد البعث، وعند موسى بن ميمون يمثل ذلك أحد الأصول الأساسية لليهودية، وفي القرن السابع عشر ظهرت في صفوف البروتستانت العقيدة الاسترجاعية التي جعلت اليهود مركز رؤية الخلاص، إذ لا يمكن أن يتم الخلاص إلا بعد عودة اليهود إلى (صهيون) وتنصيرهم!"[2].

وفي الديانة المسيحية؛ يقول القمص زكريا بطرس في تعريفه للخلاص: "في بساطة نستطيع أن نقول إن الخلاص معناه: "الإنقاذ"؛ فمثلا: الخلاص من الغرق. هو الإنقاذ من الغرق، الخلاص من يد العدو. هو الإنقاذ من يده... وبهذا المعنى نفهم خلاص المسيح لنا أنه:

"أولاً: إنقاذ من عقوبة الخطية. عندما ترتكب إحدى الخطايا تتبكت وتتألم لأنك ترى شدة غضب الله، وتحس بأنك تستحق الموت لأنك فعلت الشر في عيني الرب إلهك. فالخلاص هو إنقاذك من قصاص الخطية ودينونتها، أو بمعنى أوضح: إنقاذ من عقدة الشعور بالذنب".

---

(1) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (الكبير) تأليف الدكتور عبد الوهاب المسيري، نسخة إلكترونية (5/ 64).

(2) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" تأليف الدكتور عبد الوهاب المسيري، منشورات دار الشروق - القاهرة، الطبعة الخامسة عام 2009م. (2/ 23).

"ثانياً: إنقاذ من سلطان الخطية. فلو كان عمل المسيح قاصراً فقط على الإنقاذ من قصاص الخطية فحسب دون التحرير من سلطانها لكان عملاً مبتوراً وحاشا أن يكون عمل الله ناقصا. فيسوع لم يسدد الدين فحسب بل قد وهبنا روحه الذي يحررنا من سلطان الخطية ومحبتها والعبودية لها".

"ثالثاً: إنقاذ من جسد الخطية. فالمؤمن يظل طيلة أيام حياته في حرب طاحنة بينه وبين رغبات جسد الخطية أو الإنسان العتيق الساكن فيه والذي يحاول إبليس أن يستثيره بمغريات العالم وشهواته ليفقده الخلاص والنعيم. ولا يتوقع المؤمن راحة طالما هو في الجسد. لذلك فهو ينتظر مجيء الرب يسوع من السماء ليخلصه من جسد الخطية (الإنسان العتيق أو الطبيعة الفاسدة). لهذا فكمال خلاصنا هو بتغيير أجسادنا الترابية إلى أجسام روحانية"[1].

من هنا يمكننا إجمال مفهوم "الخلاص" بتعريف يجمع كل تلك المعاني، وهو التعريف الذي سنلتزمه في بحثنا بإذنه تعالى؛ فالخلاص هو: *مجموع الاعتقادات والأعمال التي تخرج الإنسان من خانة غضب الله وعقوبته، إلى خانة رضوانه والجنة، وتكون سببا في تغير طبعه من متعلق بشهواته إلى روحاني متصل بطاعة الله.*

فقولنا: "مجموع الاعتقادات": يشمل جميع الاعتقادات التي تشكل ماهية الديانة، وتتعلق بالإيمان القلبي الوجداني.

وقولنا: "والأعمال": تضم إلى العقيدة الشريعة، خاصة في الأديان التي تولي للشريعة قيمة إيمانية لا تنفك عن مفهوم الإيمان.

وقولنا: "التي تخرج الإنسان من خانة غضب الله وعقوبته، إلى خانة رضوانه": تشمل المعنى اللغوي للخلاص، والذي شرحناه أعلاه.

وقولنا: "والجنة"، تعني: أنه ليس خلاصا دنيويا روحيا فقط، إنما يشمل تخليص الإنسان في الدنيا وفي الآخرة، بمعنى: البعث والنشور بعد الموت.

---

(1) "صنعت خلاصا" تأليف: القمص زكريا بطرس، كتاب إلكتروني. ص17 فما بعدها.

وقولنا: "*وتكون سببا في تغير طبعه من متعلق بشهواته إلى روحاني متصل بطاعة الله*": تعني أن لهذا الأثر خلاصا في سلوك الإنسان اليومي، وتعامله مع محيطه، فهو ليس ظنيا فحسب، بل عملي له تجل خاص وواضح على صاحبه.

المبحث الثاني: مفهوم مصطلح "المخلص":

أما "المخلِّص"؛ ففي اللغة: "التخليص: التَّنْجِيَة من كل مَنْشَبٍ، تقول: خَلَّصْته من كذا تَخْلِيصاً؛ أَي: نَجَّيْته تَنْجِيَة فتخلّص، وتَخلّصَه تخَلُّصاً كما يُتخلّصُ الغَزْلُ إِذا الْتَبَس"[1].

والمفهوم أن المخلص هو: الذي يقوم بالتخليص من أجل الوصول إلى "الخلاص"، فيمكن صرف هذا المصطلح إلى معنى: العقيدة نفسها، ولا شك أن ماهية العقيدة تقتضي تخليصها لم يعمل بها ويعتقدها.

والمعنى الثاني: هو الشخص الذي يقوم بالخلاص، وهو يطلق على رجل يأتي في آخر الزمان، يخلص البشرية من الشر، وينشر الخير والعدل في العالم.

وهذا اللفظ ينقلنا إلى مصطلح ديني آخر؛ وهو: "الماشيَّح" و"المشيحانية":

المبحث الثالث: مفهوم "الماشيَّح" و"المشيحانية":

واشتهر اللفظ في العربية بالسين بدل الشين؛ قال ابن منظور في "لسان العرب": "المسيح: الصِّدِّيقُ، وبه سمي عيسى عليه السلام. قال أَبو بكر: واللغويون لا يعرفون هذا، قال: ولعل هذا كان يستعمل في بعض الأَزمان فَدَرَسَ فيما دَرَسَ من الكلام. وقال ابن سِيدَه: قيل: سمي بذلك لصدقه، وقيل: سمي به لأَنه كان سائحاً في الأَرض لا يستقرّ. وقيل: سمي بذلك؛ لأَنه كان يمسح بيده على العليل والأَكمه والأَبرص فيبرئه بإِذن الله. قال الأَزهري: وهو في "التوراة" مَشيحا، فعُرِّبَ وغُيِّرَ كما قيل مُوسَى وأَصله مُوشَى".

"وقال شمر: سمي عيسى "المسيح"؛ لأَنه مُسِحَ بالبركة. وقال أَبو العباس:

(1) "لسان العرب" (5/ 127).

سمي المسيح؛ لأَنه كان يَمْسَحُ الأَرض أَي يقطعها. وروي عن ابن عباس: أَنه كان لا يَمْسَحُ بيده ذا عاهة إِلَّا بَرأَ، وقيل: سمي المسيح؛ لأَنه كان أَمْسَحَ الرِّجْل ليس لرجله أَخْمَصُ. وقيل: سمي المسيح؛ لأَنه خرج من بطن أُمه ممسوحاً بالدهن"[1].

وكلمة "مسيح" في اللغة العبرية هي "مِشِيَّح" (מָשִׁיחַ) من الفعل العبري "مشح"؛ أي: "مسح". وتنطق بالآرامية: "ماشيحا"، ومعناها في "العهد القديم": الممسوح "بالدهن المقدس"، ونقلت كلمة "ماشيح" إلى اللغة اليونانية بلفظ: "كريستوس" Khristós (Χριστός)، وعن اليونانية نقلت إلى اللغات الأوربية.

وكانت عملية "المسح" تتم في العهد القديم "بالدهن المقدس" الذي كان يصنع من أفخر الأطياب وأفخر أصناف العطارة وزيت الزيتون النقي (سفر "الخروج": 30/ 31،32)، وكان الشخص أو الشيء الذي يدهن بهذا الدهن المقدس يصير مقدساً، مكرساً ومخصصاً للرب، وكل ما يمسه يصير مقدساً. وكان الكهنة والملوك والأنبياء يدهنون بهذا "الدهن المقدس" ليكونوا مقدَّسين، مكرسين ومخصصين، للرب: "**وتمسح هرون وبنيه ليكهنوا لي**". (سفر "الخروج" 30/30)، "**وأتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داود ملكاً على بيت يهوذا**". (سفر "صموئيل الثاني" 4/2)

وهكذا دعي الكهنة والأنبياء والملوك بـ: "مسحاء الرب" (مزامير داود 105/ 15)، ومفردها: "مسيح الرب" (سفر "صموئيل الثاني" 14/1)، ويصفهم الله بمسحائي: "لا تمسّوا مسحائي ولا تؤذوا أنبيائي" (سفر "الأخبار الأول" 22/16)[2].

ومصطلح "المشيحانية" مشتق من "المشيَّح"؛ ويشير إلى شخص مرسَل من الإله، يتمتع بقداسة خاصة، إنسان سماوي وكائن معجز خلقه الإله قبل الدهور، يبقى في السماء حتى تحين ساعة إرساله، وهو يسمى "ابن الإنسان"؛ لأنه سيظهر في صورة الإنسان وإن كانت طبيعته تجمع بين الإله والإنسان، فهو تجسد الإله

---

(1) "لسان العرب" (3/ 92) باختصار.

(2) "كتاب "الإنجيل" كيف كتب وكيف وصل إلينا" تأليف: القمص عبد المسيح بسيط أبو الخير. منشورات مطبعة المصريين - القاهرة الطبعة الأولى عام 1994م ص46.

في التاريخ!

وتتميز "المشيحانية" في الفكر اليهودي بأنها صيغة هلامية لا يمكن أن تهزم؛ فإذا ظهر مشيَّح؛ فإن ظهور "المشيح المنتظر" علامة على صدق الرؤية المشيحانية، وإذا لم يظهر؛ فإن الواجب هو الانتظار، أما إذا ظهر الماشيح وانتصر في المراحل الأولى؛ فهذا علامة على صدقه، وإذا انهزم؛ فهزيمته نفسها تدل على صدقه، فهو يتعذب من أجل شعبه، وإذا أخذت الهزيمة شكل ارتداد عن اليهودية فهذا - حسب التصورات المشيحانية - من باب التمويه والتقية، كما أنه باعتباره الماشيح؛ عليه أن ينزل إلى عالم الشر لمواجهته، ومن هنا ارتداده عن اليهودية، كما أنه إذا قُتل أو مات؛ فإن أتباعه - عادة - ما يعتبرون أنه لم يمت أو يقتل، وإنما اختفى وسيعود، وتكون جماعة التابعين المنتظرين - شيعة أو فريقا دينيا مستقلا عن المؤسسة الحاخامية - تدور أفكارها حول عقائد الماشيَّح، وتدور ممارساتها حول انتظاره[1].

المبحث الرابع: مفهوم "الخطيئة":

الخطيئة لفظ مشترك بين الديانات السماوية، وإن كان يستعمل في النصرانية أكثر من استعماله في الديانات الأخرى، ومرده إلى الخطيئة الأولى؛ وهي: أكل آدم عليه السلام من الشجرة وعصيانه أمر الله تعالى في نهيه عن ذلك، وهي قصة موجودة في "التوراة" و"الإنجيل" و"القرآن"، وهي التي كانت السبب في نزول آدم وذريته من الجنة للدنيا.

والخطيئة في اللغة العربية: على وزن: "فعيلة"، وهو وزن مبالغة؛ تعني: المبالغة في الخطأ، ولذلك قالوا: هي الذنب على عمد، والخطيئة: المأثم، وفي القرآن الكريم على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾. [الشعراء: 82][2].

---

(1) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (2/ 106).

(2) "لسان العرب" (5/ 97).

وللخطيئة تشابيه كثيرة في "الكتاب المقدس"؛ هي: المعصية (سفر "التكوين": 3)، هي أشبه بِعُقوقية الولد تجاه الوالد المحب (سفر "أشعيا" (1/64 - 8)، نكران الأمانة (سفر "هوشع" الفصل 2)، هي تفضيل الظلمة على النور (روما 21/1)، هي: تنكُّر للإيمان (روما 21/3)، وتنكُّر للمحبة (يوحنا الفصل 3). وكل ذلك يشير إلى معنى واحد؛ وهو: الذنب العظيم.

ويرى المطران النصراني يوسف أبي عياد بأن الخطيئة: إهانة تطال الله مباشرة، هي طعن لعمل الخلق والفداء ولتحقيق الذات وللعلاقة مع الآخرين والعالم .ليست الخطيئه شعوراً داخلياً محضاً أو حالة نفسية ... إنها فعل إهانة لله وكسر العهد معه، هذا العهد المُبرَم بدم المسيح. لكن الخطيئة على شناعتها وفظاعتها تُظهر بالوقت نفسه قدرة الإنسان العظيمة المعطاة له من الله، والتي بها يستطيع أن يقف أمامه تعالى ويرفض حبه ويتخطى وصاياه ويقول له" كلا، لا أريد"[1].

(1) "مفهوم الخطيئة والمسائل المطروحة حوله" تأليف المطران يوسف أنيس أبي عياد، مقال منشور بالموقع الإلكتروني لـ: "جمعية التعليم المسيحي بحلب".

الفصل الأول
مفهوم "الخلاص"
في الديانة اليهودية

أروم من هذا الفصل تسليط الضوء على الديانة اليهودية من حيث الجملة، والعقائد الأساسية التي بنيت عليها؛ لأخلُص من ذلك إلى التعرف إلى مفهوم "الخلاص" في تلك الديانة، من حيث الماهية، والفلسفة العقدية، والتاريخ، والأثر المبلوِر لمستقبل هذه الديانة باعتبارها أولى الديانات السماوية التي بقي لها حضور إلى وقتنا هذا.

ويعترض الباحث في الديانة اليهودية عوَز في المصادر التي تُعرف بهذه الديانة، نظرا لشوبها بأبعاد سياسية وأفكار مسبقة يحاول الكُتاب السير بالقارئ نحوها. وحيث إنني عزمت في بحثي هذا على التجرد في طرح المواضيع، خاصة التعريف بعقائد الديانات وأفكارها، فقد تجشمت صعبا من أجل الوصول إلى الغاية التي صبوت إليها.

ومن أهم إشكالات الحديث عن الديانة اليهودية:

1- إشكالية التاريخ اليهودي؛ إذ حتى بالرجوع إلى المصادر اليهودية نفسها، نلمس تداخلا وامتزاجا بين ما هو لاهوتي غيبي، وما هو جنسي إسرائيلي، وما هو فلسفي وأسطوري. نتج عنه:

2- كثرة الفرق اليهودية، وتباينها تباينا كبيرا فيما يرجع لأصول الديانة، وهو ما يوهم الباحث لأول وهلة أنها ليست دينا واحدا، إنما مزيج من الديانات تتباين تباين الرقعة المنتشرة فيها هذه الديانة والأحداث التاريخية التي مرت بها، ومن هنا يتراءى لنا مفهوم "المحنة" عند بني إسرائيل.

ولا شك أنه بالنظر إلى الفترة التي دُون فيها "العهد القديم"[1]، وتطاولها، وتنوع الكتب المقدسة المبنية عليها هذه الديانة، وتباين مفهوم "النبوة" يمكن استكشاف أهم أسباب الغموض في التعريف بهذه الديانة، ولذلك قبل استخلاص مفهوم شامل للخلاص في الديانة اليهودية، أرى أنه من المناسب الحديث عن:

1- مفهوم "التاريخ اليهودي".
2- النبوة عند اليهود.
3- المحنة عند اليهود.

المبحث الأول: مفهوم "التاريخ اليهودي":

"التاريخ اليهودي" مصطلح يتكاثر في العصور الأخيرة؛ وهو يعني: التأريخ للحركة اليهودية منذ نشأتها، جذورها، ومتقلباتها، وفروعها، وطوائفها، ومستقبلها...إلخ، إلى الآن. وهذا الاسم: "التاريخ اليهودي" مشكل من حيث حقيقة وجود طائفة يهودية لها نفس المقومات في مشارق الأرض ومغاربها، ونفس العادات، ونفس المصادر الثقافية نفسها، وهو الأمر الذي - من حيث الاستقراء - نكتشف بأنه لا يصح؛ إذ كل أقلية يهودية تطبعت واعتادت بعادات وطبائع المجتمعات التي عاشت بينها، خاصة وأن تلك الطوائف القاطنة على شكل أقليات كانت تابعة محكومة، ولم تكن في مكانة الريادة إلا في استثناءات قليلة.

كما أن مفهوم "التأريخ اليهودي" يجرنا إلى إشكال في مصادر وصحف بني إسرائيل - تلك الصحف التي تجعل من اليهود - ومن ثمة بني إسرائيل - "شعب الله المختار"، والاختيار يعني درجة من درجات الحُلولية الكُمُونية الواحدية، وقد تزايد الحلول والكمون الإلهي في الأمة اليهودية إلى أن وصل إلى مرحلة "وحدة الوجود"، فتوحَّد الإله والشعب وتاريخه وأرضه، وأصبح هناك جوهر واحد للأمة والإله، لا يوجد واحد منهما دون الآخر، ويصير تاريخ هذا الشعب محط

(1) "العهد القديم" هو مصطلح مسيحي، يقصد به: مجموع "التوراة" وأسفار الأنبياء، وكتب الحكمة والأناشيد، ويأتي التعريف بها في الفصل الثاني بإذنه تعالى.

عناية الإله، بل يصير تجسيدا لفكرة مقدسة مطلقة، فيتداخل المطلق والنسبي، والمقدس والمدنس، وتصبح أية حادثة تقع لليهود ذات دلالة دينية عميقة...بحسب الأستاذ عبد الوهاب المسيري[1].

من هنا تختلط النظرة الدينية مع الواقع التاريخي من طرفين؛ فتصبح النظرة الدينية تجسيدا للتاريخ وإن لم يكن واقعا، وتصير الرواية التاريخية ذات عمق ديني وإن لم يكن له تأصيل!. فيتمايز "التاريخ اليهودي" بتمايز الاعتقاد، وتتنوع الطوائف اليهودية بتنوع الروايات التاريخية واختلافها.

وأخطر من هذا: يتنوع "المستقبل اليهودي" والنظرة إليه، سواء عند اليهود، أو عند النصارى المعتقدين في "العهد القديم"، خاصة البروتستانت؛ فمن أرض ميعاد، ومن هولوكوست، ومن عداء مع البابليين والأشوريين، والعمونيين والآراميين...إلخ، بناء على تلك الروايات أو تلك العقائد. ومن هنا؛ يمكننا فهم الاختلاف بين "اليهودية" و"الصهيونية"[2].

إن النظرة إلى التاريخ اليهودي بواقع مستقل عن النظرة الشمولية لحركة الشعوب الإنسانية، وبفلسفة العقلية ليهودية واحدة في مختلف بلاد العالم، لا تتأثر بالمحيط الخارجي، إنما تؤثر فيه بما أودع الله لها من قداسة، كما أنها تعيش مرحلتين:

الفعل؛ وهو التشريف والصيرورة شعبا بدون أرض.

إلى رد فعل؛ وهو: الرجوع إلى الأرض، وبناء الهيكل على النمط الذي حدده لها "قورش الأخميني"[3].

فنموذج "التاريخ اليهودي" يُسقط إنسانية اليهودي، ويخلع عليه هالة أسطورية لا تاريخية، إذ يضعه خارج التاريخ الإنساني الفعلي.

---

(1) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (1/ 369).

(2) الصهيونية: مصطلح يتعلق بمفهوم حركي عقدي يهودي، يأتي التعريف به في الفصل الرابع إن شاء الله.

(3) أحد ملوك الفرس، وهو الذي أعاد اليهود للقدس، وابتدأ بناء "الهيكل الثاني" عام 538 ق.م.

غير أنه في إطار أكاديمي؛ لا شك أن أية أقلية انتشرت فروعها في الشرق والغرب، وتجمعها مصادر وجذور مشتركة، ليس من البدع إفرادها بدراسة تاريخية مبنية على مفهومها هي في حد ذاتها، ثم مقارنة تلك الاعتبارات والمصادر بالقواعد العامة لعلم التاريخ وديناميةالحراك الإنساني، اطرادا مع سيرورة الزمن.

ولذلك فإن دراسة "التاريخ اليهودي" مع إغفال تطبيق تلك الدراسة مقارنة بالقواعد التاريخية الطبيعية العامة، سينشأ عنه نوع من "الديماغوجية المعرفية" التي لا شك سيبرر بها "الطرف القوي" ثقافيا وماديا، وسياسيا وعسكريا، تصرفاته في أرض الواقع.

ولكن الذي يعنينا هنا من مفهوم عقدي؛ هو: كيف صارت الحكايات التاريخية مصادر في استنباط المفاهيم العقدية، وبذلك أصبحت لها "القوة الدينية" لتعصب الجماعة، واتخاذها موقفا من الآخر، ولتمايز الجماعة عقديا بأسباب غير عقدية عن غيرها من الجماعات، وهو الأمر الذي يتسبب عنه نوع من القطيعة مع الآخر، وعائق أساسي في الحوار المتبادل.

المبحث الثاني: النبوة عند بني إسرائيل:

اختلف الباحثون في معنى "نبي" في اللغة العبرية، وإن كانوا اتفقوا على أنها كلمة سامية عريقة؛ فمنهم من رد معناها إلى: تنبأ، أو أنشد، أو أصبح مجنونا "مجذوبا"، مدعوا...إلخ. وكلها قد تنصب في معنى واحد، وهو: النبي الرسول، وما يصاحب حالة الوحي والخلوة من غيبة وترنم. وهو المعنى الذي اعتمدته الترجمة السبعينية حين استخدمت الكلمة اليونانية Prophet للتعبير عن هذا المعنى[1].

وكما كانت كلمة "النبوة" عند بنى إسرائيل تفيد معنى: الإخبار عن الله، ولذا

(1) عقد الأستاذ عباس محمود العقاد بحثا مفصلا حول الاشتقاق اللغوي والتاريخي لكلمة "نبي" باللغات العربية والعبرية والقديمة، وذلك في كتابه "أبو الأنبياء"، ضمن "المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ عباس محمود العقاد" ج11، منشورات دار الكتاب اللبناني - بيروت الطبعة الأولى سنة 1978م، ص151، وقد لخصنا زبدته هنا، مع إضافات أخرى.

كانت تطلق على معنى النبي الموحى إليه، كما هو المفهوم عند المسلمين، وكانت تطلق - أيضا - على من يتخرجون من المدارس الدينية، حيث كانوا يتعلمون فيها تفسير شريعتهم، كما كانوا يدرسون - أيضا - الموسيقى والشعر، لذا كان منهم شعراء ومغنون وعازفون على آلات الطرب، وبارعون في كل ما يؤثر في النفس ويحرك الشعور والوجدان، ويثير رواكد الخيال.

ومن المسلَّم به أن خريجى هذه المدارس لم يكونوا على درجة واحدة من الصفاء الذهنى، والإدراك العقلى، كما لم يكونوا كلهم على درجة واحدة من التقوى والصلاح، ولذا لم تفرق الكتب المقدسة قبل الإسلام في حديثها عن الأنبياء بين من يتلقون الوحى من الله، وبين من يَدرُسون شريعة الله ويشرحونها للناس، فجاء حديثها - أحيانا - عن أنبياء كذبة؛ إذ نجد في "سفر أشعياء" حديثا عن النبى الكذاب، حيث يقول: "الشيخ المعتبر هو الرأس، والنبي الذي يعلم بالكذب هو الذنَب". ("أشعياء" 9/ 15).

ولذلك؛ فالنبوة عند بني إسرائيل، وبالمفهوم التراكمي لصحف العهد القديم، تندرج في تعاريف متعددة:

أ- النبوة الرسالية التي يسيطر عليها الوحي.

ب- التنبؤ، سواء عن طريق الأحوال والمكاشفات والمنامات.

ت- ثبت تاريخيا أنه كانت في بعض الفترات مدارس تخرج الأنبياء عند بني إسرائيل.

ث- يطلق لفظ "النبي" أحيانا على الفيلسوف الكبير، والخبير الاستراتيجي.

وحيث إن الشأن الديني في بني إسرائيل كان منظما ضمن طبقات دينية معينة؛ كالطبقة الكهنوتية، و"بني الأنبياء"، و"الأنبياء المحترفين"، و"الأنبياء الكذبة"، و"العرافين"، والمتنبئين"، و"المنجمين"، والذين كان من بينهم من يذيع النبوة من جهة، ومن يحارب النبوة من جهة أخرى نظرا لإبطالها لما هم عليه[1]؛ ولذلك نتج

(1) تحدث عن النبوة في بني إسرائيل بتفصيل مجموعة من الباحثين، منهم: الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه "حياة المسيح" المنشور ضمن "المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ

عما سلف الآتي:

أ- كثرة الأنبياء عند بني إسرائيل.

ب- كثرة الأدعياء بين المتنبئين.

ت- عدم هيبة مقام النبوة.

كل ذلك تسبب عنه نسبة أباطيل للأنبياء فيما يتعلق بالأخبار وبالتنبؤات، ونفي حقائق بلغت عن طريق أنبياء لم يعترف بهم اليهود؛ كيحيى وعيسى ابن مريم عليهما السلام[1].

كما أنه يجب التنويه إلى أن فترة الأنبياء عند بني إسرائيل تبدأ من سيدنا موسى عليه السلام، فمن قبله يعتبرون آباء بحسب الاصطلاح، وإن كانوا يعتبرون أنبياء عندهم أيضا. ومن بعد موسى عليه السلام: أنبياء، إلى زمن سيدنا عيسى عليه السلام الذي اختلفوا فيه.

ويحاول الحبر الكبير موسى ابن ميمون[2] الخروج من هذه الإشكالية بوصفه للأنبياء بأنهم: "باعتبارهم من المصطفين الأخيار؛ يجب أن يكونوا على خلق عظيم؛ لأن الإله لا يمكن أن يختار لمثل هذه المهام الجليلة أناسا سيئين...واعلم أن النبوة في حقيقتها فيض من الله يحصل بواسطة العقل الفعال على مستوى الملكة العقلية أولا، ثم بعد ذلك على مستوى القوة الخيالية، إنها أعلى الدرجات عند الإنسان،

عباس محمود العقاد" ج11، منشورات دار الكتاب اللبناني - بيروت الطبعة الأولى سنة 1978م.

(1) "حياة المسيح" ص237.

(2) موسى بن إسحاق ابن ميمون القرطبي ثم الإسكندري، من عظماء اليهود، كان يقال وقد كتبت على قبره ببيت المقدس: "من موسى إلى موسى لم يقم مثل موسى"، وكان الطبيب الشخصي للملك صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، ترك كتبا عظيمة في الفلسفة اليهودية؛ منها: "دلالة الحائرين"، و"تثنية التوراة"، و"بعث الأموات"، ويعد أهم ممثل للفلسفة الأرسطقراطية في الفكر العبري الوسيط. بل زعم فيه بعض اليهود النبوة، واعتبروه نبي بني إسرائيل الثاني بعد موسى عليه السلام. توفي في ديسمبر عام 1204م. وقد كثرت الدراسات حوله وحول فكره، وانظر: "مقدمة لدراسة الفكر العبري الوسيط" ص111.

وأقصى ما يستطيع الجنس البشري بلوغه من الكمال"[1].

المبحث الثالث: المحنة عند بني إسرائيل:

يرتبط تاريخ بني إسرائيل من زمن السبي والاضطهاد بعد يوسف عليه السلام بفكرة المحنة؛ إذ قد تعرض بنو إسرائيل للقتل والسبي في عهد الفراعنة، فجاء موسى عليه السلام وخلصهم وجاز بهم اليم، ثم عبدوا العجل، فعوقبوا بالتيه أربعين عاما، ليبدأ عصر القضاة من النبي يوشع بن نون عليه السلام إلى صموئيل عليه السلام.

وبعد صموئيل يبدأ عصر السبي والشتات الثاني، الذي استمر نحو مائة عام، إلى ظهور نبي الله "الملك" داود عليه السلام، الذي أسس مملكة كبيرة انتهت بعد وفاة سليمان بن داود عليه السلام وابنه رحبعام، ثم خراب "الهيكل الأول" وتفرق بني إسرائيل الثالث، ليبدأ زمن السبي البابلي والشتات عام 586 ق.م. ثم بناء "الهيكل الثاني" عام 516 ق.م، إلى أن تحطم تحطمه الأخير على يد تيتوس عام 70م، والطرد الأخير والتشرذم الذي استمر إلى الآن.

وقد تسبب عن هذه المحن ضياع "تابوت العهد"[2]، الذي يحوي آثار النبي موسى عليه السلام، والصحف المنزلة إليه، التي تضم "التوراة" كاملة، و"الوصايا"،

---

(1) "مقدمة لدراسة الفكر العبري الوسيط" ص146.

(2) "تابوت العهد"، أو "تابوت الشهادة"، أو "سفينة العهد": صندوق من خشب السنط، طوله ذراعان ونصف، وكل من عرضه وارتفاعه ذراع ونصف، وهو محلى بالذهب من الداخل والخارج، بقي التابوت مدة في الخيمة في الجلجال، ثم نقل إلى شيلوه حين وقع في أيدي الفلستيين، ثم أعيد لليهود ليفقد في إحدى الحروب، ولا يعلم محله إلى الآن. ولهذا التابوت رمزية كبيرة لدى اليهود وقداسة، وهو يضم عصا موسى، و"التوراة" الكاملة، وغير ذلك من الأمور المقدسة، وكان اليهود يحملونه معهم في حروبهم ويعتقدون أنه سبب للنصر، ثم كانوا يعيدونه إلى خيمة الاجتماع داخل "قدس الأقداس" في "الهيكل"، ولا يجوز لأحد الاطلاع عليه سوى الكاهن الأعظم. وقد ورد ذكره في القرآن الكريم، وفي "العهد القديم". وانظر "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (1/ 409)، غير أنه تحدث عن هذا التابوت بشكل غير موضوعي.

وعصا موسى، ثم ضياع صحف "العهد القديم"، التي اضطر الأحبار إلى جمع ما علق منها بالبال من أذهانهم. ثم ظهور الفتاوى الكثيرة التي عني بها الأحبار من أجل حفظ البقايا اليهودية من الاندماج في مجتمعاتها وتضييع هويتها، وهي الفتاوى التي شكلت فيما بعد "المشنا" التي كانت النواة لكتاب "التلمود" كما يأتي لاحقا[1].

من هنا تظهر علاقة المحنة بتاريخ وفكر الإسرائيليين، وتعلقهم بالأرض التي أوجدت أوج عزهم في مملكة داود عليه السلام.

أضف إلى ذلك كثرة التشديد في الديانة اليهودية، حتى صار الأمر لا يكاد يطاق؛ كفرض الصلاة في "الهيكل"[2]، واعتزال النساء في المحيض مطلقا، وقتل النفس من أجل التوبة، وصعوبة أبواب التوبة...إلخ، وهو الأمر الذي جعل اليهودي - الكثير المشاكسة والمعاصي وقتل الأنبياء - دائما تحت تهديد اللعنة والغضب من الله تعالى. ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾. [المائدة: 78، 79].

ولا شك أن حالة المحنة والضيق ستشيع بين الأمة الإسرائيلية فكرة "الخلاص" والذي لا يأتي إلا على يد "مخلص". وهو الأمر الذي تناثر في العديد من نبوءات الأنبياء في فترتي القضاة والشتات الأخير.

المبحث الرابع: التعريف بالديانة اليهودية יְהוּדִים:

اختلف في معنى لفظة "يهود" إلى أقوال:

الأول: قيل بأنها من التوبة والندم؛ وهو: الهوَد المذكور في القرآن الكريم:

---

(1) يأتي تعريف "التلمود" وما يتضمنه من كتابات في الفصل الثاني بإذنه تعالى.

(2) "الهيكل"؛ هو: المعبد الرئيسي الذي بناه النبي سليمان بن داود (الملك) في القدس، ويكتسي طابعا مقدسا في الديانة اليهودية، بحيث يجب الحج إليه مرتين في العام، وهو يضم: "قدس الأقداس". وقد بني أول مرة عام 960ق.م، وهدمه البابليون عام 586ق.م، ثم أعاد اليهود بناءه عام 516ق.م، ليتم هدمه على يد الرومان نهائيا عام 70م. انظر "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (1/ 372)، و"الموسوعة الحرة" موقع إلكتروني.

﴿إنا هُدنا إليك﴾. [الأعراف: 156][1]، وهي بذلك تكون نسبة إلى كلمة عربية. ومعنى هُدنا: تبنا ورجعنا، وأنبنا إليك، قال تعالى: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى﴾. [البقرة: 111]، قال الإمام القرطبي: "وأجاز الفرَّاء أن يكون هُودًا بمعنى: يهوديا؛ حُذف منه الزائد، وأن يكون جمع: هائد". وعند ابن منظور أن الهود هو: "التوبة، هاد يهود هودا، وتهوَّد: تاب ورجع إلى الحق فهو هائد"[2].

الثاني: نسبة إلى اسم "يهوذا"؛ وهو: الابن الرابع ليعقوب "إسرائيل" عليه السلام، ويهوذا اسم عبري معناه: حمد[3]، وقد مدحه أبوه يعقوب حيث قال: "يهوذا؛ إياك يحمد إخوتك، يدك على قذل أعدائك، يسجد لك بنو أبيك، يهوذا شبل أسد من فريسة صعدت يا بني جثم وربض كأسد وكلبؤة، فمن ضمن ذا يقيمه". (سفر "التكوين" 49/ 8، 9).

يقول الأستاذ عبد الوهاب المسيري: "تتكون كلمة "يهودي" من قسمين: "يهوه" وتعني: الرب، و"ودي"؛ وتعني في الأصل السامي: الإقرار والاعتراف والجزاء، ومنها - أيضا - كلمة "دية" عند العرب، وهكذا تعني الكلمة: شكر الإله، أو الاعتراف بنعمته. وقد اشتقت "ليئة" زوجة يعقوب عليه السلام هذا الاسم لابنها الرابع من هذا المعنى حسب سفر "التكوين"، فأسمته: "إيهودا"، وإليه ينتسب اليهود باعتبارهم قبيلة من قبائل العبرانيين الاثني عشر. وقد أطلقت الكلمة على مملكة يهودا المملكة الجنوبية - ثم اتسعت دلالتها بعد التهجير الآشوري واختفاء سكان مملكة يسرائيل من مسرح التاريخ، واستمرار مملكة يهودا قرنين من الزمان، فأصبحت تطلق على كل من يعتنق الديانة اليهودية في أي زمان ومكان، بصرف

---

(1) "الملل والنحل" 1/ 217، تأليف أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: أبي محمد محمد بن فريد، منشورات المكتبة الوقفية - القاهرة، الطبعة الأولى سنة 2003م.

(2) "الجامع لأحكام القرآن" تأليف محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، منشورات دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى عام 1418/ 1998. (2/ 74).

(3) "قاموس الكتاب المقدس" تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص اللاهوتيين، كتاب إلكتروني ص1085.

النظر عن انتمائه العرقي أو الجغرافي"[1].

وهذا القول على تفصيله، هو جمع بين الأقوال أعلاه؛ إذ لا خلاف في أن "الإقرار" و"الاعتراف" يشملان معنى الرجوع والتوبة، والذي هو "الهوَد" باللغة العربية، وهو من اشتراك اللغتين في الألفاظ والمصطلحات نظرا لانتماء كليهما للجذر السامي[2].

يؤمن أرباب هذه الديانة بالله الواحد، الخالق لكل شيء، وبالشريعة، ويمكن تلخيص تلك العقائد في الوصايا العشر التي تلقاها نبي الله موسى عليه السلام في الألواح، واتخذها جميع اليهود بالقبول بحيث تعد "جوهر اليهودية"[3]، وهي مبثوثة

---

(1) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (1/ 102).

(2) أرى من المناسب هنا إدراج مجموعة من التعريفات متعلقة بالبحث؛ فمنها: العبرانيون: اسم يختص إبراهيم عليه السلام وبنيه، قيل: لأنهم عبروا نهر الفرات، وقيل: لأنهم عبروا نهر الأردن إلى أرض كنعان، وقيل: لأنهم عبروا. وقيل: إنما سمي اليهود عبرانيين لأنهم عبروا البحر مع موسى عليه السلام، وهذا تعريف أضيق من التعريف الأول (ياقوت الحموي: "معجم البلدان" (4/ 78)، وقيل: إن أصل الاسم نسبة إلى "عابر" أحد أجداد إبراهيم عليه السلام ("تاريخ ابن خلدون" (2/ 38)، تأليف عبد الرحمن ابن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: الأستاذ خليل شحاتة، مراجعة: الدكتور سهل زكار، منشورات: دار الفكر للطباعة، ولنشر والتوزيع - بيروت، طبعة أولى عام 1421/ 2001. ووردت لفظة "عابر، عابير، خابيرو) كلفظة سومرية تعني: المهاجر أو العابر للحدود. كما استخدمت لتدل دلالة جغرافية على شعب بلاد العابري أو الخابري. ("نقد الدين اليهودي"، تأليف جميل خرطبيل، منشورات صفحات للدراسات والنشر، الطبعة الثانية - دمشق سنة 2007م. ص14). ويرى الأستاذ العقاد أنها لفظة عامة كانت تطلق قبل وجود بني إسرائيل في نحو القرن العشرين قبل الميلاد، على العديد من القبائل الرحل في صحراء الشام. وقد جاءت بهذا المعنى في الكتابات السماوية والفرعونية، ثم أطلق اللفظ فيما بعد على اليهود. "أبو الأنبياء" ص125.
أما اسم: الإسرائيلي؛ فهي: نسبة لإسرائيل الذي هو يعقوب بن إسحاق عليهما السلام، وهو الذي ينتمي إليه الأسباط أجداد اليهود.

(3) يقول الأستاذ عبد الوهاب المسيري في "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" 2/ 28: "ويذهب بعض الدارسين إلى أن الوصايا العشر: جوهر اليهودية، لكننا لا نأخذ بهذا الرأي، فاليهودية تركيب جيولوجي تراكمي داخله طبقات عديدة، والوصايا العشر تعبير عن هذه الظاهرة نفسها؛ فهي تضم وصايا ذات توجه توحيدي وأخرى ذات توجه حلولي قومي لا

بعدة صيغ في سفري "الخروج" و"التثنية" من أسفار "العهد القديم"؛ فهي موجودة في: "الخروج" 20/ 1 - 17، "الخروج" 34/ 5 - 28، "الخروج" 34/ 11 - 26، "التثنية" 5/ 6 - 21، ويمكن إجمال نصها في التالي:

1- لا يكن لك آلهة أخرى أمامي.

2- لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، ما في الأرض من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن؛ لأني أنا الرب إلهك إله غيور، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء، في الجيل الثالث والرابع مِن مُبغضي، وأصنع إحسانا إلى ألوف من محبي، وحافظي وصاياي.

3- لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا؛ لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا.

4- اذكر يوم السبت لتقدسه. ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك، أما اليوم السابع؛ ففيه سبتٌ للرب إلهك، لا تصنع عملا ما أنت وابنك وابنتك، وعبدك وأمتك وبهيمتك، ونزيلك الذي داخل أبوابك.

5- أكرم أباك وأمك لتطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك.

6- لا تقتل.

7- لا تزن.

8- لا تسرق.

9- لا تشهد على قريبك شهادة زور.

10- لا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك ولا عبده، ولا أمته ولا ثوره،

أخلاقي!، وبالتالي فهي في تناقضها تؤكد طبيعة اليهودية كتركيب جيولوجي، ومن الصعب أن نعتبرها جوهر اليهودية إلا بناء على هذه الحقيقة". قلت: ولا شك أن في هذا الكلام تناقضا، فبغض النظر عن كونها - بحسب الأستاذ المسيري - تضم وصايا ذات توجه لا أخلاقي؛ فإن هذا لا يصرفها عن كونها محل إجماع لدى الطوائف اليهودية، وبذلك عنصرا أساسيا في التعريف بالديانة اليهودية وإبراز ملامحها.

ولا شيئا مما لقريبك.

من هنا تبرز محورية "الوصايا العشر" في الديانة اليهودية، وابتناء الديانة عليها ككل، وبتحليل لتلك الوصايا يتبلور مفهوم "الخلاص" جليا في "الديانة اليهودية"، المبني على شقين: شق إيماني، وشق عملي تشريعي.

وقد اختلف الباحثون في مجال العقيدة في تحديد مفهوم شامل للديانة اليهودية، نظرا للتباين الكبير بين أربابها في أصول العقيدة، وتأثر كل طائفة بالفترة الزمانية التي عاشتها، وفي تأخر طويل لتدوين "التوراة" والكتب المقدسة.

يقول الأستاذ عبد الوهاب المسيري: "تتميز اليهودية كنسق ديني بغياب التجانس، والتعددية المفرطة، التي تصل إلى حد التناقض، نظرا لظهورها في مرحلة متقدمة نسبيا من التاريخ، ولأنها استوعبت الكثير من العناصر الدينية والحضارية من الحضارات التي وجدت فيها. فقد استوعبت الكثير من العناصر من الحضارات المصرية والأشورية، ثم تأثرت تأثرا عميقا بالإسلام والمسيحية، إلى جانب استيعابها عناصر أخرى شعبية وخرافية، وكل هذا جعل اليهودية تشبه التركيب الجيولوجي التراكمي، المكوَّن من عدة طبقات الواحدة فوق الأخرى، وبسبب غياب التجانس يكون من الصعب تعريف هوية اليهودي!"[1].

أما الشهرستاني فقد عرف اليهود بأنهم: "أمة موسى عليه السلام، وكتابهم: التوراة!"[2].

وتعرفهم "الموسوعة الحرة" بأنهم: "مجموعات وطنية وإثنية عقدية تنتمي إلى الإسرائيليين أو العبريين القاطنين سابقا في الشرق الأدنى"[3].

Are a nation and ethnoreligious group originating in the Israelites or Hebrews of the Ancient Near East.

وتعرفها "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة"

---

(1) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (2/ 19).

(2) "الملل والنحل" 1/ 217.

(3) ويكيبيديا الموسوعة الحرة، موقع إلكتروني محكم.

بأنها: "ديانة سماوية، تنسب للعبرانيين المعروفين بالأسباط من بني إسرائيل، الذين أرسل الله إليهم نبي الله موسى عليه السلام مؤيدا بالتوراة ليكون لهم نبيا"[1].

قلت: غير أنه بتتبع للعهد القديم، واختلاف الفرق اليهودية واتفاقها؛ يمكننا بلورة تعريف شامل بالديانة اليهودية، تتفق عليه جميع الفرق اليهودية؛ فهي: "*ديانة سماوية ينتمي إليها مجموعة من بني إسرائيل أو المنتسبين لبني إسرائيل، يؤمنون بالله، وبنبوة موسى وهارون ويوشع بن نون، ويعتقدون أنهم شعب الله المختار، وأن الله وعدهم بأرض فلسطين لبناء هيكل سليمان في القدس، وكتابهم "التوراة"، ويؤمنون بالوصايا العشر*".

هذا التعريف يعتبر تعريفا شاملا لليهودية، وعليه تتفق جميع طوائفها؛ فقولنا: "ديانة سماوية" يعني: أنها - بحسب الأصل - منسوبة إلى الوحي السماوي لا ديانة وضعية كحال الزرادشتية والبوذية.

وقولنا: "ينتمي إليها مجموعة من بني إسرائيل أو المنتسبين لبني إسرائيل": يعني أنها مقصورة على بني إسرائيل، فهي ديانة عرقية، ليست للعموم، ولكن ليس كل بني إسرائيل ينتمون إليها، كما أن أتباعها ليسوا كلهم من بني إسرائيل، نظرا لضياع الأنساب، ودخول الدخلاء أثناء المحن المتكررة والشتات.

وقولنا: "يؤمنون بالله": فاليهود يؤمنون بالله، ولكن لم نقل الواحد أو الأحد؛ لاختلاف بيّن بين اليهود في تعريف الإله نفسه، من طائفة اعتبرته إلها لبني إسرائيل فقط، إلى أخرى اعتبرته الإله الواحد الأوحد، وأخرى ادعت إلها للشر وآخر للخير، وأخرى زعمت العزير ابن الله، كما يأتي في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.

وقولنا: وبنبوة موسى وهارون ويوشع بن نون. لا يقتصر إيمان اليهود على هؤلاء فقط، ولكنهم لا يجمعون إلا على هؤلاء، ويختلفون فيمن سواهم بحسب المذاهب والعقائد.

---

(1) "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة" (500/1) إشراف وتخطيط ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني، منشورات دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الرابعة عام 1420هـ/ 2000م.

وقولنا: "يعتقدون أنهم شعب الله المختار"، هي عقيدة يهودية متجذرة في سائر طوائف اليهود.

وقولنا: "وأن الله وعدهم بأرض فلسطين لبناء هيكل سليمان في القدس"، هي فكرة "أرض الميعاد"، ويتفق عليها سائر الطوائف اليهودية، وإن كانوا يختلفون في كيفية هذا الوعد.

وقولنا: "وكتابهم: التوراة". لأنهم يتفقون عليها، وهي: الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم، كما يأتي بيانه إن شاء الله في الفصل الثاني، وذلك لأن اليهود اختلفوا اختلافا بينا في غير الأسفار الخمسة بين معترف ومنكر.

وقولنا: "يؤمنون بالوصايا العشر"؛ هي: الوصايا التي أوحى الله بها لموسى عليه السلام في طور سيناء، فهم يجمعون عليها وعلى الإيمان بها، ويعتبرونها روح الشريعة الموسوية.

المبحث الخامس: تحرير مفهوم "الخلاص" في اليهودية:

بتحليل للوصايا العشر في الديانة اليهودية، يمكن استخلاص مفهوم "الخلاص" الذي ينبني عليه الانعتاق من الذنب والدخول في الرضوان الأزلي في الديانة اليهودية. فالخلاص في الديانة اليهودية مبني على شقين:

الشق الأول: وهو شق إلهي، مبني على الإيمان بالله الواحد، الذي تسمى في المصادر اليهودية بعدة أسماء: إيل، إلوهيم، بعل، يهوه[1]. وهو الرب الذي لا

(1) هذه أسماء كلها تدل على الله تعالى، ولكن يقسمها الباحثون بحسب اللغة والمفهوم إلى مراحل يعتبرونها تقسيما لمراحل الديانة اليهودية نفسها. وتلك الأسماء هي:
أيل: وهو اسم جنس يدل على الألوهية بصفة خاصة، ويدل على المسمى المحدد الذي هو "الله"، كما أنه ورد عن لغات سامية أخرى أقدم من العبرية. وورد في العربية كذلك.
إلوهيم: صيغة جمع ليست للتفخيم، أطلقتها الأسفار الأولى في "التوراة" على "الله"، لا سيما في "سفر التكوين"، و"المزامير" من رقم (42 - 74)، ولذلك سميت: "مزامير (إلوهيم)"، ويرى المستشرق غوستاف لوبون أنها بمعنى: الأعلى.
بعل: ويعني في اللغة السامية: السيد أو: الرب، وهو إله كان يعبده الكنعانيون، واليهود يعتبرون اسم "بعل" مرادفا لاسم "الله" أو الرب، فكان "بعل بريث"؛ أي: رب العهد الذي

شريك له، الله هو الكائن الذي يكون كل شيء من خلاله، وبدونه ما كان أو يمكن لشيء أن يكون.

اليهودية تؤمن بالوحدانية المطلقة لهذا الكائن...وبكلمة "أحد" لا تعني اليهودية أنه لا توجد آلهة أو قوى أخرى منافسة لله فحسب، بل تعني بأن وحدانيته المتفردة والمطلقة، تحيط بكل الأشياء وكل الظواهر. لا شيء سوى؛ أي: لا شيء يوجد خارج الله...فكل الأشياء - الناس والأماكن والطاقة والمعطيات وقوانين الطبيعة والأبعاد التي تعمل فيها - كلها من صنع الله.

ولما لا يمكن لشيء أن يوجد خارجه؛ فهو الخالق - ليس فقط بمعنى خلق الكون أصلاً من لا شيء، بل في الاستمرار السائر لذلك العالم...وفي حاصل الأمر؛ فان إرادته تخلق كل الأشياء على الدوام.

الله متفرد لدرجة أن إدراكه بصورة كاملة ودقيقة، يتطلب من المرء أن يكون إلهاً. أما ما نعرفه عن الله محصور بمحدوديات الإدراك البشري[1].

وقد جادل بعض المفكرين اليهود كموسى بن ميمون بأننا لم نقدر على إصدار بيانات مؤكدة عنه؛ لأن أي شيء قلناه عنه من شأنه أن يحدّ منه ويقلل من شأنه، فإذا وصفنا الله بأنه حكيم أو أكثر حكمة من أي شيء يمكن أن نتخيله؛ فإننا

يعبدون به الله في "شكيم" زمن القضاة. وقيل بأنهم كانوا يعبدون وثنا "بعل" وليس مرادفا لله تعالى.

يهوه، ويهيه: وهي أشهرها، وقد أطلق على "الله تعالى" في آخر مراحلهم، وهو لفظ معناه: الموجود (الكامن). وأرى أن لفظ "يهوه" هو اسم باطني يناسب ما عند الصوفية المسلمين من لفظ "هو"، وهو يدل على الوجود المطلق لله تعالى ولا شيء سواه، ويعتبرونه أنكر النكرات، بمعنى أوضح المعرفات، ولا يذكر به إلا خاصة الخاصة، كما أن اليهود لا يجيزون لأحد أن يسمي الله بهذا الاسم إلا خاصتهم، خلافا لما زعمه بعض الباحثين من أنه اسم إله إسرائيل، بمعنى اعتقادهم بوجود آلهة أخرى. وانظر "أطلس الأديان: تاريخ، عقائد، انتشار" تأليف: سامي بن عبد الله المغلوث، منشورات "العبيكان للنشر" - الرياض، الطبعة الثانية عام 1430هـ/ 2009م ص143.

(1) "موسوعة الأديان" موقع: Jawwad.org.

بهذا الوصف نحدده؛ لأن هناك حداً لتصورنا للحكمة، بينما يتجاوز الله في الحقيقة ذلك الحد في الحكمة، وقد جادل الميموني بأننا يجب أن نتكلم فقط عن السلبيات؛ إذ يمكن أن نتكلم بدقة عن أشياء ليست من صفات الله...فنستطيع أن نقول بأن الله لا تنقصه حكمة أو قوة أو أي قدرة أخرى.

وقد لخص الحبر اليهودي الشهير موسى بن ميمون أهم مبادئ الديانة اليهودية المتعلقة بالاعتقاد في ثلاثة عشر بندا جعلها أركان الإيمان اليهودي[1]؛ وهي:

-أنا أومن إيمانا كاملا بأن الخالق تبارك اسمه هو الموجد والمدبر لكل المخلوقات، وهو وحده الصانع لكل شيء فيما مضى وفي الوقت الحالي وفيما سبق سيأتي.

-أنا أومن إيمانا كاملا بأن الخالق - تبارك اسمه - واحد لا يشبهه في وحدانيته شيء بأية حال، وهو وحده إلهنا كان منذ الأزل وهو كائن، وسيكون إلى الأبد.

-أنا أومن إيمانا كاملا بأن الخالق - تبارك اسمه - ليس جسما، ولا تحده حدود الجسم، ولا شبيه له على الإطلاق.

-أنا أومن إيمانا كاملا بأن الخالق - تبارك اسمه - هو الأول والآخر.

-أنا أومن إيمانا كاملا بأن الخالق - تبارك اسمه - هو وحده الجدير بالعبادة لا غيره.

-أنا أومن إيمانا كاملا بأن كل كلام الأنبياء حق.

-أنا أومن إيمانا كاملا بأن نبوة سيدنا موسى عليه السلام كانت حقا، وأنه كان أبا للأنبياء، من جاء قبله ومن جاء بعده.

-أنا أومن إيمانا بأن كل "التوراة" الموجودة الآن بأيدينا هي التي أعطيت لسيدنا موسى عليه السلام.

---

(1) لا يسلم أن تلك المبادئ كلها قد اتفق عليها اليهود، فسنجد في الفصل الثالث أن مجموعة من تلك المبادئ هي محل نظر بين الطوائف اليهودية في السابق والحاضر.

-أنا أومن إيمانا كاملا بأن كل هذه "التوراة" غير قابلة للتغيير، وأنه لن تكون شريعة أخرى سواها من قبل الخالق تبارك اسمه.

-أنا أومن إيمانا كاملا بأن الخالق - تبارك اسمه - عالم بكل أعمال بني آدم وأفكارهم؛ لقوله: "هو الذي صور قلوبهم جميعا وهو المدرك لكل أعمالهم".

-أنا أومن إيمانا كاملا بأن الخالق - تبارك اسمه - يجزي الحافظين على وصاياه ويعاقب المخالفين لها.

-أنا أومن إيمانا كاملا بمجيء المسيح، ومهما تأخر فإنني أنتظره كل يوم.

-أنا أومن إيمانا كاملا بقيامة الموتى في الوقت الذي تنبعث فيه بذلك إرادة الخالق، تبارك اسمه وتعالى ذكره، الآن وإلى أبد الآبدين[1].

الشق الثاني: الشريعة، أو: العبادات، وهي وجوب القيام بالصلوات، وأن تكون لله وحده لا لغيره، وأن يتخلق العبد بأخلاق معينة؛ كطاعة الوالدين، وعدم أكل المال الحرام، وعدم الزنا، وعدم شهادة الزور...إلخ. وهذه العبادات المتعددة تعتبر أساسية في مفهوم الدين اليهودي، وبالضرورة أساسية في مفهوم "الخلاص" اليهودي؛ لأن عدم القيام بها يُعتبر إخلالا بالوصايا العشر المنزلة على النبي موسى عليه السلام.

وباعتبار كثرة الأنبياء في بني إسرائيل، وتعداد الصحف المنزلة عليهم، وتعدد الأدوار التاريخية التي مرت بهم، وتنوع السلط الدينية بين مؤسسة دينية يقودها الأحبار، وما يمكن التعبير عنه بمؤسسة الأنبياء، وتداخل كل ذلك بالسلطة والسياسة والعادات والتقاليد الشعبية التي عرفتها اليهودية ضرورة امتزاجها بالشعوب المجاورة؛ فإن العبادات تعددت فيها، وكثرت شروطها وقيودها إلى حد كبير.

ويمكن تلخيص الشرائع الأساسية لدى الديانة اليهودية في قسمين:

---

(1) د. حسن ظاظا: "الفكر الديني اليهودي: أطواره ومذاهبه" تأليف د. حسن ظاظا، منشورات دار القلم - دمشق/ الدار الشامية - بيروت، الطبعة الرابعة عام 1999م. (ص133 - 135).

الأول: عبادات دورية؛ وهي: الصلاة ممثلة في ثلاث صلوات في اليوم، والصيام؛ ولم يرد في أسفار موسى الخمسة سوى صيام يوم واحد؛ وهو: الكفارة. واختلفوا في أيام الصيام وكيفيته على أقاويل كثيرة. والزكاة: ولها مكانة خاصة ورسوم معينة عند اليهود. والحج: وهو مرتان في السنة، يحج فيهما اليهودي إلى بيت المقدس ويزور "الهيكل"، ويبقى أسبوعا كاملا[1].

يوم السبت: وهو يوم عبادة، توقد فيه الشموع، ويترك الناس العمل مطلقا؛ إذ يحرم العمل فيه؛ لما جاء في الوصايا من أنه: يوم استراحة الرب بعد خلقه السماوات والأرض[2]. وهو عمل مقدس عند سائر طوائف اليهود. بل قد نصت "التوراة" على أن من انتهكه يُقتل[3].

الثاني: الأوامر والنواهي؛ وتشمل جميع التشريعات المتضمنة في "التوراة"، و"التلمود"، وما يتعلق بتلك الكتب من شروح. وهي تتضمن العلاقات بين اليهودي والرب، وبين اليهودي واليهودي، واليهودي وغير اليهودي، كما تشمل تنظيمات الحياة العامة والخاصة، يمكن إيجازها في لفظ: "الشريعة اليهودية". وهو ما يطلق عليه اليهود: "التوراة"، أو: "هالاخاه"، ويأخذ عمل "الختان" واعتزال النساء في المحيض مكانة خاصة في الديانة اليهودية.

وهناك أمران متلازمان مع مفهوم الخلاص لدى الديانة اليهودية، لا ينفك الخلاص بغيرهما؛ وهما: الانتساب ليعقوب بن إسحاق عليه السلام. و"الهيكل".

1- الانتساب ليعقوب بن إسحاق عليه السلام؛ أو ما يطلق عليه لفظ: "الإسرائيلي" أو "شعب الله المختار". يرى اليهود ضرورة انتساب

---

(1) "أطلس الأديان" ص148. د. أحمد شلبي: "مقارنة الأديان اليهودية" تأليف: د. أحمد شلبي، منشورات مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، الطبعة الثامنة عام 1988م. ص21.

(2) "سفر الخروج" الإصحاح 20.

(3) ففي "سفر الخروج" (31/ 14، 15): "فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم، من دنسه يُقتل قتلا، إن كل من صنع فيها عملا تقطع تلك النفس من بين شعبها...كل من صنع عملا في يوم السبت يُقتل قتلا".

اليهودي من أمه أو من أبيه إلى العنصر الإسرائيلي، وهذا الانتساب يعتبر انتسابا مقدسا، نظرا لأن الله - في نظرهم - اصطفى الإسرائيليين على العالمين، بل يمتزج مفهوم الإله والشعب في الفكر اليهودي حتى يكاد يجعلهما شيئا واحدا. وقد أكدت أسفار "العهد القديم" في أماكن متعددة أن الإسرائيليين هم أفضل البشر، وأن الله خصهم بهذه المكانة الرفيعة، ودونهم بقية البشر، وهم أبناء الله المباركون، بينما بقية الأمم هم أبناء البشر، كما أن الله سيلعن من يلعنهم.

ومن هذه النصوص التي تدل على ذلك: يقول الرب مخاطبا إبراهيم عليه السلام:

"أما أنا فهو ذا عهدي معك، وتكون أبا لجمهور من الأمم، فلا يدعى اسمك بعدُ أبرام، بل يكون اسم إبراهيم؛ لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم، وأثمرك كثيرا جدا، وأجعلك أمما، وملوك منك يخرجون، وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديا لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غُربتك كلَّ أرض كنعان، مُلكا أبديا، وأكون إلههم". ("سفر التكوين" 17/ 4 - 8).

ويقول الرب لشعبه المصطفى:

"لأنك أنت شعب مقدِّس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الربُّ بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم". ("سفر التثنية" 6/7 - 8).

بل إن اليهود زادوا فجعلوا في اللغة العبرية لفظة تدل على أي شعب من الأمم الأخرى غير اليهودية هي: "جوي"، بينما شعبهم يميز عادة بكلمة "عام"، واقترنت كلمة "جوي" في عقولهم بالزراية والاحتقار...وإذا فكر واحد من

"الجوييم" גויים[1] في اعتناق اليهودية؛ فإن الحاخام يبدأ في امتحانه وسؤاله والتشديد عليه، لعله يفلح في صرفه عن الدخول في "شعب الله المختار"، حتى إذا نجح هذا الغريب في الامتحان تم تهويده دون أن ينال حق المساواة حتى مع الزنادقة من بني إسرائيل، ويميز باسم خاص؛ هو: "جير"؛ أي: الجار أو المستجير، أو الداخل تحت الحماية، أي أنه يعتبر من الموالي؛ فيحرم عليه وعلى سلالته من بعده إلى يوم القيامة أن يصاهروا أية أسرة يهودية تحمل لقب "لاوي" - حاليا: ليفي - أو "كوهين"[2].

2- الأرض المقدسة، أو الهيكل المقدس، وكلاهما إشارة إلى أمر واحد فيه تعميم وتخصيص، والمقصود هو: أرض فلسطين، ومدينة القدس الشريف. وقد تألفت قداسة النسب والأرض مع قداسة الرب في الديانة اليهودية، حتى شكلت نوعا من "الثالوث الحلولي، فتقوم وحدة مقدَّسة بين الأرض والشعب لحلول الإله فيهما وتوحده معهما... وهذه الحلولية تمثل طبقة جيولوجية مهمة تراكمت داخل التركيب الجيولوجي اليهودي، تتبدى في إضفاء القداسة على الأرض نتيجة الحلول الإلهي فيها"[3].

ولذا فإن "إرتس يسرائيل" אֶרֶץ יִשְׂרָאֵל (فلسطين) تسمى "أرض الرب" (يوشع 3/9)، وهي: "الأرض التي يرعاها الإله" (تثنية 12/11)، ثم هي الأرض المختارة، وصهيون التي يسكنها الرب، والأرض المقدسة (زكريا 12/2)، التي تفوق في قدسيتها أي أرض أخرى؛ لارتباطها بالشعب المختار، و"الأرض البهية" (دانيال 16/11).

ولذا ورد في "التلمود": "الواحد القدوس تبارك اسمه قاس جميع البلدان

---

(1) جوييم: جمع جوي גוי؛ وهي: لفظة عبرية تعني غير اليهود.

(2) "أبحاث في الفكر اليهودي" ص109. تأليف: حسن ظاظا، دار القلم - دمشق، دارة العلوم بيروت الطبعة الأولى سنة 1407/ 1987، "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (2/ 26).

(3) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (2/ 26)، "أطلس الأديان" ص72.

بمقياسه، ولم يستطع العثور على أية بلاد جديرة بأن تمنح لجماعة يسرائيل سوى أرض يسرائيل".

بل إن تعاليم "التوراة" لا يمكن أن تنفذ كاملة إلا في الأرض المقدسة، بل وكما جاء في أحد أسفار "التلمود" وفي إحدى تصريحات ابن جوريون؛ فإن السكنى في الأرض بمنزلة الإيمان: "لأن من يعيش داخل أرض يسرائيل يمكن اعتباره مؤمنا، أما المقيم خارجها؛ فهو إنسان لا إله له!"[1].

ويطلق على هذه الأرض - أيضا - لفظ "صهيون" צִיּוֹן، وأصل الكلمة غير معروف، إذ كانت تستخدم للإشارة إلى قلعة أو جبل، وهو: جبل داود في القدس الشريف، ويسمى عند اليهود: "جبل صهيون/ هار صهيون" הַר צִיּוֹן، ثم اتسع معناها لتصبح إشارة إلى الأرض المقدسة كلها، ثم إلى الأرض والشعب معا.

وفسر بعض الفقهاء اليهود كلمة "صهيون" بأنها: "المكان الذي اختاره الإله واصطفاه بالمعنى الديني وحسب"، فهي ليست موقعا جغرافيا بل مفهوم ديني، ولكن أسقطت "الصهيونية" هذا التمييز وفسرت "صهيون" تفسيرا حرفيا، فلم تعد رمزًا دينيا، بل مكانا ملائما للاستيطان. كما يأتي لاحقا إن شاء الله تعالى[2].

الخلاصة:

من هنا يمكن تلخيص فكرة "الخلاص" لدى الديانة اليهودية في أنها: الإيمان بالإله الواحد الذي لا شريك له، وبنبوة موسى بن عمران عليه السلام، وتنفيذ الشرائع التي جاءت في الكتب المقدسة، والسكنى في الأرض المقدسة أو الحج إليها مرتين في العام على الأقل، والكينونة من بني إسرائيل.

هذه هي البنود التي يجمع عليها اليهود بشتى طوائفهم، مع اختلافهم في تفاصيلها اختلافا بينا كما يأتي في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى، ولكنها تفسر لنا بموضوعية تامة "مفهوم الخلاص" الذي بنيت عليه الديانة اليهودية من أجل الخروج

---

(1) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (2/ 26)، "أطلس الأديان" ص72.

(2) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (2/ 27).

من إثم الخطيئة، كما أنها تبين لنا استقبالا تطور هذا المفهوم لتنشأ عنه فرق يهودية متعددة من ناحية، ولتنشأ عنه الديانة النصرانية - المسيحية التي تعتبر فرعا من الديانة اليهودية، أو نتيجة للفكرة "المشيحانية" كما يأتي لاحقا إن شاء الله تعالى.

الفصل الثاني
إشكاليات متعلقة بمفهوم
"الخلاص" اليهودي

تحدثنا في الفصل الأول عن مفهوم "الخلاص" في الفكر اليهودي حسب تعريفنا، وأنه يعني: الانعتاق من الخطيئة والدخول في حالة الرضا والثواب، وأن هذا الخلاص يدور على عدة مفاهيم أساسية:

1- الإيمان بالله.
2- الإيمان بنبوة موسى عليه السلام.
3- الكون من بني إسرائيل (شعب الله المختار).
4- تطبيق الشريعة الموسوية.
5- الأرض والهيكل.

وقد اختلفت الفرق اليهودية في السابق واللاحق في تعريف كل من هذه البنود الخمسة، وماهيته، اختلافات بينة يأتي تفصيلها في الفصل الثالث أثناء الحديث عن أهم الفرق اليهودية في الماضي واللاحق، ومدى رؤيتها لمفهوم الخلاص.

وما يعنينا هنا هو الواقع اليهودي الحالي، إذ بمعرفة تاريخ العقيدة اليهودية يمكننا استكناه الواقع اليهودي الحالي، وفهم الكثير من العقائد التي تجول في ذهن المتدين اليهودي، والكثير من التصرفات التي يتميز بها الفكر اليهودي.

من هنا يجب التنويه إلى عدة إشكالات بمعرفتها يمكننا تحديد تأثر الواقع اليهودي بفكرة "الخلاص"، وكيف تسبب الاختلاف في تحديد المفهوم في الاختلاف في التعاطي معه، وبذلك التعاطي مع المحيط الخارجي اليهودي.

وسأحدد هنا إشكالات تتعلق بمفهوم "الخلاص" اليهودي في أربع نقاط:

1- إشكالية تدوين "العهد القديم".

2- إشكالية تطبيق الشريعة اليهودية وبناء "الهيكل".

3- إشكالية فكرة "شعب الله المختار".

4- إشكالية "أرض الميعاد".

وعن طريق تحليل تلك الإشكالات يمكننا استكناه جذور وواقع الاختلاف في العناصر الخمسة المكونة لفكرة "الخلاص" في الفكر اليهودي.

المبحث الأول: إشكالية تدوين "العهد القديم":

"العهد القديم" هو لفظة تعني: الأسفار المقدسة لدى بني إسرائيل، وهي تحتوي على الشرائع والقوانين والشعائر والوصايا العشر التي أوصى الإله بها موسى، كما تضم أخباراً تاريخية عن جماعة يسرائيل، وهذا الاصطلاح "العهد القديم" هو اصطلاحي مسيحي لا يعترف به اليهود؛ إذ لا يعترفون بالعهد الجديد. ولكن الفكر اليهودي يقسمها إلى التالي:

أولاً: أسفار موسى الخمسة (بالعبرية: حوميش موشيه)، وتُعرَف أيضاً باسم "التوراة" תּוֹרָה أو "شريعة موسى":

1 - سفر التكوين בְּרֵאשִׁית. ويهتم بوصف الخليقة، وأصل العبرانيين (جماعة يسرائيل) حتى الخروج من مصر.

2 - سفر الخروج שְׁמוֹת. ويروي تاريخ العبرانيين في مصر وخروجهم منها.

3 - سفر اللاويين/ الأحبار וַיִּקְרָא. ويعالج واجبات الكهنة والطقوس الأخرى.

4 - سفر العدد בְּמִדְבַּר. وفيه تعداد رؤساء الشعب وحاملي السلاح، وفيه أيضاً أخبار تذمُّر الشعب، والتجسس على أرض كنعان.

5 - سفر التثنية דְּבָרִים؛ أي: تثنية الاشتراع أو إعادة الشريعة وتكرارها على

جماعة يسرائيل[1].

ويجمع اليهود على الاعتراف بهذه الصحف الخمسة، دون غيرها، وإن كان لفرقة "السامرية" توراة أخرى تختلف عن هذه في آلاف المواضع يعتقدون أنها هي "التوراة" الحقيقية، وقد طبعت حديثا كما ياتي إن شاء الله تعالى.

ولكن اليهود اختلفوا في تدوين هذه "التوراة" على عدة أقوال؛

-فمنهم: من قال بأنها وحي من الله لموسى عليه السلام.

-ومنهم: من قال بأنها من كلام موسى عليه السلام نفسه.

-ومنهم: من قال: إنها من كلام موسى عدا الوصايا العشر فإنها من الكلام الله تعالى.

-ومنهم: من قال: إنها من كلام النساخ الذين كانوا ينسخون ما يتكلم به موسى وما يحدث له من الوقائع، خاصة مع وجود أخبار موت موسى في هذه "التوراة" وهو ما يستحيل أن يكون قاله هو أو كتبه.

-ويحكي الحبر إسحاق الأورشليمي أن فرق اليهود مجمعة على أن "التوراة" التي بين أيديهم ناقصة، وأن النسخة التامة ضاعت في "تابوت العهد" عند هدم

---

(1) يقول الحبر السموأل بن يحيى المغربي في كتابه "بذل المجهود في إفحام اليهود"، تقديم واعتناء: محمد أحمد الشامي، منشورات مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة، بدون تاريخ. ص44: "علماؤهم وأحبارهم - أي: اليهود - يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم لا يعتقد أحد منهم أنها المنزلة على موسى البتة، لأن موسى صان التوراة عن بني إسرائيل، ولم يبثها فيهم، وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد لاوي...ولم يبذل موسى من "التوراة" لبني إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها: "هاازينوا"...فأما بقية "التوراة" فدفعها إلى أولاد هارون وجعلها فيهم، وصانها عن سواهم، وهؤلاء الأئمة الهارونيون الذين كانوا يعرفون "التوراة" ويحفظون أكثرها؛ قتلهم بخت نصر على دم واحد يوم فتح بيت المقدس، ولم يكن حفظ "التوراة" فرضا ولا سنة، بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلا من "التوراة"، فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهم، وزالت دولتهم، وتفرق جمعهم، ورفع كتابهم؛ جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة: ما لفقوا منه هذه "التوراة" التي بين أيديهم...فهذه "التوراة" التي في أيديهم على الحقيقة كتاب عزرا لا كتاب الله!". بل حتى كتاب عزرا ضاع كما تذكر المصادر المؤرخة للعهد القديم.

الهيكل الأول[1].

ثانياً: أسفار الأنبياء (بالعبرية: نفيئيم נְבִיאִים):

هذا القسم يتضمن ما وقع للعبرانيين من أحداث بعد موت موسى حتى هدم الهيكل المقدَّس. وهو يغطي فترة زمنية تمتد بين سنة 1300 وسنة 200 ق.م تقريباً، وينقسم إلى قسمين:

1 - الأنبياء الأولون أو المتقدمون (نفيئيم ريشونيم נביאים ראשונים)، وعدد أسفاره ستة :سفر "يشوع" (يوشع بن نون) الذي يروي قصة احتلال جماعة يسرائيل أرض كنعان وتقسيم الأرض بين الأسباط أو القبائل العبرانية، وسفر "القضاة" الذي يذكر أسماء القضاة وتاريخ جماعة يسرائيل في عهدهم وانتصارهم على الفلستيين، وسفرا "صموئيل"؛ وهما: (الأول والثاني) اللذان يعالجان تأسيس المملكة العبرانية المتحدة وقصة داود، وسفرا "الملوك" (الأول والثاني) وهما يغطيان فترة حكم داود وسليمان وسقوط المملكة الشمالية ثم المملكة الجنوبية.

2 - والأنبياء الآخرون أو المتأخرون (بالعبرية: نفيئيم أحرونيم נביאים אחרונים): وهذا القسم يضم مجموعة من النبوءات والمواعظ والقصص، وعددها خمسة عشر سفراً؛ منها: ثلاثة لأنبياء كبار: (أشعياء، وإرميا، وحزقيال)، واثنا عشر لأنبياء صغار: (هوشع، ويوئيل، وعاموس، وعوفديا، ويونس - وهو نبي مرسل إلى نينوى وليس إلى جماعة يسرائيل - وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفنيا، وحجاي، وزكريا، وملاخي).

وتتبع أسفار موسى الخمسة وأسفار الأنبياء نسقاً تاريخياً متصلاً يحكي تاريخ العبرانيين منذ ظهورهم في التاريخ حتى عودتهم من التهجير إلى بابل. وتشكل الأسفار كلها ما يشبه الملحمة، تدور أحداثها حول عبقرية هذا الشعب المختار والمصاعب التي واجهها، وطريقة انتصاره عليها وتحقيقه إرادته.

---

(1) المصدر السابق.

ثالثاً: كتب الحكمة والأناشيد (بالعبرية: كيتوفيم כְּתוּבִים)؛ أي: "الكتابات". وهي مجموعة من الأسفار التي تضم مواد تاريخية وقصصية وغنائية، وعددها أحد عشر، إذا اعتبرنا سفري "عزرا" و"نحميا" سفراً واحداً. وترتيب هذه الأسفار حسب ورودها في العهد القديم كما يلي:

1 - "مزامير داود". ويُنسَب معظمها إلى داود عليه السلام، وهي أناشيد شكر للإله وتراتيل روحية.

2 - سفر "الأمثال".

3 - سفر "أيوب". ويحدثنا عن حياة أيوب الصالح.

4 - نشيد الأنشاد. وهو من الأغاني الشعبية للأفراح والزفاف، ويُقال: إنه نشيد غزل بين الإله وجماعة يسرائيل، ويُنسب إلى سليمان.

5 - "راعوث". وهي قصة بطلة ترجع إلى عصر القضاة، وهي جدة النبي داود عليه السلام، وهي مؤابية لا إسرائيلية.

6 - "مراثي إرميا". وهي قصائد بكاء على أورشليم (القدس) بعد تخريبها.

7 - سفر "الجامعة". وهو خواطر فلسفية ذات طابع عدمي، وينسب لسليمان عليه السلام.

8 - سفر "إستير". ويتحدث عن خلاص جماعة يسرائيل على يد إستير[1]. ويحتفل اليهود بهذه المناسبة في عيد النصيب.

9 - سفر "دانيال". ويحدثنا عن سيرة هذا النبي.

10 - سفر "عزرا". ويتحدث عن عودة العبرانيين (أعضاء جماعة يسرائيل) إلى أورشليم (القدس)، وإعادة بناء "الهيكل الثاني".

---

(1) أستير: امرأة يهودية جميلة، استطاعت أن تتزوج الملك الفارسي "احشويروش" وإقناعه بحماية اليهود في قصة طويلة كانت سبب عودة اليهود لفلسطين بعد السبي البابلي الأول، ويعتبرها اليهود بطلة قومية، ويعقدون لها عيدا سنويا يسمى "عيد المساخر" أو "عيد فوريم" פּוּרִים. ويوجد من ضمن "الكتاب المقدس" - كما ألمحنا إليه - سفر أطلق عليه "سفر أستير" يحكي حكايتها بالتفصيل.

11 - سفر "نحميا". وهو يعنى - أيضاً - بعودة اليهود من السبي البابلي.

12 و13 - سفرا "أخبار الأيام" (الأول والثاني)؛ وهما تلخيص للوقائع التاريخية الواردة في "العهد القديم" منذ بدء الخليقة حتى السبي البابلي.

وتتضارب الآراء المتصلة بتاريخ تدوين الأسفار، ولا تزال المسألة خلافية. وأولى المشاكل هي: الإشارات العابرة في "العهد القديم" إلى نصوص لم تُدوَّن؛ مثل: "كتاب حروب الرب"، و"سفر ياشر"، و"سفر أخبار شمعيا"، و"سفر أمور سليمان"، و"سفر كلام ناتان النبي"، و"سفر أخبار الأيام لملوك يهودا"، و"سفر ملوك جماعة يسرائيل"...وغيرها.

والواقع أن تدوين "العهد القديم" بدأ في فترة زمنية تَبعُد عن موسى عليه السلام مئات السنين، وكذلك عن كثير من الأحداث التي تم التأريخ لها. ولذا فإن معظم المؤرخين يرجحون تعرُّضها إلى ما تتعرض له عادةً كل الأقوال المنقولة مشافهة، وبالتالي دخلتها التناقضات وتداخلت النصوص والمصادر. ومن هنا؛ فقد قام علم نقد العهد القديم بتطوير نظرية المصادر وتفسير التناقضات وعدم التجانس الأسلوبي.

كما أن عملية التدوين لم تتم دفعة واحدة، وإنما تمت خلال مدة زمنية طويلة. وتم اختيار بعض النصوص المقدَّسة من بين نصوص مقدَّسة أخرى.

ويرى كثير من الباحثين أن أول جزء من "العهد القديم" تم تدوينه هو: أسفار موسى الخمسة، ويُقال: إن هذه العملية تمت في بابل أثناء فترة التهجير 587 ق.م، أو ربما قبل ذلك بوقت قصير، ذلك أنه لم يأت ذكر لقراءة "التوراة" في الاحتفالات الخاصة بافتتاح "الهيكل"، وأول إشارة إلى قراءة "التوراة" هي: قراءة عزرا عام 444 ق.م.

أما كُتُب الأنبياء؛ فمن الأرجح أنها دُوِّنت أثناء المرحلة الفارسية فيما قبل عام 333ق.م[1].

(1) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (الكبير) (5/ 109).

أما القسم الثالث؛ وهو: كتب الحكمة والأناشيد؛ فقد أُلِّف بعضه أثناء عصر الأنبياء، ولكنها لم تُضَم إلى كتب الأنبياء باعتبار أنها لم تكن ثمرة الوحي الإلهي.

أما الكتب ذات الطابع النبوي؛ مثل كتب "دانيال" و"عزرا" و"الأخبار"؛ فلابد أنها كُتبت في مرحلة متأخرة بحيث لم يمكن ضمها إلى كتب الأنبياء. ولقد ضُمَّت لأسفار الحكمة والأناشيد، لكنها لم تُعتبَر جزءاً من "العهد القديم" إلا في القرن الثاني قبل الميلاد.

ويُطلَق مصطلح "كانون" Canon؛ أي: "الأسفار القانونية"، على تلك الأسفار أو النصوص التي تم اعتمادها. أما الكتب غير القانونية؛ فتُسمَّى: الكتب الخارجية أو الخفية، أو الكتب المنسوبة (سيود إبيجرفا Pseudepigrapha).

والقواعد التي استخدمها محررو "العهد القديم" لضم أو استبعاد هذا أو ذاك النص غير معروفة، ولكن يبدو أن هذه القواعد هي بشكل عام:

1 - أن يكون النص مكتوباً بالعبرية. ويبدو أن بداية ونهاية سفر "دانيال" تُرجمتا من الآرامية إلى العبرية بسرعة حتى يُمكن ضمهما إلى النص القانوني المُعتمَد.

2 - أن يكون النص قد كُتب في مرحلة ما قبل النبي "مالاخي"؛ أي: في القرن الخامس قبل الميلاد، وهي الفترة التي يرى الحاخامات أن النبوة توقفت عندها في جماعة يسرائيل.

3 - أن يتفق مضمون النص مع المعايير الدينية التي تبناها الحاخامات.

ولغة الكتاب المقدَّس (اليهودي) هي العبرية، وإن كانت التراكيب والأساليب وبعض المفردات تختلف باختلاف هذه الأسفار، وتنم عن الفترة التي وُضع فيها كل سفر. ومع هذا؛ فإن هناك أجزاء وُضعت باللغة الآرامية.

ويرى "اليهود الأرثوذكس"[1] أن كلمات "العهد القديم" و"أسفار موسى

---

(1) "اليهود الأرثوذكس" هو مصطلح يقابل: "اليهود الإصلاحيين"، ويعنى به: الطوائف اليهودية المتمسكة بمصادر التشريع اليهودي. ويعرفها الأستاذ المسيري بأنها: "اليهودية الحاخامية التلمودية، وهي أيضا: الأصولية اليهودية". "من هم اليهود وما هي اليهودية؟" تأليف الدكتور

الخمسة" بصفة خاصة؛ هي كلام الإله الذي أوحى به إلى موسى حرفاً حرفاً، وأملاه عليه حينما صعد إلى جبل سيناء، وهو كلام أزلي لا يتغيَّر.

والكتب التاريخية وأسفار الأنبياء والأناشيد والحكم هي الأخرى نتاج الروح المقدَّسة، وإن كانت بدرجة أقل، تلك الروح التي تغمُر روح الإنسان فيتحدث باسم الإله. وتُعتبَر كل كلمة، وكل جملة وردت في "العهد القديم"، ذات معنى داخلي ومغزى عميق.

لكل هذا؛ نجد أن "العهد القديم" بالنسبة إلى اليهود الأرثوذكس هو السلطة العليا التي لا يمكن التشكيك فيها، وهو المرجع الأخير في الحياة الدينية. ولكن أسفار موسى الخمسة مع هذا، تظل أهم الأجزاء التي تشكل جوهر اليهودية وشريعتها.

أما بالنسبة إلى اليهود الإصلاحيين والمحافظين والتجديديين؛ فإن العهد القديم يُعَدُّ مجرد إلهام من الإله وليس وحياً منه. وقد وصل هذا الإلهام إلى واضعي "الكتاب المقدَّس" بدرجات مختلفة. ولذا؛ فإن بعض أجزاء "العهد القديم" ذو قيمة روحية وأخلاقية أعلى من غيره. كما لم يكن الوحي الإلهي - أي: الإلهام - خالصاً. فقد اصطبغ هذا الوحي بصبغة إنسانية، فلزم أن يقوم اليهودي بإعادة تفسيره ليستخلص الوحي الإلهي (المطلق) من النص الذي يضم عناصر إنسانية تاريخية (نسبية).

كما أن الصهاينة اللادينيين يعتبرون "العهد القديم" وكتب اليهود المقدَّسة كتباً عظيمة تُشكل جزءاً مهماً من تراث اليهود وفلكلورهم القومي، وهو تعبير عن انتشار الحلولية بدون إله بين الصهاينة [1].

كما أن السامريين الذين انفصلوا عن اليهود، وبنوا هيكلهم في جريزيم عام

عبد الوهاب المسيري، منشورات دار الشروق - القاهرة، الطبعة السادسة، أغسطس عام 2009م. ص116.

(1) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (2/ 205).

428ق.م، اعترفوا - كما سبق التنويه إليه - بالتوراة ولم يعترفوا بكتب الأنبياء[1]، بل لهم نصهم الخاص من "التوراة" الذي يحتوي على اختلافات عديدة بينه وبين النص التوراتي المعروف[2].

وقد نحا بعض الباحثين منحى آخر؛ باعتبار أن صحف "العهد القديم" إنما دونها اليهود لأجل غايات في نفوسهم، وأنها كلها إنما هي تراث مسروق من الأمم التي جاورت اليهود؛ كالمصريين والكنعانيين، والبابليين، والفرس...وغيرهم.

يقول جميل خرطبيل: "نخلص من هذا كله إلى أن اليهود سرقوا نتاج الفكر الإنساني من المنطقة، وأضافوه إلى تاريخهم؛ تاريخ حركة القبائل الرعوية المتنقلة، وجعلوه كتابا مقدسا ممهورا بتوقيع الإله"[3].

ولا شك أن هذا الكلام فيه ما فيه من التعصب غير الموضوعي، وإنكار للديانة السماوية برمتها. نعم؛ وقع تضارب في كتابة "التوراة" و"العهد القديم" برمته، واختلف اليهود أنفسهم في النص التوراتي بزيادات ونقصان، مما لا يجعل شكا أن في العهد القديم من التحريف والتغيير الشيء الكثير، ولكن أن نزعم أنه كله مسروق ومنقول من الحضارات السابقة؛ ففي ذلك نوع من التعسف والحيد عن المنهج العلمي المنصف.

استطراد: التلمود תַּלְמוּד:

لا يمكن الحديث عن أسفار اليهود دون الحديث عن "التلمود"، فكتاب "التلمود" يشكل لبنة أساسية في الفكر اليهود، لا يمكن للباحث الاستغناء عنه، كما أن أثره في الفرق اليهودية كان كبيرا، بين فرق متطرفة لما فيه، وبين فرق لا تؤمن به ولا تعترف أيضا، كما يأتي تفصيله في الفصل الثالث.

---

(1) يأتي التعريف بهذه الطائفة في الفصل الثالث.

(2) طبعت "التوراة السامرية" مترجمة إلى اللغة العربية عدة طبعات؛ أولها: بمصر عام 1398/ 1978 بمكتبة الأنصار - القاهرة، ترجمة الكاهن السامري أبي الحسن إسحاق الصوري، ونشرها الكاهن السامري عبد المعين صدقة، ثم أعيد نشرها عدة مرات.

(3) "نقد الدين اليهودي". ص50.

وقد عرف الدكتور فؤاد حسنين علي "التلمود" بأنه: "مجموعة الشرائع المدنية والاجتماعية اليهودية المتوارثة"[1].

وعرفه الدكتور أسعد رزوق بأنه: "مجموعة الكتب والأسفار التي تحوي سجل التشريعات والمجادلات والأخبار، والقصص والأقوال الحكيمة"[2].

وعرفه الأستاذ أحمد سوسة بأنه: "مجموعة الشرائع اليهودية التي نقلها أحبار اليهود شرحا وتفسيرا للتوراة، واستنباطا من أصولها"[3].

ويرى الأستاذ عدنان الربيعي بأنه: "الاسم الذي أعطاه اليهود للكتاب الذي يحتوي على الشريعة اليهودية الشفوية، وأحكام الربانيين الكبار في المشاكل المتنوعة"[4].

أما الأستاذ عبد الوهاب المسيري؛ فيعرفه بأنه: "مصنف للأحكام الشرعية أو مجموعة القوانين الفقهية اليهودية، وسجل للمناقشات التي دارت في الحلقات التلمودية حول المواضيع القانونية والوعظية"[5].

ويمكن اعتبار "التلمود" بحكم جمعه لفتاوى أمة كثيرة من أحبار اليهود: **كتاب "النوازل اليهودية". بمعنى: الفتاوى والحادثات اليهودية المتعلقة بالشرائع.**

وأصل كلمة "تلمود" من الفعل الثلاثي "لامد" לִמַּד، أي: "علم"، ويقسم إلى قسمين: "المشنا"؛ أي: النص أو المتن، و"الجمارا"؛ أي: التفسير أو الشرح،

---

(1) "اليهودية واليهودية المسيحية"، تأليف: فؤاد حسنين علي، منشورات جامعة الدول العربية - القاهرة، الطبعة الأولى سنة 1968م، ص133.

(2) "التلمود والصهيونية"، تأليف: أسعد رزوق، منشورات مركز الأبحاث، بيروت 1970م، ص113.

(3) أحمد سوسة: "صفة التلمود والزوهار في الديانة اليهودية" مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد 1974م، ص86.

(4) "قراءات معاصرة في العقيدة اليهودية"، تأليف عدنان عبد الرزاق الربيعي، منشورات دار النفائس للنشر والتوزيع - عمان/ الأردن/ دار الفجر للنشر والتوزيع - بغداد، الطبعة الأولى عام 1432هـ/ 2011م. ص149.

(5) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (2/ 33).

و"التلمود" اسم جامع للمشناه و"الجمارا" معا.

1 - المشناه משנה: ومعناها بالعبرية: المعرفة أو: القانون الثاني[1]. وهي: مجموعة قوانين اليهود السياسية والحقوقية والمدنية والدينية التي تتضمن القواعد والأحكام بغير نقاش غالبا. وهي بدورها تنقسم إلى ستة أقسام: الزراعة (Zaraim זרעים)، والفصول أو المواعيد، والنساء (Nashim נשים)، والجروح والجنايات (Nazkin נזיקין)، والمقدسات (Kadashim קדשים)، والطهارات (Tohorot טהרות)[2].

ويذكر د. روهلنج وشارل لوران بأن أول من جمعها: أحد الحاخامات المسمى "يوضاس" بعد مائة وخمسين عاما من وفاة المسيح، وذلك خشية أن تضيع[3]. أما الدكتور ظفر الإسلام خان فيرى أن أول من جمعها: يهوذا هاناسي Judah Hanasi فيما بين عامي 190م و200م؛ أي: بعد قرن تقريبا من تدمير "تيتوس" الروماني "الهيكل"[4].

2 - والجمارا גמרא - Josefto؛ أي: الإضافات، وأصلها من عمل المعلمين الذين كانوا في عصر "الرباي يهوذا"[5] ولم يكونوا أعضاء في مجلسه، فقد

---

(1) غير أن الأستاذ عباس محمود العقاد يذكر أن معنى "المشنى" من كلمة: شنا، أي: كرر، وهي تقابل في العربية مادة: ثنى، بمعنى: أعاد ثانية، واستعيرت للإعادة التي يراد بها حفظ الكلام المعاد. "أبو الأنبياء" ص34. قلت: وقد تكون هي أصل تعريف: القانون الثاني بحسب تعريف د. رهلنج وشارل لوران.

(2) "الكنز المرصود في قواعد التلمود" تأليف: د. روهلنج - شارل لوران. ترجمة: الدكتور يوسف حنا نصر الله. دراسة وتقديم: الحسيني الحسيني معدي. منشورات كنوز للنشر والتوزيع - القاهرة، عام 2008م. انظر المقدمة بقلم الدكتور الحسيني الحسيني معدي ص20.

(3) "الكنز المرصود في قواعد التلمود" ص113.

(4) "التلمود: تاريخه وتعاليمه"، تأليف: د. ظفر الإسلام خان، منشورات دار "النفائس" - بيروت، الطبعة الثامنة عام 2002م، ص11.

(5) هو الرباي يهوذا بن سيميون بن جامليل، ويسمى أيضا: يهودا الناسي، أو: يهودا الأمير، عاش بين الفترتين 135م - 217م، (يذكر المسيري أنها بين 135م - 200م)، يدعي بعض فرق -

عملوا من جانبهم على جمع الروايات الأقل شهرة، كما جمعوا الروايات التي استبعدها يهوذا من "مشناه"، ولكن هذه لم تكن قليلة الأهمية ولا مما يليق التخلي عنه، ومنها: أقوال وروايات نجمت عن مدرسة عقيبا[1] وإسماعيل[2]، ونسجت حولها شروح وتفاسير في أقوال المعلمين[3].

وهناك تلمودان؛ يعرف أولاهما بالتلمود الفلسطيني، ويسميه اليهود "الأورشليمي"، ويعرف الثاني بالتلمود البابلي، ولكل من هذين التلمودين طابعه الخاص، وهو طابع البلد الذي وضع فيه، ولغة كل تلمود تختلف عن الآخر، وتمثلان لهجتين آراميتين. فالتلمود الفلسطيني بالآرامية الغربية، أما "التلمود" البابلي فلهجته آرامية شرقية أقرب ما تكون إلى المندائية (العراقية)، وقد احتوى على مصطلحات يونانية ولاتينية. وحجم "التلمود" البابلي أوسع من "التلمود" الفلسطيني

-

اليهود أن موسى عليه السلام ألقى "التلمود" على بني إسرائيل فوق طور سيناء، وحفظه عند هارون، ثم تلقاه من هارون (يوشع)، ثم(إليعازر) وهلم جرا...حتى وصل الحاخام يهوذا حيث وضع "التلمود" بصورته الحالية في القرن الثاني للميلاد، ويرى غيرهم غير ذلك. الموسوعة الحرة، و"موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" الكبير (5/ 229) .

(1) عقيبا بن يوسف، من معلمي "المشنا" تنائيم، أحرز شهرة كبيرة ومكانة عالية بين اليهود، وقد قام يهوذا الناسي وزملاؤه بتسجيل "المشناه" على الأسس التي وضعها عقيبا. عاش عقيبا في الفترة (40م - 135م) وعقيبا هو النموذج الصهيوني للحاخام الذي يعمق الترعة الحلولية في اليهودية، ويحول الفكر الديني إلى فكر قومي، ثم يترجمه إلى عدوانية مسلحة، مازجاً بين السيف والتوراة. ومما هو جدير بالذكر أن بعض منظمات الشباب الصهيوني تسمى باسمه. "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (5/ 229).

(2) إسماعيل أو: "شماي" Shammai وهو من الحاخامات الفريسيين، عاش في القرن الأول قبل الميلاد، وهو من معلمي "المشناه"" تنائيم"، ترأس هو و"هليل" السنهدرين. له مدرسة في التفسير أُطلق عليها "بيت شماي" اشتهرت بتعنتها؛ وقد عارض "شماي" مبدأ "النية"، وهو: المبدأ القائل بأن موقف الشرع من أفعال المرء يتوقف أيضاً على نواياه. والواقع أن تشدده كان نتيجة خوفه على اليهود من الاندماج في الشعوب الأخرى. "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" الكبير (5/ 228).

(3) "الكنز المرصود في قواعد التلمود" انظر المقدمة بقلم الدكتور الحسيني الحسيني معدي ص22.

بأربعة أضعاف، ويقع في (5894) صفحة، ويطبع عادة في اثني عشر مجلدا[1]. و"التلمود" الحديث هو مجموع هذه الكتب والشروح والنسخ[2].

وهو يضم داخله وجهات نظر شتى متناقضة تماما، فهو موسوعة تتضمن الدين والشريعة، والتأملات الميتافيزيقية، والتاريخ والآداب، والعلوم الطبيعية، كما يتضمن علاوة على ذلك فصولا في الزراعة وفلاحة البساتين، والصناعة، والمهن والتجارة، والربا والضرائب، وقوانين الملكية، والرق والميراث، والفلك والتنجيم، والقصص الشعبي، فهو يغطي مختلف جوانب حياة اليهودي الخاصة[3].

ويخلع "التلمود" القداسة على نفسه باعتبار أن كلمات "التلمود" كان يوحي بها الروح القدس نفسه[4]. وقد وصل الأمر ببعض فرق اليهود إلى أن فضلوا

---

(1) The new standard jewish encyclopedia, Jerusalem, &1977, p1355. وانظر: أحمد سوسة: "مفصل العرب واليهود في التاريخ" ط5، بغداد 1981م، ص362 - 363، و"موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (2/ 33 - 35)، و"قراءات معاصرة في العقيدة اليهودية" ص 149. وبالمناسبة فإن المهندس الدكتور أحمد نسيم سوسة رحمه الله، كان من يهود العراق وأسلم، وترك كتابات مهمة في العلاقة بين الديانتين، وتاريخ اليهودية في العراق؛ من أهمها: "في طريقي إلى الإسلام"، و"مفصل العرب واليهود في التاريخ" الذي حاولت الدوائر الصهيونية منع انتشاره. الموسوعة الحرة، وموقع الاتحاد العام لأدباء وكتاب العراق.

(2) لكن يذكر الدكتور ظفر الإسلام خان في "التلمود: تاريخه وتعاليمه" ص11 أن الجمارا اثنان: 1 - جمارا أورشليم (القدس)؛ وهو سجل المناقشات التي أجراها حاخامات فلسطين (أو بالأخص علماء مدارس طبرية) لشرح أصول المشناه، ويرجع تاريخ جمعه إلى عام 400م. 2 - جمارا بابل: مماثل للمناقشات حول تعاليم "المشناه" دونها علماء بابل اليهود، وانتهوا من جمعه سنة 500م تقريبا. فمشناه مع شرحه: "جمارا أورشليم" يسمى: "تلمود أورشليم"، ومشناه مع شرحه: "جمارا بابل" يسمى: "تلمود بابل" وكلاهما يطبع على حده.

(3) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (2/ 33).

(4) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (2/ 33). بل يروي اليهود عن الحاخام ليفي بن شما Shama الذي يروي عن سيمون بن لاكيش Lakish الذي قال مفسرا لما جاء في "التوراة" ("الخروج" 12/24): "إنا سنعطيك ألواح الحجر، وقانونا ووصايا كتبناها". أن المراد من الألواح: الوصايا العشر، والقانون: هو القانون المكتوب، والوصايا هي: "المشناه". و"كتبناها"؛ يعني: الذي كتبه الأنبياء من كتابات مقدسة يتناقلها اليهود. "لتعلمها"؛ معناه: "الجمارا"، فهذا يعلمنا أن هذا كله أعطي لموسى في طور سيناء!. "التلمود: تاريخه وتعاليمه"

"التلمود" على "التوراة" نفسها؛ إذ مما جاء فيه من العبارات:

"إن من درس "التوراة"؛ فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها، ومن درس "المشناة"؛ فعل فضيلة استحق أن يُكافأ عليها، ومن درس "الجمارا"؛ فعل أعظم فضيلة!"[1]، [2].

المبحث الثاني: إشكالية تطبيق "الشريعة اليهودية" وبناء "الهيكل":

تعتبر "الشريعة اليهودية" إشكالا كبيرا بحد ذاته من حيث استكناه مفهوم "الخلاص"، ويكفي أن تكون الشريعة اليهودية - بحسب الفكر المسيحي - سببا في

نقلا عن الدكتور جوزيف باركلي في كتابه: "الأدب العبري" Hebrew Literature، المطبوع في نيويورك عام 1901م، فيكون بهذه الرواية للتلمود قداسة الوحي المنزل، أي: قداسة "التوراة"، وهو الأمر الذي لم يتفق عليه طوائف اليهود كما يأتي لاحقا إن شاء الله تعالى.

(1) "الكنز المرصود في قواعد التلمود" ص44. وللأستاذ ظفر الإسلام خان كتاب: "التلمود: تاريخه وتعاليمه". طبع بدار "النفائس" للطباعة والنشر والتوزيع، أكثر من ثماني مرات، وهو من مصادرنا في هذا البحث.

(2) تحدث الحبر الأعظم السموأل بن يحيى المغربي في "بذل المجهود" عن تأليف "التلمود" ص54 وكيف تم ذلك قائلا: "الحاخاميم: تفسيره الحكماء، وكانت اليهود في قديم الزمان تسمي الفقهاء بالحكماء، وكان لهم في الشام والمدائن مدارس، وكان لهم ألوف من الفقهاء. وذلك في زمان دولة السبط البابليين والفرس ودولة الروم، حتى اجتمع لهم الكتابان اللذان اجتمعت فقهاؤهم على تأليفهما؛ وهما: "المشنا" و"التلمود"، فأما "المشنا"؛ فهو الكتاب الأصغر، ومبلغ حجمه ثمانمائة ورقة. وأما "التلمود"؛ فهو الكتاب الأكبر، ومبلغه نحو نصف حمل بغل لكثرته!، ولم يكن الفقهاء الذين ألفوه في عصر واحد، وإنما ألفوه في جيل بعد جيل. فلما نظر المتأخرون منهم إلى هذا التأليف، وأنه كلما مر جيل عليه زادوا فيه، وأن هذه الزيادات المتأخرة تناقض أوائل هذا التأليف، علموا أنهم إن لم يقطعوا ذلك ويمنعوا من الزيادة فيه؛ أدى إلى الخلل الظاهر والتناقض الفاحش، فطفقوا الزيادة في (كذا) ومنعوا من ذلك، وحظروا على الفقهاء الزيادة فيه، وحرموا من يضيف إليه شيئا آخر، فوقفت على ذلك المقدار".

اللعنة، وأنها جزء من الخطيئة لا جزء من الرحمة و"الخلاص"[1]، ويعود سبب ذلك الإشكال إلى أمرين:

1- تعقد تلك الشرائع، وصعوبة تطبيقها، وشدة ما يطرأ على تارك بعضها من العقوبات التي تصل لحد قتل النفس.

2- ارتباط جل تلك العبادات بالهيكل، وتمايز وظائفها بتنوع أبناء الأسباط. مع العلم أن الهيكل قد فقد، وأنساب الأسباط قد اختلطت.

ويعود سبب عسر الشريعة اليهودية والاختلاف البين فيها إلى أمور تنبني على مسألة مدونات "العهد القديم" و"التلمود" وغيرها من مصادر التشريع اليهودي، فمن أسباب ذلك:

1- عدم الاعتراف بمسألة "النسخ" في الفقه اليهودي، فالحكم إذا صدر لا يمكن نسخه وإزالته بالرغم من تغير الأحوال والزمان والمكان وعدم الاستطاعة.

2- الاختلاف البين في نسخ "التوراة" وصحف "العهد القديم"، ووجود الإقحامات والدخيل فيها نظرا لكتابتها في أزمان متغايرة وبلغات شتى.

3- الاختلاف في مفهوم "النبي" وهو الأمر الذي خلط أقوال الأحبار بأقوال الأنبياء مما أضفى على أقوال الأحبار نوعا من القداسة، فتصبح فتاواهم تشريعا لا يقبل النسخ.

4- تعمد الأحبار والحاخاميم إصدار فتاوى ترسه الميز العنصري بين اليهود وبين غيرهم من الشعوب خشية أن يمتزج اليهود بغيرهم فتضيع هويتهم. وتلك الفتاوى لها صفة القداسة باعتبار أن "الروح القدس" كان يلقي بها في روع الأحبار، ولذلك فإنها لا تقبل النسخ، وهو الأمر الذي امتلأ به "التلمود" ولذلك صار محل خلاف بين الفرق اليهودية - خاصة الإصلاحية - التي ارتأت استحالة تطبيق الشريعة من طريقه.

---

(1) كما في رسالة بولص لأهل غلاطية، وهي موجودة ص2490، من "التفسير التطبيقي للكتاب المقدس" مصدر سابق.

يقول الكاهن الذي أسلم فيما بعد، إسرائيل الأورشليمي في "الرسالة السبعية"[1]: "إن (أشداي أصباؤت أهيه شراهيه)[2] حينما وضع شريعة "التوراة" وفرضها؛ قد جعل على الأمة اليهودية شرائع ووصايا يجمع عددها ستمائة وثلاث

(1) الحبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي: "الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية"، قدم لها، وخرج نصوصها، وعلق عليها: عبد الوهاب طويلة، طبعة "دار القلم" - دمشق، عام 1410هـ/ 1989م، ص31.

(2) بحثت عن معنى هذه اللفظة فلم أجده، كما أن محقق الكتاب لم يترجمها، فراسلت الأستاذ الدكتور بول هيك، أحد أساتذتي في الديانة المسيحية، وأستاذ اللاهوت بجامعة جورج تاون بواشنطن، فأجابني بالتالي: "في "العهد القديم" هناك اللفظة: "إل شداي"؛ وهي: تُترجم "الله تعالى"، أو: "الله القدير"، أو: "الله العلي"، كما في سفر "الخروج" (6/ 3)، وسفر "العدد" (24/ 16)، وسفر "حزقيال" (10/ 5). على سبيل المثال: (خر: 6 - 3): "أنا الذي ترائيت لإبراهيم وإسحق ويعقوب إلها قديرا، وأما اسمي (الرب) فلم أعلمهم به". (عد: 24 - 16): "كلام من سمع أقوال الله ومن عرف معرفة العلي ومن يرى ما يريه القدير، ومن يقع فتنفتح عيناه". (حز: 10 - 5): "وكان صوت أجنحة الكروبين يُسمع إلى الفِناء الخارجي كصوت الله القدير حين يتكلم".

"ترد الكلمة "شداي" في "العهد القديم" حوالي خمسين مرة، وهي كلمة قديمة، يقال: إنها تداولت عند غير بني إسرائيل من شعوب الشرق الأدنى في عصر النحاس".

"أما كلمة صباؤوت؛ فهي: تترجَم: "قوات"، أو "جنود"، وترد في "العهد القديم" حوال مائتين وخمسين مرة، وغالباً ما تقترن بكلمة الرب؛ - آي: "رب القوات" - وأحياناً تقترن بكلمة الله - أي: "إله القوات" - كما في التالي: (صم: 5 - 10): "وكان داود لا يزال يتعاظم، والرب إله القوات معه". (عا: 3 - 13): "اسمعوا واشهدوا على بيت يعقوب - يقول السيد الرب، إله القوات". (اش: 28 - 5): "في ذلك اليوم يكون رب القوات تاج بهاء، وإكليلَ فخرٍ لبقية شعبه".

"طبعاً تشير هذه الألفاظ كلها إلى أسماء الله الخلاصية بشكل أو بأخر. فبما أنه قدير أو صاحب القوات؛ فالخلاص بيده. حسب معرفتي لا تقترن الكلمة "شداي" بالكلمة "صباؤوت" في "العهد القديم" والله أعلم". انتهى جواب الأستاذ بول هيك وفقه الله. وملخص الجواب هو أن اللفظة تشير لله تعالى، بمعنى قوله: "إن الله تعالت قوته حينما وضع شريعة "التوراة"...إلخ. ثم وجدت لفظة "أهيه" في سفر "الخروج" (3/ 14) في قول موسى عليه السلام: "أهيه الذي أهيه"، بمعنى "أنا الكائن"، وبمعنى: "يهوه"، وكلها إشارة لله تعالى (الحاشية: "الكتاب المقدس" ص135). فيكون اللفظ الصحيح: "إن إيل شداي إيل صباؤوت يهيه أشي يهيه"؛ بمعنى: إن الله تعالى، الله القوي، الكائن المطلق"...إلخ.

عشرة وصية، وهذه الوصايا الحاوية على هذا العدد قد ربطها وحكم حكما صارما على من لم يعملها بستمائة وثلاث عشرة لعنة. لأنه يقال في سفر "تثنية الاشتراع" في الإصحاح السابع والعشرين والثامن والعشرين: "ملعونا يكون من لا يعملها واحدة واحدة"[1].

"ثم إن هذا الإله سبحانه وتعالى الذي من جملة أسمائه بالعبراني (الألوهيم אֱלֹהִים) و(الأدوناي אֲדֹנָי) قد وضع على من يخالف هذه الوصايا ولا يعمل بها واسطة للتخلص من تلك اللعنة المترتبة على المخالف: تطهيرات وتكفيرات وغفرانات وذبائح وقرابين بأعداد من الحيوانات والطيور معلومات. وحصر هذا (الألوهيم) (الياهو יהוה) في هذه المذكورات أن تُصنع وتُقرب ضمن الهيكل والمذبح. ورسم - أيضا - بأن من يقدم قربانا خارج "الهيكل"؛ يُقتل. وأمر بأن تكون القرابين مقدمة له تعالى على أيادي الأحبار ورؤساء كهنتهم. وكان من يتعدى ويخالف وصية من هذه الوصايا وتلزمه لعنة من هذه اللعنات؛ يخلص منها بواسطة الكهنة ورؤساء الكهنة و"الهيكل" والمذبح وباقي المذكورات كما سبق القول".

"وأما الآن يا أقربائي وبني جنسي؛ وقد رأيتَ أن عامة اليهود الباقية من بني إسرائيل عندما يخالفون وصية من هذه الوصايا، وتلزمهم لعنة من هذه اللعنات المشروحة من سيدنا موسى في "التوراة"؛ ليس لهم وجهة للتخلص منها مطلقا، وهم حزنانين من كونهم غير ممكنهم العمل بكامل الوصايا المشروحة، ومتحققين أنهم تحت مخالفتهم، وثقيل عليهم حمل اللعنات الموضوعة عليهم. ويمتنع - أيضا - فرارهم بالتطهيرات والتخلص من قصاصاتها ما داموا تحت نيرها؛ لأن الباب مسدود بواسطة ما أنا عازم على شرحه".

"ويْه ويْه؛ يا أسفاه ويا حسرتاه؛ لأن "الهيكل" الذي عَمَرَهُ سليمان، الذي هو مثال القبة الموسوية مع المذبح اللذين لا تكون هذه القرابين إلا بهما قد خربا وانهدما، والذبائح والقرابين مع الكهنة ورؤساء الكهنة الذين كانوا يعملونها في

(1) وانظر "التفسير التطبيقي للكتاب المقدس" ص404 تحت عنوان: "لعنات العصيان".

"الهيكل" والمذبح للفداء والتطهير مع باقي ما ذكرناه من النبوة والملك والأسباط ومتعلقاتهم قد اضمحلوا وتلاشوا، وما بقي لهم أثر بالكلية!...".

بل يرى الحبر الأورشليمي بأن هذه الشرائع: "العمل بها غير ممكن، لا بل وممتنع، وقد تصرمت عنهم - بني إسرائيل - بالطبع وتلاشت"[1].

فقد كان الخلاص والغفران لا يتم لليهود إلا عن طريق الكهنة ورؤساء الكهنة والكهنوت، وعن طريق درجات الأسباط ووظائفهم ورتبهم المتعلقة بالخدمات الدينية والأحكام الحرسية والملكية[2].

من هنا تتضح الأزمة النفسية التي صار يشعر بها اليهود، خاصة بعد هدم "الهيكل" وتشتت الأسباط وضياعهم بين معتنق لدين آخر - خاصة الإسلام - وبين مضيع لنسبه بسبب الشتات، وبذلك تعطلت أعمال الشريعة، وصار جميع اليهود تحت نير اللعنة التي تحتمها أسفار "التوراة" وصحائف "التلمود".

من هنا نفهم الموقف العنيف الذي شنه "القديس بولص" المسيحي على الشريعة باعتبارها سببا في "اللعنة"، وأنها لما كانت سببا في اللعنة فلن تكون سببا في الخلاص والسعادة، إذ - بحسبه - فاقد الشيء لا يعطيه، ومن هنا تظهر أهم العقد التي انبثقت منها الديانة النصرانية - المسيحية فيما بعد، وارتباط ذلك بمفهوم "الخلاص".

أهمية "الهيكل" وارتباطه بتطبيق الشريعة:

وقد أصبح إعادة بناء "الهيكل" واستعادة العبادة القربانية صوراً أساسية مرتبطة بعملية "الخلاص" يهتم بها "التلمود" أيما اهتمام، كما سجل الحاخامات تفاصيلها حتى يمكن القيام بها في آخر الأيام في لحظة "الخلاص". وسابعة الثماني

---

(1) المصدر السابق ص27.

(2) المصدر السابق ص28. ومن استعرض الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى عليه السلام، ولا سيما سفر "الأحبار واللاويين" وجد مدى التراتيب الصارمة التي قصرتها "التوراة" على كل فرقة من فرق الأسباط، ولا يجوز أن تخرج عنها، وأن لهم أعمالا خاصة، وزيا خاصا...إلخ. وانظر الصفحة المذكورة في الحاشية، فقد أورد المحقق نصوصا طويلة في هذا الموضوع.

عشرة بركة التي تُتلَى في صلاة العميدا تُدعى "بركة الخلاص"؛ لأنها دعوة للإله مخلص يسرائيل، وهذه الرؤية مختلفة عن الرؤية المسيحية التي ترى أن الإنسان كائن ساقط يعاني من الخطيئة الأولى، وأن أفعاله أياً ما بلغت من خير لا يمكنها أن تأتيه بالخلاص[1].

كما تتجلى أهمية "الهيكل" من خلال وروده في الكثير من الأسفار الموجودة في "التوراة" والتي تربط بينه وبين "أرض الميعاد"، فتتحدث "التوراة" حديثا طويلا عن "الهيكل" الذي بناه سليمان عليه السلام، وتطنب في ذكر صفاته وهيئاته اللائقة بالنبي الملك الذي أوتي كل شيء. كذلك الحال بالنسبة للتلمود الذي يمكن اعتباره شروحا للتوراة، والذي يتناول أحاديث "التوراة" عن الأرض المقدسة و"الهيكل" بالشرح، وبالتالي فهو يحتوي على كم كبير من الحكايات عنهما[2].

يقول "التلمود": "ومن بعد تدمير "الهيكل"[3] إلى الآن؛ فإن الله لم ينقطع عن البكاء والنحيب؛ لأنه ارتكب خطيئة ثقيلة، وهذه الخطيئة قد أبهظت ضمير الله حتى إنه يطوي ثلاثة أرباع الليل منكمشا على ذاته، مالئا الدنيا زئيرا كالأسد، ثم يصرخ: الويل لي لأني تركت بيتي ينهب، وهيكلي يحرق، وأولادي يتشتتون!"[4].

ويشغل "الهيكل" مكانة خاصة في الوجدان اليهودي، كما يعبر عن التيار

---

(1) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" الكبيرة (5/ 64).

(2) "قراءات معاصرة في العقيدة اليهودية" ص116.

(3) الهيكل: كلمة يقابلها في العبرية: بيت المقدس "بيت همقداش" בית המקדש؛ أي: بيت المقدس، من الفعل الثلاثي "قدش" קדש؛ أي: تقدس، أصبح مقدسا وتطهر، أو: "هيخال"؛ وهي كلمة تعني: البيت الكبير في كثير من اللغات الآكادية والكنعانية وغيرها، والبيت الكبير أو العظيم هو الطريقة التي يشار بها إلى مسكن الإله، فكلمة "فرعون" تعني: "البيت الكبير"، وهي تشبه إلى حد ما عبارة: "الباب العالي"، ومن أهم أسماء الهيكل: "بيت يهوه" لأنه أساسا مسكن للإله وليس مكانا للعبادة". "قراءات معاصرة في الديانة اليهودية" ص106. وهو المعبد الذي بناه النبي سليمان عليه السلام، وتبنى عليه جل شعائر اليهود، ويجب عليهم الحج إليه مرتين كل عام كما مضى. وقد هدمه نبوخذ نصر عام 586ق.م فيما يعرف بالسبي البابلي. المصدر السابق ص110.

(4) "قراءات معاصرة" ص104.

الحلولي؛ فهو يسمى "لبنان" لأنه يطهر إسرائيل من خطاياها، ويجعلها بيضاء كاللبن، ويعتقدون أنه يقع في مركز العالم، فقد بني في القدس التي تقع في وسط الدنيا، فقدس الأقداس الذي يقع وسط الهيكل هو بمنزلة سُرة العالم، ويوجد أمامه حجر الأساس: النقطة التي عندها خلق الإله العالم.

و"الهيكل" كنز الإله مثل جماعة يسرائيل، وهو عنده أثمن من السماوات، بل من الأرض التي خلقها بيد واحدة، بينما خلق "الهيكل" بيديه كلتيهما، بل إن الإله قرر بناء "الهيكل" قبل خلق الكون نفسه، فكأن "الهيكل" هو الكلمة المقدسة التي خلق الله بها العالم.

ويشكل هدم "الهيكل" ثورة أساسية في الوجدان الديني اليهودي؛ فهو يذكر عند الميلاد والموت، وعند الزواج يُحطَّم أمام العروسين كوب فارغ لتذكيرهما بهدم "الهيكل"، وفي الماضي عندما كان اليهودي يطلي منزله كان الحاخامات يوصونه بأن يترك مربعا صغيرا دون طلاء حتى يتذكر واقعة هدم "الهيكل"!. وفي كل عام يحتفل بذكرى هدم "الهيكل" بالصيام بالتاسع من أغسطس (أوت)، وعند كل وجبة ومع كل صلاة في الصبح يتذكر اليهود الأتقياء "الهيكل" ويصلون من أجل أن تُتاح لهم فرصة العودة إلى الأرض المقدسة والاشتراك في بناء "الهيكل". كما تُتلى صلاة خاصة في منتصف الليل حتى يعجل الإله بإعادة بناء "الهيكل"[1].

ولأهمية "الهيكل" وتأثيره في الوجدان اليهودي؛ نلاحظ أن هناك نحو 120 منظمة وجماعة تصنف داخل "إسرائيل" بمنظمات متطرفة، منها ما لا يقل عن 25 جماعة ومنظمة تُعرف نفسها بأنها منظمات تستعد وتسعى لهدم المسجد الأقصى وبناء "الهيكل" المزعوم على أنقاضه[2].

---

(1) "قراءات معاصرة في العقيدة اليهودية" ص117 - 119 باختصار وتصرف.

(2) "القطاع الخيري ودعوى الإرهاب" محمد بن عبد الله السلومي، طبع الرياض من غير اسم الناشر، سنة 1424هـ، ص182.

المبحث الثالث: إشكالية فكرة: "شعب الله المختار":

يعتبر اليهود أنفسهم "شعب الله المختار"، وأنهم أحق من غيرهم في السيادة والزعامة والنبوة[1].

فهم يؤمنون بأن الله اصطفاهم من بقية شعوب الأرض، حيث يعتقدون أن هذا الاختيار هو برنامج إلهي، فبهم يعاقب الله الأمم الأخرى، وهم الذين يبقون وحدهم في آخر الزمان متسلطين على رقاب العالم.

كذلك؛ فإنهم يسمون أنفسهم "الشعب الأزلي"، و"الشعب الأبدي"، حيث يعتقدون أنهم مثل الله، لا أول لهم ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية. و"الشعب المقدس"، كما في سفر "التثنية" (2/14): "لأنك شعب مقدَّس للرب إلهك، وقد اختارك الرب لتكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب التي على وجه الأرض"[2].

رغم كل التطورات التي دخلت على مفهوم "الخلاص" واتساع أبعاده؛ فإن البعد القومي الجماعي ظل واضحاً. فالعصر المشيحاني[3]؛ أي: عصر الخلاص بالدرجة الأولى، هو عصر عودة جماعة يسرائيل واسترجاع سيادته على الأرض وربما على العالم. وقد يشارك البشر كافة في عملية "الخلاص" هذه وقد لا يشاركون فيها. ولكن جماعة يسرائيل تظل، مع هذا، حجر الزاوية. وهناك رأي يذهب إلى أن "الخلاص" يتم على مرحلتين:

الأولى: وهي العصر المشيحاني حيث تعود جماعة يسرائيل إلى صهيون ويُبعث أتقياء اليهود للحياة الأزلية. ثم:

المرحلة الثانية: حيث يُبعث الموتى جميعهم - أتقياؤهم وأشرارهم - للحساب النهائي، وهذه هي الآخرة.

والرؤية التلمودية للخلاص قومية في جوهرها؛ إذ تظل جماعة يسرائيل محط

---

(1) "صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية" تأليف محمد عثمان شبير، منشورات دار النفائس، عمان، 2004م، ص17.

(2) قراءات معاصرة في العقيدة اليهودية" ص157.

(3) يأتي الحديث عن المشيحانية والعصر المشيحي ونهاية التاريخ في الفصل الرابع بإذنه تعالى.

اهتمام الخالق ومحور التاريخ. فحياة المنفى هي العقاب الذي قدَّره الإله على أعضاء هذه الجماعة بسبب بُعدهم عن عبادته الحقيقية وبسبب ما يقترفون من آثام. ولذا؛ فإن اليهود يُكفِّرون في المنفى عن ذنوبهم، وسيخلصهم الإله في نهاية الأمر. لكن معصية جماعة يسرائيل هي السبب في تأخير عملية "الخلاص" النهائية؛ أي: إن عملية "الخلاص" مرتبطة بسلوكهم، والمصير النهائي للعالم يتوقف على مصيرهم.

وفي بعض التفسيرات القبَّالية[1] تشمل عملية الخلاص البشر جميعاً، ولكنها في بعض التفسيرات الأخرى لا تشمل سوى اليهود؛ إذ إن البشر خُلقوا من طينة أخرى غير الطينة التي خُلق منها اليهود. ولذا؛ فالأغيار - وهم: غير اليهود - ساقطون تماماً، مذنبون تماماً، ولا سبيل إلى إنقاذهم أو خلاصهم!.

وفي القرن السابع عشر، ظهرت في صفوف البروتستانت[2] العقيدة الاسترجاعية التي جعلت اليهود مركزاً لرؤية الخلاص؛ إذ لا يمكن أن يتم الخلاص

---

(1) نسبة إلى فرقة "القبالة" الصوفية الباطنية اليهودية، ويأتي الحديث عنها مفصلا الفصل الثالث بإذنه تعالى.

(2) البروتستانتية: حركة إصلاحية مسيحية، ظهرت في القرن السادس عشر الميلادي، على يد القس الألماني مارتن لوثر، واعتبرت ثورة على البابوية، وقدمت العقل على فهم القسس. تنقسم البروتستانتية إلى عشرات الفرق بحيث لا يمكن ضبط عقائدها، إلا أنها تتفق على التالي: الإيمان بأن الكتاب المقدس فقط (وليس البابوات) ولا التقاليد هو مصدر المسيحية. إجازة قراءة "الكتاب المقدس" لكل أحد، كما له الحق بفهمه دون الاعتماد في ذلك على فهم بابوات الكنيسة. عدم الإيمان بالأسفار الأبوكريفا السبعة. عدم الاعتراف بسلطة البابا وحق الغفران، وبعض عبادات وطقوس الكنيسة الكاثوليكية. يعتبر اللوثريون أن الخلاص لا يأتي بالأعمال الصالحة بل بالايمان بيسوع المسيح مخلصا وفاديا، أما الأعمال؛ فإنها واجبة بعد الخلاص (سولا فيدي) أما عند الكالفينية؛ فالشخص مخلص بنعمة المسيح فقط. لكل كنيسة بروتستانتية استقلالها التام. يمنع البروتستانت الصلاة بلغة غير مفهومة كالسريانية والقبطية في الكنيسة، ويرونها واجبة باللغة التي يفهمها المصلون. يرحب البروتستانت بزواج القسس، ويرون أنه ليس من الضروري أن يكون القس بتولا. ويتفق البروتستانت مع الكاثوليك في انبثاق "الروح القدس" من الأب والابن كما يوافقونهم في أن للمسيح طبيعتين (إلهية وبشرية) ومشيئتين. "أطلس الأديان" ص367، الموسوعة الحرة - بالعربي.

إلا بعد عودة اليهود إلى صهيون (فلسطين) وتنصيرهم، أي استيعابهم في الأمم[1]. ومن هنا ظهرت الفكرة "الصهيونية" التي تنادي بالعودة إلى أرض فلسطين.

ويرى سيرافيم ساروف[2] أن اختيار "شعب الله" كان لا بد منه، وذلك ليكون الأفضل تناسقا ووحدة وقوة في التعبير عن رسالة التوحيد، ولكن الاختيار لم يعن أن الله تعالى أحب الشعب العبري أكثر من غيره، أو ميزه عن غيره، بل كانت المحبة الإلهية تعمل في توحيد البشرية، وخاصة أنه موجود بعض الأشخاص ممن تربطهم مع الله علاقة الإيمان والتقوى، والهدف من هذا الاختيار: تعليم وإرشاد الأمم أنه: من يحافظ على وصايا وتعاليم الله يحظى بالعناية الإلهية[3].

كما ورد ذلك في "سفر التثنية" (7/7): "إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من بين جميع الشعوب الذين على وجه الأرض".

يقول ساروف: "إن الله اختار العبرانيين لا لاستحقاقات منهم ولا بسبب عددهم، بل بسبب محبة الله ورحمته، لقد قطع الله مع هذا الشعب عهدا ونراه واضحا ومتبلورا مع إبراهيم، ومن شروط اختياره هو: عهده أن يحفظ شعبُه تعاليمَه ووصاياه تعالى، وإلا؛ فإنه سبحانه لا يعترف به شعبا".

"قال في سفر "التثنية" (7/ 9 - 11): فاعلم أن الرب إلهك هو الله الإله الأمين الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف رجل، والمجازي الذين يبغضونه بوجوههم ليهلكهم، لا يمهل من يبغضه بوجهه يجازيه، فاحفظ الوصايا والفرائض والأحكام التي أوصيك اليوم لتعملها. فقطع بذلك العهد بين الله والشعب بدم الذبيحة".

"فأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال: هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال. "الخروج": (8/24). وصار الشعب ملك الله وميراثه تعالى: لأنك شعب مقدس للرب إلهك؛ إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له

(1) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" الكبيرة (5/ 64).

(2) "أرض الميعاد" 2008/5/9.

(3) "قراءات معاصرة في العقيدة اليهودية" ص80.

شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. "التثنية" (7 - 6)، وصار الشعب مملكة من الكهنة: وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة. (الخروج: 19/ 6)".

"وصارت رسالتهم: أن يكونوا شعوبا للإله الواحد بين الأمم، وأخرج الله الشعب من أرض العبودية ونقلهم من الصحراء إلى أرض كنعان حيث أصبح الإله الواحد الحقيقي يملك بعد أن كانت أرضا وثنية، وهي الأرض التي وعد الله بها أجداد العبرانيين".

وهكذا تتضح الصورة أن الله - في "العهد القديم" - يهيّئ البشرية لشعب جديد وعهد جديد، يقول بولص الرسول في رسالته للعبرانيين: "إن شعب العهد القديم لم يبق مقدسا؛ لكثرة خطاياه وخياناته التي جلبت عليه العقاب والجلاء والشتات، إذًا لم يعد الشعب العبراني شعبا مقدسا ولا مستحقا لأن يكون شعب الله، وبما أنه فقد هذه الميزة؛ فإنه طُرد من "أرض الميعاد" كما طرد آدم من الجنة، لهذا يخلق الله شعبا جديدا".

"وقال في سفر "حزقيال" (36/ 25، 26): وآخذكم من بين الأمم، وأجمعكم من جميع الأراضي، وآتي بكم إلى أرضكم، وأرش عليكم ماء طاهرا فتطهرون من كل نجاساتكم ومن كل أصنامكم، أطهركم وأعطيكم قلبا جديدا، وأجعل روحا جديدة في داخلكم، وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم وأجعل روحي في داخلكم، وأجعلكم تسلكون في فرائضي، وتحفظون أحكامي، وتعملون بها، وتسكنون الأرض التي أعطيت آباءكم إياها، وتكونون لي شعبا، وأنا أكون لكم إلها. وأن الله سيقطع عهدا جديدا وسيكون شعبا مقدسا".

"ها أيام تأتي - يقول الرب - وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدي، فرفضتهم يقول الرب". "إرميا" (31/ 31). وهذا

الشعب يصبح قطيع الله وعروسه"[1].

من هنا يظهر أن تفضيل بني إسرائيل كان من أجل أعمالهم، وتوحيدهم، وجهادهم من أجل إعلاء كلمة الله تعالى، فكان تفضيلهم مشروطا بهذا لا تفضيلا إطلاقيا، وبذلك فمتى تركوا تلك الشريعة وتلك الأخلاق؛ ينزع الله منهم ذلك الاصطفاء وذلك التفضيل، ويعطيه أمة أخرى.

وقد تحول مفهوم "شعب الله المختار" إلى مبدأ استعلاء والتفوق على غيرهم من بني الأمم، لا بعمل عملوه، ولا بميزة أخلاقية ودينية لهم؛ ويتجسد ذلك من خلال كتبهم المقدسة؛ فنرى أن "التلمود" يقول بأن الله خلق ستمائة ألف روح يهودية، وتتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده، ومن ثمة كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح؛ لأن الأرواح غير اليهودية أرواح شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات. وفي المصدر نفسه: أن نطفة غير اليهودي كنطفة باقي الحيوانات[2].

ويرى "التلمود" أيضا أن اليهود أفضل من الملائكة، وأما غير اليهودي؛ فهو كالحيوان، بل هو أرذل منه، وأن اليهود شعب الله فقط، وهم الذين يجوز لهم أن يعيشوا على الأرض مكرمين[3].

ومن الملاحظ أن سفري "عزرا" و"نحميا" قد حاربا الزواج المختلط لغرض تمييز اليهود عن باقي شعوب الأرض، وذلك بسبب انتشار الزواج المختلط نتيجة لكثرة السكان. يقول سفر "نحميا" (2/9): "وانفصل نسل إسرائيل من جميع بني الغرباء، ووقفوا واعترفوا بخطاياهم وذنوب آبائهم". ويقول (10/ 31): "وأن لا نعطي بناتنا لشعوب الأرض، ولا نأخذ بناتهم لبنينا".

وفي سفر "عزرا" يقول (9/ 11): "إن الأراضي التي تدخلون لتمتلكوها هي أرض منجسة بنجاسة شعوب الأراضي برجاستهم التي ملؤوها من جهة إلى جهة

(1) سيرافيم ساروف، مصدر سابق ص82.

(2) "اليهودية والمسيحية". محمد ضياء الدين الأعظمي، المدينة المنورة، 1988م، ص206.

(3) "اليهودية والمسيحية". المدينة المنورة، 1988، ص208.

بنجاستهم، والآن فلا تعطوا بناتكم لبنيهم، ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم، ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد".

ويقول (9/ 12): "فقام عزرا الكاهن وقال لهم: إنكم قد خنتم واتخذتم نساء غريبة لتزيدوا على إثم إسرائيل، فاعترفوا الآن للرب إله آبائكم، واعملوا مرضاته، وانفصلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبات!".

ويجسد الشاعر اليهودي حاييم نحمان بياليك[1] هذا الموقف بأجلى صوره في ما أورده في الخطاب الذي ألقاه في حفل افتتاح الجامعة العبرية في القدس سنة 1925م بقوله: "إن القول بأن إسرائيل و"التوراة" شيء واحد؛ لم يكن مجرد تعبير مضمون هذا المفهوم التوراتي، ومدلولاته تشمل أكثر من دين أو معتقد أو أكثر من أخلاق أو وصايا أو تعليم، وأنه ليس مجرد مجموع لجميع هذه الأمور...ولكنه شيء يتخطاها إلى البعيد، إنه مفهوم كوني لا يدرك العقل كنهه، فالتوراة هي أداة الخالق بها ولأجلها خلق الكون، إنها أسمى فكرة وروح حية في العالم، بدونها لم يكن من الممكن أن يوجد العالم، وحتى ليس له الحق في أن يوجد!"[2].

المبحث الرابع: إشكالية "أرض الميعاد":

تحدثنا فيما مضى عن ارتباط مفهوم الأرض بمفهوم "الخلاص" في العقيدة اليهودية، وهو ارتباط عضوي بحيث لا يكاد يخلو منه نص من نصوص "العهد القديم"، وقد اختلف منظور الفرق اليهودية - كما سنفصله في الفصل الثالث -

---

(1) بياليك: أبرز شعراء العبرية في العصر الحديث، فقد توج باعتباره شاعر القومية اليهودية، روسي الأصل، درس في "الحيدر"، و"بيت همداش"، وبعد ذلك في "اليشيباه" (الأكاديمية التلمودية) في فالوجين، بدأ إنتاجه الأدبي بقصيدة "إلى العصفور" سنة 1891م، وبدأ في الاشتهار بعد انتقاله إلى أوروبا. ولد عام 1873م، وتوفي بتل أبيب عام 1934م، وأقيمت جائزة أدبية باسمه. "قراءات معاصرة في العقيدة اليهودية" ص158، "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (1/ 328).

(2) "الفكر الديني الإسرائيلي: أطواره ومذاهبه". تأليف حسن ظاظا، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة 1975م.

حول تصورها للأرض، فمن اتجاه يعتبر الرجوع إلى الأرض أمرا محرما[1]، إلى اتجاه يعتبر كل أراضي الدنيا أرض الله، يمكن التعبد فيها، إلى اتجاه متطرف يرى أنه لا إيمان لليهود بدون الرجوع إلى أرض فلسطين وبناء "الهيكل" للتعبد فيه. وهذا الاتجاه يمزج بين مفهوم الإيمان ومفهوم الأرض، بحيث لا إيمان بدون أرض، وأن الأرض هي رمز الإيمان، وهو ما عبر عنه الفكر الصهيوني المعاصر.

"من كان مؤمناً فيجب أن يعيش في إسرائيل.. وكل يهودي يعيش خارجها فلا إله له!"..هذه العبارة التي ترددها الجماعات اليهودية؛ ومنهم: ابن جوريون (أحد منفذي الحركة الصهيونية) لتشجيع الهجرة إلى "إسرائيل"، متخذين من الدين وسيلة وذريعة للاتساع الصهيوني.. فيشبه الإسرائيليون أرض فلسطين "بجلد الإبل الذي إذا عطش وجاع انكمش..وإذا شبع وارتوى تمدد"، فهذه الأرض تتسع وتكبر إذا سكنها "شعب الله المختار" كما يحلو لليهود أن يسموا أنفسهم، وتتقلص وتنكمش إذا هجروها. فإسرائيل - بمفهوم الدولة - بالنسبة إلى اليهود تمتد من نهر النيل إلى نهر الفرات[2].

فهم يؤمنون أن أرض فلسطين وهبها الله إلى جدهم إبراهيم عليه السلام، وأن إسماعيل سرقها من أخيه إسحاق عليهما السلام؛ لذلك فإن العرب الموجودين فيها غزاة ولصوص، ومن حق اليهودي أن يسترجع أرضه من المغتصبين، ومن ثم يكون احتلال هذه الأرض هو بداية استقلالها.

ومن النصوص التي يعتبرونها دليلا على وعد الله لبني إسرائيل بالأرض المقدسة:

---

(1) تزعم جماعة من اليهود تدعى "ناطوري كارتا" وهي تحرق علم "إسرائيل" كل عام، أن كتاب "التوراة" ذكر فيه أن العودة إلى فلسطين شيء محرم، فهذا يعجل بنهاية اليهود، وأرض "إسرائيل" لا يمكن أن تقوم على أنقاض الدماء والقتل والدمار، فالعودة يجب أن تكون على يد المسيح "المشيح" اليهودي المخلص، فيجب على اليهود التحلي بالصبر حتى قدومه والتوجه تحت قيادته إلى أرض الميعاد. (خديجة الجودر: "العقيدة الصهيونية" مقال منشور بجريدة "أخبار الخليج" عدد26/7).

(2) خديجة الجودر: "العقيدة الصهيونية" مقال منشور بجريدة "أخبار الخليج" عدد26/7).

في "سفر التكوين" - وهو أول أسفار "التوراة" - تبدأ القصة العجيبة في عهد نوح عليه السلام، وهي المفتاح لفهم ما سيجري من وعد لإبراهيم عليه السلام. تقول "التوراة" سفر "التكوين" الإصحاح التاسع: "وابتدأ نوح يكون فلاحاً، وغرس كرماً، وشرب من الخمر، وسكر، وتعرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه، وأخبر أخويه خارجا، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما، ومشيا إلى الوراء، وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء، فلم يبصرا عورة أبيهما...فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير، فقال: ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لأخويه، وقال: مبارك الرب إله سام، وقال: ليكن كنعان عبداً لهم يفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام، وليكن كنعان عبداً له".

ثم بعد ذلك تأتي أوصاف في عدة إصحاحات من هذا السفر تصف أرض كنعان، ففي الإصحاح العاشر من سفر "التكوين": "كانت تخوم الكنعاني من صيدون (صيدا اليوم) حينما تجيء نحو الجرار إلى غزة، وحينما تجيء نحو السدوم وعمورة إلى لاشع...ثم يقول: قال الرب لإبرام: اذهب من أرضك، ومن عشيرتك، ومن بيت أبيك، إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة وأباركك، وأعظم اسمك، وتكون بركة، وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض، واجتاز إبراهيم في الأرض إلى مكان شكيمى إلى بلوطة مورة، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض، وظهر الرب لإبرام وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض".

وفي الإصحاح الخامس عشر (18 - 20) تحدد "التوراة" الأرض التي هي ملك وحق أبدي، فتقول: "لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات".

وفي سفر "التكوين" (26/ 1 - 6): "وكان جوع في الأرض، فذهب إسحاق إلى أبيمالك - ملك الفلسطينيين - إلى جرار، وظهر له الرب وقال: لا تنزل إلى مصر، اسكن في الأرض التي أقول لك، تغرّب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك، لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد، وأفي بالقسم الذي أقسمتُ لإبراهيم أبيك، وأكثر نسلك كنجوم السماء، وأعطي نسلك جميع هذه البلاد،

وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض، من أجل أن إبراهيم سمع قولي، فأقام إسحاق في جرار وفي السامرية: في الخلوص".

ثم بعد ذلك يقول في الإصحاح (27): "يستعبد لك شعوب، وتسجد لك قبائل،كن سيداً لإخوتك، وليسجد لك بنو أمك، ليكن لاعنوك ملعونين، ومباركوك مباركين".

هذا ليعقوب، وبعد ذلك يذكرون أن يعقوب نام بين بئر سبع وحران في أرض فلسطين فرأى الله فقال له: "أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك، ويكون نسلك كتراب الأرض، وتمتد غربا وشرقا وشمالا وجنوباً، ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض" "تكوين" (28).

وجاء في سفر "الخروج": (33/ 1 - 3): "وقال الرب لموسى: اصعد من هنا أنت والشعب إلى الأرض التي حلفت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلا: لنسلك أعطيها، وأنا أرسل أمامك مَلاكا، وأطرد الكنعانيين والأموريين والحيثيين والفريسيين والحويين واليبوسيين: إلى أرض تفيض لبنا وعسلا".

وجاء في سفر "الأحبار"/ "اللاويين" (20/ 24): "وقلت لكم: ترثون أنتم أرضهم - أي: أرض الشعوب الذين أنا طاردهم من أمامكم - وأنا أعطيكم إياها لترثوها أرضا تفيض لبنا وعسلا، أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب".

وجاء في سفر "العدد" (33/ 50 - 53): "وكلم الرب موسى في عَرَبات مُؤاب على أردن أريحا قائلا: قل لبني إسرائيل: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، فتطردون سكان الأرض من أمامكم - تمتلكون الأرض وتسكنون فيها؛ لأني قد أعطيتكم هذه الأرض لكي تمتلكوها".

هذه من أهم النصوص التوراتية التي يستند لها الفكر الصهيوني في زعم أن أرض فلسطين هي أرض الميعاد، وأنها أرض يهودية وهبها الله لليهود في قديم الزمان، وأن لهم الحق في طرد أهلها والتجمع فيها من أطراف العالم.

غير أن "العهد القديم" يقدم خمسة مفاهيم حول أرض الميعاد؛ هي: 1؛ أن

الأرض تعود للرب. 2؛ وأن ملكية الأرض مشروطة بطاعة الرب. 3؛ وأن عودة المنفيين لاستعادة ملكية الأرض تعتمد على عبادتهم للرب. 4؛ وأن عودتهم ستترافق مع تجديد روحي بين الناس. 5؛ وأنه سيأتي يوم تتحول فيه الأرض إلى آخرين، وأن الظلم سيسود. وفيما يلي تفصيل ذلك[1]:

تؤكد شريعة موسى بأن: "الأرض لا تباع مطلقا؛ الأرض لي وأنتم غرباء ونزلاء عندي"، وقد تم تشجيع بني إسرائيل على الاعتقاد بأن الأرض ملك للرب، وأنهم ليسوا أمناء عليها باسم الرب.

جاء في خطاب موسى على بني إسرائيل في بداية "سفر التثنية" أن استمرار بني إسرائيل في ملكية الأرض يعتمد على محافظتهم على عبادة صحيحة، أما إذا لم يعيشوا طبقا لشريعة الرب؛ فإنهم يفقدون الحق في العيش هناك، وسيلقى بهم خارج الأرض ("التثنية" (4/ 25، 26)[2].

"وإذا غويتهم ونحتم لكم تمثالا لصورة شيء ما، وارتكبتم الشر في عيني الرب إلهكم إثارة لغيظه؛ فإنني أشهد عليكم اليوم السماء والأرض أنكم تنقرضون سريعا من الأرض التي أنتم عابرون نهر الأردن إليها لترثوها"..

وجوابا على عبادتهم للأصنام؛ فإن الرب سيشتتهم بين الأمم، وعندما استولى البابليون على القدس في العام 586ق.م، وأخذوا شعب اليهودية إلى المنافي عبيدا؛ شرح أنبياء بني إسرائيل للناس بأن ذلك كان حكما من الرب عليهم بسبب عصيانهم.

ويتنبأ خطاب موسى عليه السلام ذاته بعودة المنفيين إلى أرض كنعان حالما يعودون إلى الرب نادمين[3]، فيقول:

"وإذا رجعتم إلى الرب - إلهكم - أنتم وبنوكم، وسمعتم لصوته من كل قلوبكم ونفوسكم...فإن الرب إلهكم يرد سبيلكم ويرحمكم، ويلم شتاتكم من

(1) "قراءات معاصرة في الديانة اليهودية" ص84.

(2) "قراءات معاصرة في الديانة اليهودية" ص85.

(3) المصدر السابق.

جميع الشعوب الذين نفاكم الرب إلهكم إليهم". "التثنية" (3/ 30، 2). ونتيجة ندمهم يعود الناس للأرض من منفاهم في بابل.

الجدير بالملاحظة - يقول الربيعي - أن أنبياء بني إسرائيل فهموا العودة إلى الأرض لا بوصفها مكسبا ماديا، وإنما بوصفها وسيلة للتجدد الروحي بين الناس، وقد ظهر هذا المفهوم بعدُ في خطاب موسى عليه السلام في سفر "التثنية" حيث تمثل المحبة بين الرب وشعبه موضوعا مركزيا، ويتحدث سفر "إرميا" عن عهد جديد مكتوب في قلوب الناس، كما أننا نقرأ في سفر "حزقيال" ما يلي: "وأرش عليكم ماء نقيا فتطهرون من كل نجاساتكم ومن كل أصنامكم، وأهبكم قلبا جديدا، وأضع في داخلكم روحا جديدة، وأنتزع من لحمكم قلب الحجر وأعطيكم عوضا عنه قلب لحم، وأضع روحي في داخلكم فأجعلكم تمارسون فرائضي وتطيعون أحكامي عاملين بها، وتستوطنون الأرض التي وهبتها لآبائكم، وتكونون لي شعبا وأنا أكون لكم إلها". سفر "حزقيال" (36/ 25 - 28)[1].

وقد وردت نصوص في "العهد القديم" بنقض اليهود للعهد بينهم وبين الله، فمن ذلك:

ما جاء في "سفر القضاة" (3/ 5 - 8): "فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفريزيين والحويين واليبوسيين، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء، وأعطوا بناتهم لبنيهم، وعبدوا آلهتهم، فعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، ونسوا الرب إلههم، وعبدوا البعليم والعشتاروت".

وجاء في نبوة "إرميا" (11/ 10 - 13): "بعدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا، وبعدد شوارع أورشليم وضعتم مذابح للخزي ومذابح للتبخير للبعل".

وقال الله على لسان إرميا (3/ 20): "كما تخون المرأة قرينها هكذا ختنموني يا بيت إسرائيل!".

ومن ثمة فيكون اليهود قد نقضوا العهد فلم يعبدوا الله وحده، ولم يقوموا

(1) "قراءات معاصرة في العقيدة اليهودية" ص85.

بواجب الالتزام الخلقي العام الذي هو "التوراة"، وهما الشرطان اللذان يتم بإنجازهما وفاء الله بهذا العهد المزعوم، وبناء عليه ينقض الاختيار؛ إذ إنهم أشركوا ولم يمتثلوا للقانون[1].

غير أن فلاسفة "الصهيونية" يدعون أن هذا الوعد من الله غير قابل للنقض، سواء التزموا بعبادته وحده وقاموا بأعباء القانون الخلقي، أو لم يفعلوا ذلك أو بعضا منه؛ إذ جاء في سفر "التكوين" (9) نقلا عن الله: "ليس لأجل بِرّك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم، بل لكي يفي الرب بالكلام الذي أقسم عليه لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتملكها".

الخلاصة:

يبين مفهوم "الخلاص" عند اليهود الركايز الأساسية التي يقوم عليه الفكر الديني اليهودي، وهي ركائز تتضمن إشكالات عميقة استشعرها اليعود قبل غيرهم، تعلق بمزج مفاهيم روحية ومادية، ما ينشأ عنه نوع من المغالطة العقدية التي تتجلى في الواقع المعيش.

فالنصوص الدينية نفسها لم يجمع عليها اليهود، ومر جمعها في مراحل زمنية متعددة تبلغ نحو الألفي عام أو تزيد، واختلف اليهود أنفسهم في نسبتها إلى من؟. وهي إشكالات تجلت على مفهوم اليهودية ككل، بل على مضامين الديانة اليهودية اعتقادا وتشريعا.

فالشريعة اليهودية قد مرت بعدة مراحل هي مزيج بين نبوات بني إسرائيل، ومراحل المحنة، ومراحل تدوين الأسفار المقدسة، علاوة على ما تضمنته في طياتها من عدم التكيف مع الزمان والمكان، واختلاط مصادر التشريع، وهو الأمر الذي جعل منها منظومة من الشرائع التي لا تقبل التطبيق الواقعي بحال، علاوة على ما تضمنته من التناقضات والإشكالات التي لا يمكن حلها.

---

(1) "موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود" ص140.

أما مسألة "شعب الله المختار"؛ فقد أخذت صيغة عنصرية ذاتية، وانفصلت عن المعنى الديني الذي خلقت من أجله الشرائع، فالشرائع إنما جاءت من أجل المبادئ العليا والقوانين المنظمة لعلاقة العبد بربه من جهة، وبنفسه، وبمحيطه، أما أن تكون تعظيما لنخبة من الناس من غير سبب ولغير سبب، فهو أمر يتناقض مع مفاهيم "التوراة" نفسها، وكذلك مسألة "أرض الميعاد"؛ فالأرض إنما يعد الله بها الصالحين، ولا يعد بها أبناء فلان وعلان، وهو الأمر الذي تنادي به "التوراة" نفسها.

إن الابتعاد عن مصادر الوحي الأصلية، وإدخال الشهوات النفسية والمطامع السيادية ينقل الديانة من كونها دينا سماويا إلى كونه وثنية وضعية، مع ما يعنيه ذلك الانتقال من انعكاسات على الأمة نفسها، وعلى محيطها الخارجي الذي تتعامل معه، وعلى مفهوم "الخلاص" نفسه، الذي لا يفتأ يصبح أحلاما وأماني لا يدركها المرء أبدا.

الفصل الثالث
أثر مفهوم الخلاص اليهودي في تكون الطوائف اليهودية

بالرغم من أن مفهوم "الخلاص" في الدين اليهودي شكل قاعدة تتفق على مجملها سائر الطوائف اليهودية بشتى اختلافاتها، إلا أنهم داخل هذه القاعدة اختلفوا اختلافا بينا، جعل طوائف منهم تخرج عنها، وسأعمل هنا على رصد تلك الطوائف في مجملها، مع تحديد نطاق اختلافها في مفهوم "الخلاص" الذي أدى بها في بعض الأحيان إلى الاختلاف في الألوهية نفسها.

وأنا في هذا الفصل، سأرصد المذاهب العقدية اليهودية، غير عابئ بالتيارات والاتجاهات السياسية أو الإثنية؛ إذ المقصود هنا مدى التزام الطوائف اليهودية بفكرة "الخلاص"، ومدى استطاعة هذه الفكرة - المفهوم الحفاظ على "الكتلة الدينية"، وهو الأمر الذي يدل على مدى حجية هذا المفهوم، ومدى تأثيره مستقبلا في حوار بناء بين المذاهب والديانات.

يدّعي اليهود أن ثمة "وحدة يهودية" ينضوي تحتها كل يهود العالم، أينما كانوا. وانطلاقاً من هذا المفهوم يؤكدون أن ثمة "إثنية يهودية واحدة عالمية"، وهي ما يعبرون عنه بالشعب المختار. ولكن الواقع الإنساني والمتعين للجماعات اليهودية يبيّن - بحسب الأستاذ عبد الوهاب المسيري - مدى زيف هذه الأطروحة. فحتى العقيدة اليهودية ذاتها تتنوع بتنوع التشكيلات الحضارية التي يعيش أعضاء الجماعات اليهودية في كنفها، وذلك يعود للأسباب التالية:

ظهرت اليهودية في مرحلة متقدمة نسبياً من التاريخ، فاستوعبت كثيراً من العناصر الدينية والحضارية من سائر الحضارات التي وجدت فيها؛ مثل الحضارة المصرية والكنعانية والآشورية والبابلية والحورية، ثم تأثرت تأثراً عميقاً بالإسلام

والمسيحية، وخاصة بعد سقوط "الهيكل". وقد أدت هذه الرحلة الطويلة عبر الزمان والمكان، بكل مؤثراتها المختلفة، بل والمتناقضة، إلى عدم تجانس العقيدة اليهودية.

علاوة على هذا تأثر كتاب "التلمود" وكتب "القبالاه" بفلكلور وخرافات البلاد التي كانوا ينتمون إليها، وصار شريعة تكاد تفوق شريعة "التوراة" في الحجية.

بعد سقوط "الهيكل" لم يعد لليهودية مركز ديني أو حتى دنيوي يحدد "المعيارية اليهودية" في فترة مبكرة من تاريخها وقبل أن تتبلور عقائدها الأساسية، ومن ثم تطورت الاتجاهات والفرق الدينية والجماعات اليهودية المختلفة المنتشرة في جميع أنحاء العالم وداخل تشكيلات حضارية مختلفة الواحدة بمعزل عن الأخرى. فتفاعلت كل جماعة يهودية مع التشكيل الحضاري الذي وُجدت فيه، وتطورت معاييرها الإثنية وعقائدها الدينية على حدة، خاصة عندما لم تكن توجد في العالم القديم وسائل مواصلات أو إعلام تُقرب بين أطراف العالم كما هو الحال الآن، فكانت النتيجة هي: عدم التجانس والخاصية "الجيولوجية التراكمية"[1].

رغم أن العقيدة اليهودية تتضمن نزعة توحيدية قوية، فإن معدلات الحلولية (أي حلول الخالق في مخلوقاته وتوحده معها) أخذت تتصاعد داخلها، وقد تركز الحلول تدريجياً في الشعب اليهودي. وقد أصبحت الطبقة الحلولية[2] (داخل التركيب الجيولوجي التراكمي اليهودي) أهم الطبقات طراً، وانتهى الأمر بأن هيمنت الحلولية على العقيدة اليهودية فأصبحت عقيدة توحيدية اسماً حلولية فعلاً، كما

---

(1) "الخاصية الجيولوجية التراكمية": مصطلح من إنشاء الدكتور عبد الوهاب المسيري رحمه الله، وهو يعني: تجمع عدة مفاهيم غير منسجة ولا متوافقة، في إطار ديني عقدي واحد، فبالرغم من تناقضها وعدم انسجامها - تماما كما هو الحال في طبقات الأرض الجيولوجية - تبقى متماسكة تحت مفهوم واحد؛ وهو: الديانة اليهودية هنا.

(2) "الطبقة الحلولية" و"الحلولية" مطلقا هي: عبارات للدكتور عبد الوهاب المسيري يكثر التعبير بها في كتاباته، ويعني بها: امتزاج المفاهيم بحيث يصبح تعريف البعض تعريفا للكل، وبذلك يصطبغ البعض بصفة الكل، والكل بصفة البعض، وهو هنا: امتزاج مفهوم الألوهية، بمفهوم الشعب المختار، بمفهوم الأرض، حتى صارت مفاهيم تعني مفهوما واحدا لا يتجزأ.

كانت توجد فيها عناصر تشاوبية.

يحتوي "العهد القديم" (أو الشريعة المكتوبة) على تناقضات عدة. فهناك الاختلافات المعروفة بين مصادر العهد القديم المختلفة، خاصة الاختلافات بين المصدر اليهوي والمصدر الإيلوهيمي. بل ويمكن أن نشير إلى مفهوم مركزي في الديانات التوحيدية؛ وهو: الإيمان باليوم الآخر. لم يتبلور هذا المفهوم الديني في اليهودية إلا في مرحلة متأخرة، ولم يصبح من عقائدها الأساسية إلا في كتاب "دانيال"، وهو من الكتب الخارجية أو الخفية (أبو كريفا) بالنسبة لليهود، مما أدى إلى عدم تجانس العقيدة (العقائد) والهوية (الهويات) اليهودية.

لكل هذا لا يمكن القول إن "العقيدة اليهودية" كلٌّ عضويٌّ متماسكٌ، له منطقه الداخلي الواحد، فهي تأخذ شكل تكوين جيولوجي تراكمي تشكل من خلال تراكم طبقات متماسكة مستقلة الواحدة فوق الأخرى، واحتفظت كل طبقة بخصائصها وسماتها ولم تتفاعل مع الطبقات الأخرى ولم تمتزج بها، ولم تلغ أي طبقة جديدة ما قبلها: وبعض هذه الطبقات توحيدية، والبعض الآخر حلولي، والثالث تشاوبي[1] Henotheistic . وقد لاحظ سبينوزا[2] أن السنهدرين Sanhedrin סַנְהֶדְרִין[3] كان يجلس فيه الصدوقيون جنباً إلى جنب مع الفريسيين وهما طائفتان مختلفتان تماما. والمحصلة النهائية لهذا التركيب

(1) يعني: مزجي بين كلا المفهومين.

(2) باروخ سبينوزا، فيلسوف هولندي من أصل إسباني يهودي، ولد عام 1632م، وتوفي عام 1677م ويعتبر من أهم فلاسفة القرن السابع عشر، سلك في فلسفته مسلكا عرفانيا أخلاقيا، تأثر فيه بالعارفين المسلمين أمثال ابن عربي الحاتمي والحلاج، له كتاب "البحث اللاهوتي السياسي" نقض فيه فكرة "شعب الله المختار"، واتخذ فيه منحا أمميا. "موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود" ص124.

(3) "سانهادرين" هي: صيغة عبرية للكلمة اليونانية "سندريون" συνέδριον وتعني: "مجلس". وقد كان هذا الاسم يُطلق على الهيئة القضائية العليا المختصة بالنظر في القضايا السياسية والجنائية والدينية المهمة في المناطق التي كان يعيش فيها اليهود في إسرائيل القديمه وكانت مكونة من71 عضوا، وهي التي قامت بمحاكمة من يقال إنه المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام. الموسوعة الحرة البريطانية. موقع إلكتروني.

الجيولوجي أن التقليديين المتمسكين بالشريعة اليهودية كانوا يجدون من الشواهد ما يؤيد رؤيتهم وتفسيراتهم، كما كان بوسع المهرطقين أن يفعلوا نفس الشيء!.

مع تصاعد معدلات العلمنة في الغرب ظهرت مذاهب يهودية جديدة؛ مثل اليهودية الإصلاحية والمحافظة والتجديدية، لا يربطها رابط باليهودية الأرثوذكسية. فمعظم المذاهب الجديدة لا تنفذ كثيراً من الأوامر والنواهي التي ينص عليها الشرع اليهودي، كما أنها لا تحرم ممارسات عديدة يحرمها الشرع اليهودي بشكل واضح وأكيد ولا إبهام فيه، مثل الشذوذ الجنسي. وكما قال أحد الحاخامات الأرثوذكس ساخراً: "إنهم يعتقدون أن الوصايا العشر الملزمة هي مجرد توصيات غير ملزمة". وقد اتسعت الهوة بين هذه المذاهب اليهودية الجديدة واليهودية الأرثوذكسية حتى إن بعض الحاخامات يذهب إلى أنه توجد يهوديتان لا يهودية واحدة!.

هيمنت الصهيونية على اليهودية حتى إن الكثيرين (يهود وغير يهود) يتصورون أنهما مترادفتان، على الرغم من أن الآباء الصهاينة (هرتزل ونورداو على سبيل المثال) كانوا إما ملاحدة أو غير مكترثين باليهودية، بل وكان بعضهم يشعر بالازدراء نحوها. علاوة على هذا نجح الصهاينة أن يطوروا خطاباً حلولياً ساعدهم على أن يكسبوا الأرثوذكس إلى صفوفهم.

من الصعب الحديث عن "الوحدة اليهودية العالمية". ولذا حدثت انقسامات كثيرة على مستوى العقيدة؛ من أهمها: ما كان يحدث داخل المملكتين العبرانيتين (المملكة الشمالية والمملكة الجنوبية) من صراع بين عبادة يهوه Jehovah وعبادة بعل Baal، وكان لكل مملكة هيكلها المركزي الخاص بها[1].

فالعقيدة اليهودية في الصين على سبيل المثال اكتسبت مضموناً صينياً صريحاً، وفي الهند تأثرت اليهودية بنظام الطوائف المغلقة وبالعديد من الشعائر الخاصة بالطهارة والنجاسة، تحت تأثير الهندوكية. أما في إثيوبيا؛ فقد تأثرت

---

(1) بعنوان: "عقائد الجماعات اليهودية" جريدة"الاتحاد" الإماراتية بتاريخ 2007/12/22م، وهي نفسها الفصل الثاني من كتابه: "من هم اليهود، وما هي اليهودية؟، أسئلة الهوية وأزمة الدولة اليهودية" ص184، الطبعة السادسة دار الشروق - القاهرة، عام 2009م.

اليهودية هناك متمثلة بالفلاشا، بكل من المسيحية والإسلام. وفي المحيط الإسلامي؛ قام موسى ابن ميمون بتطوير عناصر التوحيد في اليهودية وأكدها، بل وحاول ابنه من بعده إضفاء الطابع الإسلامي على اليهودية. كما تأثرت اليهودية في المحيط السلافي الفلاحي بالمسيحيين الأرثوذكس، وبحركات التصوف التي ظهرت بينهم. وكانت هذه العناصر من بين الأسباب المهمة التي أدَّت إلى ظهور الحصيدية.

أما في ألمانيا، والولايات المتحدة فيما بعد؛ فقد تأثرت اليهودية بالمحيط البروتستانتي، وظهرت اليهودية الإصلاحية في بلد لوثر. أما في البلاد الكاثوليكية - خصوصاً في أميركا اللاتينية - فقد تأثرت اليهودية بالعقيدة الكاثوليكية في كثير من جوانبها، ولذلك لا توجد يهودية إصلاحية في أميركا اللاتينية. وقد حدا هذا ببعض الدارسين إلى الحديث عن "يهودية كاثوليكية"، و"يهودية بروتستانتية"، و"يهودية إسلامية"، ويمكن أن نضيف: "يهودية كونفوشية" وأخرى "هندوكية" وثالثة "أفريقية"، فهذه كلها يهوديات تستمد خصوصياتها من محيطها الديني.

وفي العصر الحديث، انقسمت اليهودية إلى فرق: اليهودية الإصلاحية، واليهودية المحافظة، واليهودية التجديدية، واليهودية الأرثوذكسية، واليهودية الأرثوذكسية الجديدة. وهناك "اليهودية الإنسانية أو العلمانية"، وهى يهودية اليهودي الذي لا يؤمن بالإله أو اليوم الآخر أو الشريعة اليهودية الموحى بها، ويتمسك بما يتصوره بالجوانب الإنسانية العامة في الأخلاقيات اليهودية. وهناك كذلك "اليهودية الإثنية" Ethnic Judaism؛ وهي: يهودية اليهودي الذي يرى أن يهوديته تتمثل في ممارسة بعض الشعائر والعادات اليهودية التي لا تعبر عن إيمان ديني، وإنما باعتبارها شكلاً من أشكال الفلكلور الذي يدعم إحساسهم بإثنيتهم ويرفع روحهم المعنوية، وهذه لا تختلف كثيراً عن اليهودية الإلحادية.

وقد ظهرت مجموعة من المصطلحات الطريفة مثل "اليهودية الاستيطانية"؛ وهي: يهودية اليهودي الذي يرى أن عقيدته اليهودية تتحقق من خلال تأييده لـ: "إسرائيل" وخاصة نشاطها الاستيطاني. وأخيراً هناك: "يهودية دفتر الشيكات"؛ وهي:

يهودية اليهودي الذي يرى أن عقيدته اليهودية تتحقق من خلال دفع الدعم للمؤسسات اليهودية ولدعم الصهيونية.

وكثير من الفرق والاتجاهات تعتبر نفسها حاملة العقيدة اليهودية الحقيقية وأن الآخرين إن هم إلا متعصبون ومرتدون أو مهرطقون. وهناك - بطبيعة الحال - الانقسام بين الإشكناز والسفارديم على المستوى الديني. وقد لوحظ أن وجود المؤسسة الحاخامية الأرثوذكسية في الدولة الصهيونية ومحاولتها الهيمنة على كثير من جوانب الحياة الخاصة (مثل الزواج والطلاق والدفن) مع غياب المعايير الدينية التي يقبلها الجميع، أدى إلى صراعات دينية لا تنتهي داخل وخارج "إسرائيل"، بسبب رفض غالبية يهود العالم لمعاييرها.

والاختلافات بين الفرق اليهودية في الواقع ليست كالاختلافات التي توجد بين الفرق المختلفة في الديانات التوحيدية الأخرى، ومن ثم؛ فإن كلمة "فرقة" لا تحمل في اليهودية الدلالة نفسها التي تحملها في سياق ديني آخر، فلا يمكن - على سبيل المثال - تصور مسلم يرفض النطق بالشهادتين ويعترف به مسلما، أو مسيحي يرفض الإيمان بحادثة الصلب والقيام ويعترف به مسيحيا، أما داخل اليهودية؛ فيمكن أن لا يؤمن اليهودي بالإله ولا الغيب، ولا اليوم الآخر، ويعتبر مع هذا يهوديا، حتى من منظور اليهودية نفسها، وهذا يرجع إلى طبيعة اليهودية بوصفها تركيبا جيولوجيا تراكميا يضم عناصر عديدة متناقضة متعايشة دون تمازج أو انصهار، ولذا تجد كل فرقة جديدة داخل هذا التركيب من الآراء والحجج والسوابق ما يضفي شرعية على موقفها مهما يكن تطرفه[1].

إلى هنا ينتهي تحليل الدكتور عبد الوهاب المسيري، بتصرف، وهو تحليل استقرائي شامل، وهو يرجع إلى نتيجة واحدة؛ وهي: الطريقة الحلولية التي يمتزج فيها ثالوث: الإله والأرض والشعب عند الديانة اليهودية، ليصبح الأصل هو: الانتماء العرقي لليهود، ثم التعصب للفكرة اليهودية دون أن تتخذ ماهية معينة يمكن

---

(1) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (2/ 116).

تجسدها واستكناهها. غير أنني في هذا الفصل سأسلط الضوء على أهم الطوائف العقدية اليهودية في الماضي والحاضر، والتي يمكن إيجازها في الفرق التالية:

أ - المبحث الأول: السامريون שֹׁמְרוֹן:

"السامريون" صيغة جمع عربية، معربة من كلمة: "شوميرونيم" العبرية، أي: سكان السامرة، ويشار إليهم في "التلمود" بلفظة: "الغرباء"، ويسمون "الشكيميين" نسبة لـ: "شكيم" שכם وهي مدينة "نابلس"، أما هم؛ فيطلقون على أنفسهم: "بنو يسرائيل" أو "بنو يوسف" باعتبار أنهم من نسل يوسف بن يعقوب عليهما السلام، كما يطلقون على أنفسهم لفظ: "حفظة الشريعة" باعتبار أنهم انحدروا من صلب إسرائيليي السامرة الذين لم يرحلوا عن فلسطين عند تدمير المملكة الشمالية عام 722ق.م، فاحتفظوا بنقاء الشريعة.

وهم بقايا الناجين من السبي الآشوري، وبعد عودة اليهود الآخرين من السبي البابلي عمدوا إلى بناء هيكل خاص بهم في جبل جرزيم، وجعلوا يتعمدون تدنيس هيكل بيت المقدس، ويحصرون القبلة في هيكلهم في منطقة جرزيم بين بيت المقدس ونابلس، والذي بقي منافسا لهيكل بيت المقدس زهاء مائتي سنة، حتى هدمه رئيس كهان بيت المقدس، ثم أعادوا بناءه، وظل قائما حتى هدمه الرومان بعد ثورتهم عام 79م - 81م، فهدمت "شكيم" وبني محلها: "نيابوليس"؛ أي: المدينة الجديدة، وهي: "نابلس".

وهم لا يقولون إلا بأسفار موسى الخمسة، ويضاف إليها أحيانا سفر يوشع بن نون. ويؤمنون بأنها منزلة من عند الله، وهي تختلف عن نسخة "التوراة" اليهودية في نحو سبعة آلاف موضع. ولا يؤمنون إلا بنبوة موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام، وقالوا: "إن "التوراة" ما بشرت إلا بنبي واحد بعد موسى يصدق ما بين يديه من "التوراة"، ويحكم بحكمها ولا يخالفها البتة". وادعى فيهم النبوة رجل اسمه "الألفان" قبل مائة سنة من نبوة عيسى عليه السلام.

وهم ينكرون الشريعة الشفوية "التلمود"، شأنهم في ذلك شأن الصدوقيين والقرائين، كما أنهم يأخذون بظاهر نصوص "التوراة". لغة العبادة عند السامرية هي:

العبرية السامرية، ولكن لغة الحديث ولغة الأدبيات الدينية كانت اللغة العربية. وكان كتابهم المقدس يكتب بحروف عبرية قديمة، ويزعمون أن اللغة والحروف جاءتهم صحيحة من عهد موسى عليه السلام. وتوراتهم طبعت باللغة العربية حديثا[1].

ويؤمن السامريون بعودة الماشيح، برغم أنه لا يوجد له ذكر في أسفار موسى الخمسة، وهم لا يعترفون بداود ولا بسليمان عليهما السلام، ولا يعترفون بقدسية جبل صهيون، بل جبلهم المقدس هو: "جريزيم" (الجبل المختار)، الذي يؤمنون أن الماشيح سيعود إليه في آخر الزمان. بعض اليهود لا يعتبرونهم يهودا، وهم قلة في العالم كادت تنقرض.

ويتقشفون في الطهارة، أكثر من تقشف سائر اليهود.

وقد افترقوا إلى: "دوستانية"؛ وهم: "الألفانية"؛ نسبة للألفان السامري. و"الدوستانية" معناها: الفرقة المتفرقة الكاذبة. وإلى "كوستانية": أي: الجماهير المتصوفة، أو: الجماعة الصادقة. ويقرون بالآخرة، والثواب والعقاب فيها، بينما تزعم "الدوستانية" أن الثواب والعقاب إنما هما في الدنيا. وبين الفريقين اختلاف في الأحكام[2].

ب - المبحث الثاني: القبّالاه קַבָּלָה:

القبالاه Kabbalah هو التراث العرفاني الصوفي الباطني اليهودي، وقد مر بعدة مراحل؛ أهمها: "قبالاه الزوهار"، أو: "القبالاه النبوية"، و"القبالاه اللوريانية "، أو: "القبالاه المشيحانية". والاسم مُشتَق من كلمة عبرية تفيد معنى التواتر أو القبول، أو التقبل، أو ما تلقاه المرء عن السلف؛ أي: "التقاليد والتراث"، أو: "التقليد المتوارث". وكان يُقصَد بالكلمة أصلاً: تراث اليهودية الشفوي المتناقل فيما يعرف

---

(1) طبعت مترجمة للعربية بترجمة الكاهن السامري أبي الحسن إسحاق السوري، بتحقيق وتقديم الدكتور أحمد حجازي السقا بمكتبة "دار الأنصار" بالقاهرة طبعة أولى عام 1398هـ/ 1978م، ثم أعيد طبعها عدة مرات.

(2) انظر "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (2/ 119)، و"أطلس الأديان" ص141، و"موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية" ص120.

باسم "الشريعة الشفوية"، ثم أصبحت الكلمة تعني، من أواخر القرن الثاني عشر: "أشكال التصوف والعلم الحاخامي المتطورة". (إلى جانب مدلولها الأكثر عموماً باعتباره دالاً على سائر المذاهب اليهودية الباطنية منذ بداية العصر المسيحي). وقد أطلق العارفون بأسرار القبّالاه ("مقوباليم" بالعبرية و"القبّاليون" بالعربية) على أنفسهم لقب: "العارفون بالفيض الرباني".

ومصطلح "قبّالاه" واحد من مصطلحات أخرى تشير إلى المدلول نفسه، فالتلمود يتحدث عن "رازي هتوراه"؛ أي: "أسرار التوراة". وقد كان يُشار إلى المتصوفين بعبارات: "يورديّ مركافاه"، أي: "النازلون إلى المركبة"، و"بعلي هاسود"؛ أي: "أسياد أو أصحاب الاسم"، و"إنشي إيموناه"؛ أي: "رجال الإيمان"، و"بني هيخلاه دي ملكا"؛ أي: "أبناء قصر الملك".

ويعرفها الأكاديمي الفرنسي المختص في الدراسات العبرية جورج فازدا بأنها: "حصيلة الإنتاج الذي يضم إلى جانب الباطنية اليهودية جميع النصوص التلمودية والمدراشية، وكل الآراء والمعتقدات الكلامية والفلسفية التي عرفتها عهود الفكر العبري بجوار الفكر العربي"[1].

أما أندريه شوراكي فيعرفها في كتابه الهام "La pensée Juive" بأنها: "تمثل التقاليد الصوفية للعبريين، وتروم معرفة أصل العالم وكشف أسراره ومدبره، ومعرفة غاياته"[2].

وكان القبّاليون يرون أن المعرفة، كل المعرفة (الغنوص أو العرفان)، توجد في أسفار موسى الخمسة، ولكنهم كانوا يرفضون تفسير الفلاسفة المجازي، وكانوا لا يأخذون في الوقت نفسه بالتفسير الحرفي أيضاً. فقد كانوا ينطلقون من مفهوم غنوصي[3] أفلاطوني مُحدَث يُفضي إلى معرفة غنوصية - أي: باطنية - بأسرار

---

(1) "مقدمة لدراسة الفكر العبري الوسيط" ص164.

(2) "مقدمة لدراسة الفكر العبري الوسيط" ص164.

(3) الغنوصية: Gnosticism(العارفية أو العرفانية): من اللفظة اليونانية: غنوسيس γνῶσις، وهي: مدرسة عقائدية أو فلسفية حلولية نشأت حول القرن الأول الميلادي، ويعتقد البعض أن لها -

الكون وبنصوص العهد القديم وبالمعنى الباطني للتوراة الشفوية.

و"التوراة" - حسب هذا التصور - هي مخطَّط الإله للخلق كله، وينبغي دراستها. لكن كل كلمة فيها تمثل رمزاً، وكل علامة أو نقطة فيها تحوي سراً داخلياً، ومن ثم تصبح النظرة الباطنية الوسيلة الوحيدة لفهم أسرارها. وقد جاء أنه - قبل الخلق - كُتبت "التوراة" بنار سوداء على نار بيضاء، وأن النص الحقيقي هو المكتوب بالنار البيضاء، وهو ما يعني أن "التوراة" الحقيقية مختفية على الصفحات البيضاء لا تدركها عيون البشر. ويقول القبَّاليون: إن الأبجدية العبرية لها قداسة خاصة، ولها دور في عملية الخلق، وتنطوي على قوى غريبة قوية ومعان خفية، وبالذات الأحرف الأربعة التي تكوِّن اسم يهوَه (تتراجرماتون Tetragrammaton)، فلكل حرف أو نقطة أو شرطة قيمة عددية. ومن خلال هذا المنهج التفسيري، تَمكَّن القبَّاليون من فرض رؤاهم الخاصة على النصوص الدينية وإشاعتها، الأمر الذي فتح الباب على مصراعيه لكل الآراء الحلولية المتطرفة.

التراث القبَّالي ينزع نزوعاً حلولياً واضحاً نحو تضييق المسافة بين الخالق والمخلوق، حتى تتلاشى تماماً في نهاية الأمر. والواقع أن الإله، حسب التصور القبَّالي، ليس الإله المفارق المتسامي الذي ليس كمثله شيء، وإنما يُنظَر إليه من منظورين: باعتباره - أولاً - الإله الخفي والجوهر الذي لا يستطيع الإنسان إدراك كنهه، وهذا هو إله الفلاسفة؛ الإله الواحد الذي لا يتجزأ، وهو في رأي القبَّالاه حالة ساكنة تفتقد إلى الحيوية، وهو الخالق في حالة انكماش قبل عملية الخلق، وهو

جذورا وبدايات تعود إلى القرون الثلاث الأخيرة قبل الميلاد في المجتمع السكندري لتبرير انتشار الديانة المصرية القديمة في الإمبراطورية الرومانية بجانب الديانات المحلية. وهي تيار ومذهب فكري مُعقَّد ذو فلسفات باطنية، بذل جهده لاكتساب المعارف الفلسفية الوثنية، مُهملاً فكرة الوحي الإلهي كأساس لكل معرفة لاهوتية، ومُفسّراً إياها تفسيراً مجازياً خالطاً بين النظريات الفلسفية الوثنية مع العناصر الذي نقلها مع العبادات الشرقية، مكوِّناً بذلك نظريات وفلسفات غريبة. الموسوعة الحرة، وكذلك:

Barnstone, Willis; Meyer, Marvin (2003). The Gnostic Bible. Shambhala Books. pp. 880. ISBN 1 - 57062 - 242 - 6.

العدم واللاوجود (فهو يشبه من كثير من الوجوه إله الغنوصية الخفي)، كما يُنظَر إليه باعتباره - ثانياً - الإله القريب الحي؛ القريب بسبب وجوده الذاتي وتعدديته، فهو بنية داخلية، مركبة ودينامية، وهو عملية عضوية تؤثر في العالم وتتأثر به، وهو تَجسُّد مادي (لوجوس) يحل في المادة (سواء كانت الشعب اليهودي أم الظواهر الطبيعية أم اسم الإله الأعظم الذي من يكتشفه يتحكم في الكون بأسره).

وقد أصبحت القبَّالاه في نهاية الأمر ضرباً من الصوفية الحلولية ترمي إلى محاولة معرفة الإله بهدف التأثير في الذات العلية حتى تنفذ رغبات القبَّالي أو المتصوف حتى يتسنى لصاحب هذه المعرفة السيطرة على العالم والتحكم فيه. ولذا؛ فإن القبَّالاه تتبدى دائماً في شكل قبَّالاه عملية، وهي أقرب إلى السحر الذي يستخدم اسم الإله والمعادل الرقمي للحروف (جيمَطْرية גימטריה) والأرقام الأولية والاختصارات (نوطيرقون נוטריקון) للسيطرة. وترتبط القبَّالاه في وجهها العملي بعدد من العلوم السحرية؛ مثل: التنجيم، والسيمياء، والفراسة، وقراءة الكف، وعمل الأحجبة، وتحضير الأرواح. ومع ابتعادها عن التقاليد الحاخامية الدراسية استوعبت عناصر كثيرة من التراث الشعبي تمثل الازدهار الأقصى للتفكير الأسطوري والحلولي في اليهودية.

ورغم تأكيدنا أن القبَّالاه ثورة على التراث الحاخامي إلا أنها - بحسب الأستاذ المسيري - تضرب بجذورها في الطبقة الحلولية التي تراكمت داخل التركيب الجيولوجي اليهودي منذ البداية في العهد القديم، حيث يتوحد الإله مع شعبه. وقد عبر الحلول الإلهي وعشقه لبنت صهيون عن نفسه في نهاية الأمر في شكل العبادة القربانية المركزية حيث كانت تتم لحظة الحلول والالتحام بين الإله والشعب والأرض في يوم عيد الغفران حين كان كبير الكهنة يدخل إلى قدس الأقداس لينطق باسم يهوه[1].

---

(1) انظر "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" الكبير (5/ 247)، و"موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود" ص169، وللأستاذ الحسيني حسيني معدي كتاب كبير حول هذه الطائفة بعنوان: "القبالة وشفرة التوراة والعهد القديم، خفايا كتاب اليهود السري المقدس، طقوس وحشية

ج - المبحث الثالث: الربانيون (الحاخاميم) רַבָּנִים:

الربانيون Rabbanite يُعدون أكبر فرق اليهود، ويطلق عليهم: "الحاخاميم"؛ جمع: حاخام، وهو العالم اليهودي، ويطلق عليهم ابن ميمون لقب: "الحكماء". والربَّان هو: الحَبر، وهو أيضا: الحاخام، وكتاب الربانية هو: "التلمود"، يقولون: إنه الشريعة غير المنزلة، المكمِّلة لشريعة موسى المحفوظة في "التوراة"، وقال غلاتهم: إن "التلمود" أعلى منزلة من "التوراة"، وأن الله نفسه يستشير الربانيين إذا حَزَبه أمر.

ويرُد الفلاسفة المسيحيون تعصب الربانيين إلى الروح التي تسود "التوراة"، فالتوراة ما كان من الممكن إلا أن تنتج الربانية، والربانيون كتبوا "التلمود" بإلهام "التوراة"، و"التلمود" هو الذي أنتج "الزوهار"[1] وفلسفات القبّاليين والحصيديين، وانتهى بالصهيونية، والفكر الصهيوني فكر رباني الأصل[2].

وقد شبهها الشهرستاني بفرقة "المعتزلة" في الفكر الإسلامي[3]، ولا أرى في ذلك التشبيه معنى؛ لأنهم يؤثرون النصوص لا العقل.

ويتحدث السموأل بن يحيى المغربي عن هذه الطائفة وموقفها من "التلمود"

وتعاليم جهنمية شيطانية". طبع بدار الكتاب العربي، دمشق - القاهرة، الطبعة الأولى عام 2007م، وقد عقدت الموسوعة الحرة باللغة الإنجليزية صفحة واسعة في الحديث عن هذا المذهب وفروعه وعقائده وأفكاره.

(1) "الزوهار" זֹהַר: كلمة عبرية تعني: الإشراق، أو: الضياء، وكتاب "الزوهار" هو أهم كتب التراث القبالي، وهو تعليق صوفي مكتوب بالآرامية على المعنى الباطني للعهد القديم، ويعود تاريخه الافتراضي إلى ما قبل الإسلام والمسيحية، وينسب إلى الحاخام شمعون بن يوحاي من أهل القرن الثاني الميلادي، وإلى زملائه، وإن كان بعض الباحثين ينسب كتابته - أو على الأقل كتابة بعض أجزائه - لمكتشفه في القرن الثالث عشر الميلادي موسى دي ليون، وهو في أسلوبه يشبه المواعظ اليهودية الإسبانية في ذلك الوقت. وبعد مائة عام من ظهوره أصبح لدى المتصوفة اليهود بمنزلة "التلمود" عند "الحاخاميين"، وقد انتشر بعد ذلك وأخذ في بعض الأحيان مكانة أعلى من "التلمود"، خاصة عند "الحصيديين". "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" الكبير (5/ 271).

(2) انظر "موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية" ص115.

(3) "الملل والنحل" 1/ 218.

وسبب بقائها بقوله: "وهذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم من سائر اليهود؛ لأن أولئك الفقهاء قد أوهموهم أن المأكولات والمشروبات إنما تحل للناس بأن يستعملوا فيها هذا العلم الذي نسبوه إلى الله وإلى موسى، وأن سائر الأمم لا يعرفون هذا، وأنهم إنما شرفهم الله بهذا وأمثاله، وصار أحدهم ينظر إلى من ليس على ملته كما ينظر إلى سائر الحيوانات التي لا عقل لها، وينظر إلى المآكل التي تأكلها الأمم كما ينظر الرجل إلى العذرة أو إلى صديد الموتى، وغير ذلك من الأشياء القذرة التي لا يسوغ لأحد أكلها، فهذا هو الأصل في بقاء هذه الطائفة على أديانها؛ لشدة مباينتها لغيرها من الأمم، ولأنهم ينظرون إلى الناس بعين النقص والازدراء إلى أبعد غاية...فقد تبين مما ذكرنا أن الحاخاميم هم الذين شددوا على هذه الطائفة دينهم، وضيقوا عليهم المعيشة والأحد[1]، قصدوا بذلك مبالغتهم في مضادة مذاهب الأمم حتى لا يختلطوا بهم فيؤدي اختلاطهم بهم إلى خروجهم من دينهم!" [2]. بخ.

د - المبحث الرابع: الصدوقيون צדוקים:

وهي كلمة مأخوذة من الكلمة العبرية: "تُصَدوقيم" Sadducees، وأصلها غير محدد، قيل: هم أتباع "صَدُوق" الذي كان يتولى الكهانة في عهد سليمان عليه السلام، وفي عائلته حُفظت رئاسة الكهنوت حتى عصر المُكابيين[3].

وهم أعضاء القيادة الكهنوتية المرتبطة بالهيكل وشعائره، والمدافعون عن

(1) "مقدمة لدراسة الفكر العبري الوسيط" ص26.

(2) "بذل المجهود في إفحام اليهود" ص59.

(3) المكابيون، أو: المقابيون מקבים Maccabees فرقة عسكرية يهودية ظهرت في الفترة بين 164ق.م و63ق.م من أجل حماية اليهود في وجه السلوقيين، ويقال بأن اشتقاق اسمهم من جملة: "مي كموخا بئيليم يهوه"؛ أي: "من كمثلك بين الآلهة يارب": (م.ك.ب.ي). وتحتل مكانة هامة عند اليهود في السابق والآن، باعتبارها دافعت عن الأمة اليهودية، وتمثل العزة اليهودية في وقتها، ولذلك فإن الكثير من المنظمات الصهيونية تتسمى باسمهم. "أطلس الأديان" ص125، الموسوعة الحرة بالإنجليزي، "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" الكبير (4/ 315).

الحلولية اليهودية الوثنية؛ إذ كانوا يعيشون بمداخيل وضرائب "الهيكل". ويتميزون بالمحافظة، وهم متشددون في إنكار البدع والتفسيرات نتيجة تشبثهم بالقديم، لذلك كانوا يؤيدون سلطان "الهيكل" والكهان، ولا يعترفون إلا بأسفار موسى الخمسة، ويرفضون ما عداها، لا سيما "التلمود". وهم مع ذلك موالون للسلطة الحاكمة.

وكانوا ضد تقليد الآباء، على العكس من خصومهم الفريسيين، ومالوا إلى الفلسفة اليونانية وخاصة فلسفة أرسطو وأبيقور Apiquros[1]، ولذلك كان البعض يسميهم "الأبيقوريين"[2]، وكانوا عقلانيين وظاهريين. فكانوا لا يؤمنون بالعالم الآخر، ويرون أنه لا توجد سوى الحياة الدنيا، وينكرون مقولات الروح والآخرة، والبعث والثواب والعقاب. ويرون أن الخالق لا يكترث بأعمال البشر، وأن الإنسان سبب ما يحل به من خير أو شر، لذا قالو بحرية الإرادة الإنسانية الكاملة، وكانوا لا يؤمنون إلا بالشريعة الشفوية، كما كانوا يقدمون تفسيرا حرفيا للعهد القديم، ويحرمون على الآخرين تفسيره، وكانوا يدافعون - أيضا - عن الشعائر المتعلقة بالهيكل والعبادة القربانية، ويرون أن فيها الكفاية، وأنه لا توجد حاجة إلى ديانة أو عقيدة دينية مجردة، ولا حاجة إلى إقامة الصلاة أو دراسة "التوراة" باعتبار أن ذلك شكل من أشكال العبادة. ويقال: إنه بينما الصدوقيون يحاولون - كما هو الحال بين الديانات الوثنية - أن ينزلوا بالخالق إلى مقام الإنسان والمادة، حاول الفريسيون - على طريقة الديانات التوحيدية - الصعود بالإنسان كي يتطلع إلى الخالق ويتفاعل معه. كما كانوا يقولون بأن عزيرا[3] ابن الله، واعتبروه أول رجالاتهم.

---

(1) فيلسوف إغريقي من أشهر مقولاته: "أن الموت لا يعني شيئا، وإنما يشجع الإنسان على التمتع بالحياة وملذاتها". وأن: "العناية الإلهية لا وجود لها"، وقد أصبحت أفكاره الماجنة ذائعة الصيت لدى الشباب الإغريقي ومن تأثر بهم. "مقدمة لدراسة الفكر العبري الوسيط" ص25.

(2) "مقدمة لدراسة الفكر العبري الوسيط" ص164.

(3) العزير، أو: عزرا بن شريه بن خلقيه بن عزريه، أو: عزرا بن سرايا بن عزريا بن حلقيا من ذرية هارون عليه السلام. هو أحد أنبياء بني إسرائيل، وفي نبوته خلاف، أماته الله مئة عام ثم بعثه، جدد الدين لبني إسرائيل وعلمهم التوراة بعد أن نسوها، ولذلك فبدأ الناس يقبلون -

ويعد الصدوقيون في طليعة المسؤولين عن محاكمة المسيح عيسى ابن مريم في السنهدرين. فهم لا يؤمنون بالحياة الآخرة، ولا الملائكة، ولا المسيح المنتظر، وهم أشد أعداء المسيح من اليهود. وقد انقرضت هذه الفرقة تماما بعد هدم "الهيكل" عام 70م نظرا لارتباطها العضوي به[1].

هـ - المبحث الخامس: الفريسيون פְּרוּשִׁים:

يذكر الأستاذ عبد الوهاب المسيري أن كلمة "الفريسيون" Pharisees مأخوذة من اللفظة العبرية: "بيروشيم"؛ أي: المنعزلون، أو: "بيريشوت" وهم: الزهاد.

أما الأستاذ عبد المنعم حنفي؛ فيرى أنها مأخوذة من الكلمة الآرامية: "فرَسَ"؛ أي: صار ذا رأي وعلم بالأمور، فهو فارس؛ أي: عالم بالأمر، وقيل من: فرس؛ بمعنى انفصل واعتزل، وهم: الفوارس؛ بمعنى: المعتزلة؛ لأنهم فارقوا الجماعة ولم يكونوا على رأس جمهور الأحبار. ويسمون بالأحبار أو بالربانيين.

وهم فرقة دينية وحزب سياسي ظهر نتيجة الهبوط التدريجي لمكانة الكهنوت اليهودي بتأثير الحضارة الهيلينية[2] التي تعلي من شأن الحكيم

عليه وعلى هذا الدين من جديد، وأحبوه حبا شديدا وقدّسوه للإعجاز الذي ظهر فيه، حتى وصل تقديس بعضهم له أن قالوا عنه: إنه ابن الله. "الموسوعة الحرة" العربية، موقع إلكتروني. وللنبي عزير عليه السلام تراجم في كتب سير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وانظر سفر "عزرا" (7/ 1 - 5).

(1) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (2/ 121)، و"أطلس الأديان" ص140، "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة" (1/ 500)، "النصرانية: تاريخا وعقيدة، كتبا ومذاهب". ص14، و"موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود" ص138.

(2) حضارة الإغريق أو هيلينية؛ هو مصطلح يُشير إلى الفترة التاريخية (من 750ق.م إلى 146 ق.م)، والثقافة التي انتشرت فيها الحضارة اليونانية في البحر الأبيض المتوسط، وشرق أوروبا وآسيا، مندمجة مع الثقافات المحلية. وتلك الفترة هي التي عرف فيها كبار فلاسفة اليونان. "الموسوعة الحرة" بالعربية، موقع على الإنترنت.

على حساب الكاهن. ويُرجع التراث اليهودي تاريخهم إلى القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد. وكانوا يشكلون أكبر حزب سياسي ديني في ذلك الوقت. كما كانوا من طبقة التجار والأثرياء.

ويعد الفكر الفريسي أهم تطور في اليهودية بعد تبني فكرة "يهوَه"، وكان برنامجهم يتلخص في إيمانهم بأنه يمكن عبادة الخالق في أي مكان، وليس بالضرورة في "الهيكل" في القدس، أي: أنهم حاولوا تحرير اليهودية من عُقدة الأرض، ووسعوا نطاق ذلك بحيث صارت تغطي كل جوانب الحياة، فواجب اليهودي لا يتحدد في العودة إلى أرض الميعاد وإنما في العيش حسب "التوراة"، وعلى اليهودي أن ينتظر إلى أن يقرر الخالق العودة. وبهذا يكون الفريسيون هم الذين توصلوا إلى صيغة "اليهودية الحاخامية" أو "اليهودية المعيارية" التي انتصرت على الاتجاهات والمدارس الدينية الأخرى.

كانوا يدافعون عن هُوية متفتحة استفادت من الفكر البابلي[1] الديني، ثم الفكر الهيليني، وكانت تدرك عبث محاولة الاستقلال القومي، ولذا أعيد تعريف اليهودية بحيث أصبحت هوية دينية داخلية روحية ذات بُعد إثني ليس قوميا بالضرورة، وهذا التعريف الجديد واكبه استعداد للتصالح مع الدولة الحاكمة، أو القوة العظمى في تلك المنطقة؛ وهي: "روما". ولذلك دافعوا عن مؤسسة المعبد اليهودي "السيناجوج"[2] الذي يمكن إقامته في أي مكان، على عكس "الهيكل". كما طالبوا بإعمال العقل في تفسير "التوراة" على أن يبتعد التفسير عن الحَرْفية، وأن يتم التركيز على روح

(1) نسبة إلى مملكة بابل الكلدانية التي بلغت أوجها في العراق في الفترة بين 622ق.م و562ق.م حيث توفي نبوخذ نصر، وأخذت الدولة في الانهيار حتى دمرها قورش الثاني عام 499ق.م.

(2) سيناجوج Synagogue συναγωγή كلمة إغريقية تعني: الاجتماع، ويطلق عليها بالعبرية أسماء أخرى: بيت الكنيست בית כנסת، وبيت الصلاة בית תפילה، وهي محل عبادة اليهود وصلاتهم. الموسوعة الحرة بالإنجليزي.

النصوص في مواجهة تفسير الصدوقيين الحرفي.

آمن الفريسيون بوحدانية الله تعالى، والماشيَّح، وخلود الروح في الحياة الآخرة، وبالبعث بالروح والجسد، والحساب والثواب والعقاب، والملائكة، وحرية الإرادة التي لا تتعارض مع معرفة الخالق المسبقة بأفعال الإنسان. وعندهم تتلخص رسالة يسرائيل في مساعدة الشعوب الأخرى على معرفة الخالق والإيمان به، ولذا لم يكونوا كالفرق القومية المغلقة، وقاموا بنشاط تبشيري خارج فلسطين، وهو الأمر الذي أدى إلى زيادة عدد اليهود في الإمبراطورية الرومانية في القرنين الأول قبل الميلاد والأول الميلادي.

وقد خالفوا الصدوقيين؛ فقالوا بوجود شريعة غير مدونة لا تقل إلزاما عن الشريعة المدونة، وكانوا بذلك أساس فرقة "الربانيين"، التي جعلت للتلمود أو "الشريعة الشفوية" مكانة أعلى من مكانة "التوراة". واتجهوا إلى تأصيل هذه الشريعة وطبع الحياة اليومية بها.

وينتمي للفريسيين عدة فرق يهودية؛ كـ: "الغيورون"، و"عصبة الخناجر"، و"الأسينيون" باعتبارهم أجنحة متطرفة من الحزب الفريسي. ويزعم بعض المؤرخين أن المسيح عيسى ابن مريم كان من هذه الفرقة[1].

و - المبحث السادس: الأسينيون אסיים:

"أسينيون" Essenes من الكلمة الآرامية: "آسيا"؛ ومعناها: الطبيب، أو: المداوي، أي: من يواسي المريض، ونفس الاشتقاق باللغة العربية، فالآسي هو: الطبيب. أو: هم المؤاسون الذين يساوون بين الناس، لا فرق بين سيد ومسود، وقيل: مِن أسى؛ وهم الأساة، بمعنى: الزاهدون. وهي فرقة دينية لم يأت ذكرها في

(1) انظر "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (2/ 120)، و"أطلس الأديان" ص140، و"الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة" (1/ 500)، و"موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود" ص160.

"العهد الجديد"، وما ذكر عنها في كتابات فيلون[1] ويوسيفوس[2] متناقض.

وهم - بحسب الأستاذ المسيري - جناح متطرف من الفريسيين؛ إذ تقترب عقائدهم منهم، ويظهر هذا في ابتعادهم عن اليهودية كدين قرباني مرتبط بهيكل القدس. وهم يؤمنون بخلود الروح، والثواب والعقاب، ووقفوا ضد العبودية والملكية الخاصة، بل ضد التجارة أيضا، وانسحبوا تماما من الحياة العامة، وقسموا الناس إلى فريقين: البقية الصالحة من جماعة يسرائيل، وأبناء الظلام. وترقبوا نزول الماشيح لينشئ على الأرض ملكوت السماء ويحقق السلام والعدالة في الأرض.

عاش الأسينيون في جماعة مترابطة حياة النساك، يلبسون الثياب البيض، ويتطهرون، ويطبقون شريعة موسى تطبيقا حرفيا، وكانوا أحيانا يتعبدون وجاه الشمس أثناء الشروق. وقد حرموا الذبائح؛ لذا كانوا يقربون للهيكل قرابين نباتية وحسب، كما حرم الأغلبية العظمى منهم الزواج على أنفسهم، ولذا انقرضوا كلية في نهاية القرن الميلادي الأول.

كما أنهم يقولون: إن العبادة غاية، وينكرون المعاد الجسماني، ولكنهم يؤمنون بالثواب والعقاب، وبخلود الروح، ويعتنون بالأخلاق وبما يزيدهم معرفة بها وينميها فيهم، ويعزفون عن علم المنطق ويعتبرونه ترفا، ولا يعتبرون العلم الطبيعي؛ إذ يعتبرونه خارجا عن قدرات الإنسان، ولكنهم يتفكرون في آثار الله

---

(1) فيلون الإسكندري Filon D'Alexandrie فيلسوف عبري يهودي، واكب الفترة الإغريقية، اختلف فيه بين قائل بأنه صوفي غنوصي، ويهودي غريب الأطوار، قريب من الوثنية منه إلى الهيلينية، وبين قائل بأنه فيلسوف إغريقي ذو نزعة أفلاطونية تارة، وميولات فيثاغورية تارة أخرى، وممن تأثر بفكره: القديس بولص، مؤسس الديانة المسيحية. "مقدمة لدراسة الفكر العبري الوسيط" ص32.

(2) تيتوس فلافيوس يوسيفوس Titus Flavius Josephus، ويدعى أيضا: يوسف بن ماتاسياس Joseph ben Mattathias יוסף בן מתתיהו مؤرخ يهودي روماني، عاش في الفترة بين 37م و100م، نبغ نحو سنة 71م، له مؤلفات عديدة باللغة اليونانية، منها: "العاديات اليهودية"، و"تاريخ اليهود"، طبع مترجما للغة العربية في بيروت عام 1882م. "مقدمة لدراسة الفكر العبري الوسيط" ص164، والموسوعة الحرة باللغتين العربية والإنجليزية.

تعالى بالتدبر في مخلوقاته.

كان فكر الأسينيين متأثرا بالفكر الهيليني وأفكار فيثاغورت[1]، وآراء البراهمة[2] البوذيين، وهو ما كان منتشرا في فلسطين التي كانت حينه ملتقى للطرق التجارية بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، ويقال إن المسيحية الأولى تأثرت بهم. وكشفت "مخطوطات البحر الميت"[3] عن كثير من عقائدهم، ومن أهم كتبهم: كتاب "الحرب بين أبناء النور وأبناء الظلام".

وهم أهم فرقة تم ربطها بنشأة المسيحية الأولى، حيث يعدها أكثر من كتب عنها صورة أولى للمسيحية، وعددهم إبان ظهور المسيح لم يتجاوز الأربعة آلاف، وكانوا يمارسون شعائرهم شمال غرب البحر الميت في الفترة بين القرنين الثاني

---

(1) فيثاغورث، أو فيثاغورس، أوفيتاغورس الساموسي: ينطق بالإنجليزي: Ho Pythagóras ho Sámios، ويكتب باليوناني: Ὁ Πυθαγόρας ὁ Σάμιος. هو فيلسوف ورياضي إغريقي عاش في القرن السادس قبل الميلاد، وتنسب إليه مبرهنة فيثاغورث في الحساب، اهتم اهتماما كبيرا بالرياضيات، وخصوصا بالأرقام، وقدس الرقم عشرة؛ لأنه يمثل في نظره الكمال، كما اهتم بالموسيقى، وقال: إن الكون يتألف من التمازج بين العدد والنغم. توفي نحو عام 500 ق.م. الموسوعة الحرة.

(2) البراهمة: فرقة هندوسية من قدم التاريخ، نشأت في الهند، وتفرعت عنها عدة أديان، منها: الديانة البوذية. "أطلس الأديان" ص611.

(3) مخطوطات البحر الميت (قمران): تضم ما يزيد على 850 قطعة مخطوطة، بعضها مما سمي لاحقا "الكتاب المقدس"، وبعضها من كتب لم تكن تُعرف أو كانت مفقودة. أول من عثر عليها هو راع فلسطيني اسمه "محمد الذيب"، واكتشف المزيد بين عامي1947م و1956م في 11 كهفًا في وادي قمران قرب خربة قمران شمال البحر الميت. وقد أثارت المخطوطات اهتمام الباحثين والمختصين بدراسة نص "العهد القديم"؛ لأنها تعود لما بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الأول منه، وقد اكتشفت في كهوف قرب البحر الميت في موقع خربة "قمران" لذلك فهي تسمى أيضًا "لفائف قمران"، وهي تتبع طائفة يهودية، ربما كانت طائفة "الأسينيين" التي انعزلت عن بقية المدن اليهودية، وربما بنت مدينة صغيرة في هذا المكان، لكنها تحطمت بفعل زلزال (عام 31ق.م). وقد طبعت هذه المخطوطات مترجمة للغة العربية، ولغيرها من اللغات، وتشكل صيحة مهمة في الدراسات اللاهوتية. الموسوعة الحرة، و"موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" الكبير (5/ 146).

والأول قبل الميلاد[1].

وقد كان عدد من فلاسفة القرن الثامن عشر أعلنوا أن المسيحية هي أسينية معدلة؛ ففي إحدى مراسلات ملك بلاروسيا نجد قوله: "كان يسوع أسينيا!". وبعد قرن؛ أطلق "أرنست رينان"[2] فكرته المشهورة بأن المسيحية هي أسينية حققت نجاحا واسعا[3].

ومن جهة أخرى؛ فإن هناك تقاربا أكبر بين يحيى بن زكريا "المعمدان" والأسينيين، لكن لا شك أنه كان نبيا من الأنبياء لا عضوا في جماعة[4]، كما أنه ما من شك أن النصرانية دين نبي رسول جديد وليست فرقة يهودية.

ويقال: إن الأسينيين آمنوا بعيسى ابن مريم عليهما السلام كواحد من أنبياء بني إسرائيل المصلحين، ولكنهم رفضوا دعوة بولص[5] إلى العقيدة الجديدة، وظلوا متمسكين بالنواميس اليهودية، وقد انقرضوا بالكلية في أواخر القرن الأول الميلادي[6].

---

(1) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية". (1/ 123).

(2) جوزيف أرنست رينان Joseph Ernest Renan (1823م - 1892م)، مؤرخ وكاتب فرنسي، اشتهر بترجمته ليسوع التي دعا فيها إلى نقد المصادر الدينية نقدًا تاريخيًا علميًا، وإلى التمييز بين العناصر التاريخية والعناصر الأسطورية الموجودة في "الكتاب المقدس"، ومن نظرياته: أن الانتماء إلى قوم ليس مسألة عرق بل مسألة إرادة. الموسوعة الحرة.

(3) "الكتب الأسينية". ص44.

(4) المصدر السابق 45.

(5) بولص الرسول Paul the Apostle، ويعرف أيضاً ببولص الطرسوسي، أو القديس بولص، هو أحد قادة الجيل المسيحي الأول ويعتبره البعض على أنه ثاني أهم شخصية في تاريخ المسيحية بعد المسيح نفسه. عرف برسول الأمم؛ حيث كان من أبرز من بشر بهذه الديانة في آسيا الصغرى وأوروبا، وكان له الكثير من المريدين والخصوم على حد سواء. ومن خلال الرسائل التي تنسب إليه تتبين ملامح صراع خاضه بولص ليثبت شرعية ومصداقية فكرته في ألوهية المسيح، ونقضه للشريعة. وتتضمن رسائل "العهد الجديد" نحو 13 رسالة من رسائله. توفي قتيلا عام 64م. الموسوعة الحرة بالعربي، "موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود" ص84.

(6) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" 1/ 123، "موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود". تأليف الدكتور عبد المنعم الحفني، منشورات مكتبة مدبولي، القاهرة، بدون تاريخ. ص57.

ز - المبحث السابع: الغيورون (قنَّائيم קנאים):

كلمة "غيورون" بحسب الدكتور المسيري: هي ترجمة للفظة "قَنَّائيم" Kanaim، وهي من الكلمة العبرية: "قانَّا" קנא بمعنى: غيور، أو: "صاحب الحمِية".

ويذكر الدكتور عبد المنعم الحفني بأن القنائيم من لفظة "قنا" الآرامية والعربية؛ بمعنى: اشتد غضبه، فهم الغاضبون، أو: القنائيون: أصحاب فلسفة العنف، وهم أصل "الصهيونية".

وهم فرقة دينية يهودية، ويقال: إنهم جناح متطرف من "الفريسيين"، وحزب سياسي وتنظيم عسكري. وأول ذكر لهم جاء باعتبارهم أتباع مناحم الجليلي[1]، وهو زعيم "عصبة الخناجر"، قيادة التمرد اليهودي الأول ضد الرومان (66 - 70م)، حيث استولوا على القدس، وكانوا دمويين ضد مخالفيهم حتى من اليهود. وذلك بعد أن استولى على "ماسادا"، وذبح حاميتها واستولى على الأسلحة، ثم عاد إلى القدس حيث استولى على قيادة التمرد هو وعصبته الصغيرة. ويعد ظهورهم تعبيرا عن انهيار الحكومة الدينية وحكم الكهنة تماما، وقد تبعت الجماهير اليهودية حزب الغيورين في ثورتهم التي أفقرها حكم أثرياء اليهود بالتعاون مع اليونانيين والرومان.

يبدو أنهم حاولوا إقامة نظام شيوعي، وكانوا منقسمين فيما بينهم إلى فرق متطاحنة متصارعة. ويتسم فكر الغيورين أنه فكر شعبي مفعم بالأساطير الشعبية، ولذا نجد أن عقيدة "الماشيَّح" أساسية عندهم، بل الكثير من زعمائهم ادعوا أنهم "المسيح المخلص". وعلى هذا؛ فإن فكرهم يتسم بالنزعة الأخروية التي انتشرت في فلسطين آنذاك، ويقال إن معظم أدب الرؤى "أبوكاليبس"[2] من أدب الغيورين!.

---

(1) مناحم الجليلي: زعيم يهودي من طائفة الغيورين، قاد عصبة الخناجر، وشن التمرد اليهودي الأول على الرومان بين عامي 66 - 70م، والذي انتهى بهدم الهيكل وقتله. "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (2/ 122).

(2) أبوكاليبس Apocalypse، ἀποκάλυψις، كلمة يونانية بمعنى: "الكشف" أو: "رفع الغطاء"، وتدل على إعطاء أشخاص مختارين أشياء خفية عن معظم البشر؛ المصطلح الدارج لها عند

وهم محافظون، رفضوا "الهيلينية" التي تعتبر من أول محاولات التنوير في الفكر اليهودي، ودعوا إلى "السلفية" بقصد تأكيد الذات اليهودية، وقالوا: "إن الله لا يعود إلى شعبه إلا إذا خلصت الأرض للشعب". وقد تفرعت منهم فرقة: "السقارة"؛ وهي: فرقة متطرفة[1].

ح - المبحث الثامن: القراءون קָרָאִים:

وهو مصطلح يقابله في العبرية: "قَرَّائيم" Karaim، أو: "بني مقرا"، أو: "يعلى هامقرا"؛ أي: أهل الكتاب. أو من "المقرا"؛ وهي: "التوراة"، والقراؤون مفردها: قراء؛ وهو: الداعية الديني. وقد سموا بهذا الاسم لأنهم لا يؤمنون بالشريعة الشفوية (السماعية) "التلمود"، وإنما يؤمنون بالتوراة "المقرا" فقط، ولذا يمكن اعتبارهم - بحسب الأستاذ المسيري - بأنهم أتباع "اليهودية التوراتية"، مقابل "اليهودية التلمودية" أو الحاخامية. وهم إحدى أكبر الفرق التي تفرق إليها اليهود. وقد شبههم الشهرستاني بالمجبرة والمشبهة في عقائد المسلمين[2].

يقول القرقساني[3] أحد مفكري اليهود: "إن القرّائين يصلون إلى آرائهم الدينية عن طريق العقل، ولذا فإن الاختلاف بينهم أمر طبيعي. أما الحاخاميون؛ فإنهم يدعون أن آراءهم - أي: الشريعة الشفوية - مصدرها:

العرب هو "كشف الحجاب". تدل الكلمة اليوم عادة على نهاية العالم، وهي: اختصار عبارة تعني: كشف نهاية العصر. الموسوعة الحرة.

(1) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية". (1/ 122)، و"موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود" ص181.

(2) "الملل والنحل" 1/ 218.

(3) القرقساني Kirkisani، أو: القرقشاني: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، مفكر يهودي، عراقي، على مذهب عنان والنهاوندي، له كتب في التوحيد وغيره، لكنه يكثر النقل عن المعتزلة، حفظ القرآن وغيره، وألف في تاريخ الفرق اليهودية والرد على دعاواها كتاب: "الأنوار والمراقب". "موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود" ص178، "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (5/ 503).

الوحي الإلهي!". وقلت: ولذا كان من الأليق تشبيههم بالمعتزلة لا المجبرة والمشبهة.

أسس هذه الفرقة: عنان بن داود في العراق[1]، في القرن الثامن الميلادي - أي: بعد ظهور الإسلام - وقيل: بنيامين بن موسى النهاوندي[2]، وانتشرت أفكارها بين اليهود في كل أنحاء العالم، وكان يطلق عليهم أولا اسم: "العنانية"، نسبة لمؤسس الفرقة. وإن كان البعض يزعم أنهم ظهروا منذ عهد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وأنهم آمنوا به كولي من أولياء الله لا كنبي نسخت شريعته شريعة موسى عليه السلام.

ويعود ظهور هذه الفرقة لعدة أسباب داخل التشكيل الديني اليهودي وخارجه، من أهمها: انتشار الإسلام في الشرق الأدنى، وطرح المسلمين مفاهيم دينية وأطرا فكرية دينية كانت تشكل تحديا حقيقيا للفكر الديني اليهودي، وبخاصة بعد أن غلبت عليه النزعة الحلولية الموجودة داخله. كما أنها ظهرت نتيجة لوجود

---

(1) عنان بن داود: مؤسس فرقة "القرائين"، ويقال بأنه من رأس جالوت بالعراق، دخل في خلاف مع الحاخاميم عام 762م، فسجنوه، وبعد خروجه من السجن أسس الفرقة الجديدة بين عامي 762 - 767م، وكانت الفرقة تسمى أولا "العنانية"، وجاءت متأثرة بالفكر الإسلامي، فقد ألف كتاب: سفر هامتسفوت" بالآرامية "الأوامر والنواهي" بالعربية، وحجر الزاوية في فكره هو: الرجوع إلى النص المقدس المكتوب نفسه، مستخدما طريقة القياس التي استقاها من الفكر الإسلامي، وله عبارة شهيرة: "فلتبحث بعناية فائقة في النص ولا تعتمد على رأيي"!. "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (2/ 127)، (الكبير) (5/ 502).

(2) بنيامين بن موسى النهاوندي: عالم قرّائي عاش في فارس والعراق، من أهل القرن التاسع الميلادي. ويُعَدُّ (مع عنان بن داود) مؤسس المذهب القرّائي. وهو صاحب مصطلح "قرّائي". وكان النهاوندي يتسم بعلمه الواسع في العلوم الإسلامية الدينية والدنيوية. كما أنه حدَّد عقائد "القرّائين"، وبذل جهداً كبيراً في تطهير الفكر الديني من أية اتجاهات لخلع صفات بشرية على الإله. ورغم تأكيده أهمية النص المقدّس - كما هو الحال مع "القرّائين" - فإنه لم يمانع في الاستفادة من الشريعة الشفوية (أي: تفاسير الحاخامات) دون أن يخلع عليها أية قداسة. وقد وضع النهاوندي معظم مؤلفاته بالآرامية، ومن أهمها: شروح "العهد القديم"، إلى جانب بعض الدراسات القانونية الأخرى. "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (الكبير) (5/ 503).

عناصر يهودية بعد هدم "الهيكل" عام 70م ترفض اليهودية الحاخامية من بين بقايا الصدوقيين والعيسويين؛ أتباع أبي عيسى الأصفهاني[1]، المتوفى عام 690م، وأتباع يودغان[2].

لا يعترفون إلا بالعهد القديم ولا يخضعون للتلمود ولا يعترفون به، بدعوى حريتهم في شرح "التوراة"[3]، وقد تأثروا بعلم الكلام عند المسلمين، وبالعقلانية

---

(1) أبو عيسى الأصفهاني؛ هو: إسحق بن يعقوب، من مواليد أصفهان. يُعتبَر مؤسس فرقة يهودية في فارس، وهي أولى الفرق بعد هدم الهيكل الثاني، اختلف في تاريخ حياته، والراجح أنها بين عامي (754 - 775م)، في عام 755م، أعلن أبو عيسى أنه الماشيَّح الذي سيحرِّر اليهود من الأغيار، وأن هناك خمسة أنبياء من بينهم: موسى وعيسى عليهما السلام، ومحمد صلوات الله وسلامه عليه سبقوا ظهور الماشيَّح، وأنه هو خاتم المرسلين. قاد الأصفهاني تمرداً ضد الحكم الإسلامي، وانضم له العديد من يهود فارس، لكن هذا التمرد تم إخماده بعد عدة سنوات وقُتل أبو عيسى. فادعى أصحابه فيه الغيبة. وقد تأسست من بعده فرقة العيسوية التي ظلت قائمة حتى حوالي عام 930م. ويُقال إن يودغان وعنان بن داود (مؤسسي المذهب القرّائي) تأثرا برؤية أبى عيسى وبأفكاره. "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" الكبير (5/ 453).

(2) يودغان: يقال بأنها اسم فارسي تحريف ليهوذا، هو مؤسس الفرقة اليودغانية، عاش في أصفهان وربما حمدان في النصف الأول من القرن الثامن الميلادي، ويقال: إنه تلميذ أبي عيسى الأصفهاني، وكان أتباعه يسمونه "الراعي"، ادعى النبوة والمسيحانية، وأفكاره تشبه أفكار أبي عيسى الأصبهاني. "موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود" ص258، و"موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (الكبير) (5/ 454).

(3) كذا يقول الأستاذ المسيري في موسوعته، غير أن الحبر الذي أسلم فيما بعد، السموأل السبتي المغربي يبرر موقف القرائين في كتابه: "بذل المجهود" ص58 بقوله: "إن اليهود فرقتان؛ إحداهما عرفت أن أولئك السلف الذين ألفوا "المشنا" و"التلمود" هم فقهاء اليهود، وهم قوم كذابون على الله وعلى موسى النبي، أصحاب حماقات وفراغات هائلة؛ من ذلك: أن أكثر مسائل فقههم ومذاهبهم مختلفون فيها، ويزعمون أن الفقهاء كانوا إذا اختلفوا في كل واحدة من هذه المسائل يوحي الله إليهم بصوت يسمعه جمهورهم، يقول: الحق في هذه المسألة مع الفقيه فلان...فلما نظر اليهود القراؤون - وهم أصحاب عانان وبنيامين - إلى هذه المحالات الشنيعة، وهذا الافتراء الفاحش، والكذب البارد؛ انفصلوا بأنفسهم عن الفقهاء وعن كل من يقول بمقالتهم، فكذبوهم في كل ما افتروا به على الله، وقالوا بعد أن ثبت كذبهم على الله، وأنهم قد ادعوا النبوة، وأن الله كان يوحي إليهم جميعهم في كل يوم

الإسلامية بشكل عام، وتأثر مؤسس الفرقة عنان بن داود بأصول الفقه على مذهب الأحناف المسلمين، ويقال: إن اليهود القرائين يمثلون احتجاج الفرد وضميره الحر ضد عبء السلطة المركزية والتقاليد الجامدة، ومن هنا فقد وصفوا بأنهم: "بروتستانت اليهودية!". ولكن من المتفق عليه أن الفرقة القرائية تمثل أكبر احتجاج على اليهودية الحاخامية حتى العصر الحديث حين ظهرت الفرق اليهودية الحديثة؛ خصوصا "اليهودية الإصلاحية".

جعلوا النص المقدس المكتوب "العهد القديم" المرجع الأول والأخير في الأمور الدينية كافة، ومنبع كل عقيدة وقانون، وهاجموا "التلمود" وهدموه، وفندوا تراثه الحاخامي باعتباره تفسيرا من وضع البشر، ومع ذلك فلهم تراثهم التفسيري الذي يقابل "التلمود"، غير أنهم اعتبروه اجتهادا بشريا لا يرقى إلى القداسة. كما أنهم يرون أن لا اجتهاد مع وجود النص التوراتي. بل قسموا مصادر التشريع تقسيما يشبه التقسيم الإسلامي؛ وهو:

1- المعنى الحرفي.
2- الإجماع.
3- القياس.
4- العقل.

أما تصورهم في الإله؛ فقد تم تطهيره من أية بقايا وثنية أو طبائع بشرية، فالإله خالق السماوات والأرض من العدم، وهو الخالق الذي لم يخلقه أحد، ولا شكل له ولا مثيل، أرسل نبيه موسى وأوحى إليه "التوراة" التي تنقل الحق الكامل الذي لا يمكن تغييره أو تعديله. والإله أرسل الوحي إلى أنبياء آخرين، ولكن درجة

مرات، فقد فسقوا ولا يجوز قبول شيء منهم!. فخالفوهم في سائر ما ألفوه من الأمور التي لم ينطق بها نص "التوراة"...فهذا حال هذه الطائفة من اليهود - أعني: القرائين - ولهم - أيضا - فقهاء أصحاب تصانيف، إلا أنهم لم يبالغوا في الكذب على الله إلى حد أن يدعوا النبوة، ولا نسبوا أشياء من تفاسيرهم إلى النبوة ولا على الله، بل إلى أحبارهم". اهـ بخ.

النبوة لديهم أقل منها عند موسى. ويؤمنون بالبعث يوم القيامة حيث سيبعث الإله الموتى، ويحاسبهم يوم القيامة، ويعاقب المذنب ويكافئ المحسن. ويرون أن الإنسان خيِّر وأن الروح لا تفنى.

كما يرون أن الله لا يحتقر هؤلاء الذين يعيشون في المنفى، بل على العكس؛ يود أن يُطهرهم من خلال عذابهم إلى أن يعود الماشيَّح، فهم يؤمنون بظهور الماشيَّح وينتظرونه.

وتختلف شريعة القرائين عن اليهود الحاخاميين في الصلاة والصيام، وغير ذلك، بحيث تكفر كل فرقة الأخرى، ولا يتزاوجون فيما بينهم، وأعلنت كل فرقة نجاسة الأخرى وحرمانها من رحمة الإله[1].

وقد ذكر السموأل بن يحيى المغربي السبتي أن هذه الطائفة: "أكثرهم خرج إلى دين الإسلام، أولا فأول، إلى أن لم يبق منهم إلا نفر يسير؛ لأنهم أقرب إلى الاستعداد لقبول الإسلام!"[2].

ط - المبحث التاسع: التلموديون תַּלְמוּדִים:

مذهب غالية ربانية، يضفون القداسة على "التلمود"، وينزلونه من أنفسهم منزلة أعلى من منزلة "التوراة" من جمهور اليهود، وعندهم أنه روح الشعب التي أهلته لتلقي الألواح في سيناء، وهو جهد اليهود لإقامة الدين المقابل للجهد الإلهي المتمثل في تنزيل "التوراة".

والتلموديون هم شراح "التلمود" ومفسروه، وهم الفقهاء والعلماء الراسخون، وتفسيرهم وتأويلهم لمعانيه هو كشف للمراد بحسب المعنى الباطن. ولذلك فالتلموديون هم باطنية اليهود، أو القباليون، ويعتبرون تأويلاتهم نبوة مفتوحة.

---

(1) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية". (1/ 124 - 127)، "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة" (1/ 500)، و"موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود" ص177.

(2) "بذل المجهود في إفحام اليهود" ص60.

ومنهم: نسيم بن يعقوب القيرواني[1]؛ صاحب كتاب: "مفتاح مغاليق التلمود" بالعربية، وسليمان بن أدرت الأندلسي[2] الذي انبرى للرد على قول الإمام ابن حزم الأندلسي في كتابه: "الفصل في الملل والأهواء والنحل" أن "التوراة" حرفت[3].

ي - المبحث العاشر: الحصيديون חסידות:

مذهب باطني غنوصي، قيل بأنه مشتق من الاسم: "الحسيدية" Hasidism بمعنى: التقوية أو الطهر، غير أن الدكتور عبد المنعم حنفي يرى أنه: "الحصيدية" مشتق من "الحصيد" بالأرامية والعربية، وهو: أسافل الزرع التي تبقى ولا يتمكن منها المنجل، وهم البقية الصالحة التي لم تتمكن منها ديانات ولا عادات الأغراب، ولم تصرفها عن عبادة الله على ملة اليهود.

ويرد ذكرهم بهذا المعنى في سفر "المقابيين الأول"، وكذا الثاني (6/14)، وإن كان مترجم "التوراة" قد ظنهم الحسيديين بمعنى: المتقين. ويرد بعض المؤرخين نشأة "الفريسيين" إلى الحصيديين. وكان الحصيديون مقاتلين، وفي القرن الثامن عشر غلب عليهم التصوف والعبادة.

وقد انقرض المذهب نحو عشرين قرنا، ثم ظهر في القرن الثامن عشر على يدي "بعل شمطوب"[4]، ثم تلميذه يعقوب بن

---

(1) نسيم بن يعقوب القيرواني: عالم يهودي من أهل القرن التاسع، تونسي الأصل، برع في علوم النجوم والهيئة حتى كانت ترده الأسئلة من الأندلس والعراق. له كتاب "مفتاح مغاليق التلمود".

(2) سليمان بن أدرت الأندلسي، يعرف بالعبرية رشبا רשב"א (رباي شلومو بن أدرت): عاش في برشلونة نحو عام 1235م، وكان من كبار الربيين.

(3) "موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود". ص91.

(4) الربي إسرائيل بن إليعازر רבי ישראל בן אליעזר، ويقال له: بعل شمطوب Baal Shem Tov؛ أي: العارف بالله، أو بأسرار الاسم الأعظم، وهو شيخ تربية يهودي، والتقوى عنده: أن لا ترى الوجود بأسره إلا الله، ويرى وحدة الوجود أو الحلول والاتحاد، يرى الاستمتاع بملذات الدنيا، وترك الصوم، ويرفض الحزن، جمع مواعظه تلميذه يعقوب يوسف، فطبعت تحت عنوان: "سفر بعل شمطوب" عام 1938م. وكانت ولادة بعل شمطوب -

يوسف[1]. وقد تأثر شمطوب بإسحاق لوريا[2] الذي تلقى تعليمه بمصر، وكان يرى وحدة الوجود[3]؛ فدعا شمطوب بدعوته، وقال: إن العالم كله من فيوض الله، وهو موجود في كل مخلوقاته من نبات وحيوان وجماد، ولم يكن في القديم إلا الله، لكنه انسحب على نفسه. بمعنى أنه انحجب في بعض أنواره فترك محلا حلت فيه مخلوقاته، ولكن كما لم يكن ثمة وجود مع الله قبل خلق العالم كذلك ليس مع الله وجود بعد خلق العالم، فالله موجود في كل شيء....إلخ. ومن ثمة يكون من غير المجدي محاولة تغيير الكون وفهمه، وإنما تصبح الحياة المثالية هي التي تهدف إلى معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته. وبذلك يكون لا موجب للحزن والأسى.

وحتى الخطاة لا ينبغي لهم أن يحزنوا؛ لأن الله موجود حتى في الخطيئة، فما من سبيل للقضاء على الشهوة إلا باستنفادها، وما من علاج من العطش إلا بالشرب، ويلخص نظريته في أنه: "لا بد من الهبوط للصعود!".

عام 1700م، ووفاته عام 1760م. "موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود" ص76، الموسوعة الحرة بالإنجليزي.

(1) يعقوب بن يوسف، المعروف بتسيفي هاكوهين Jacob Joseph Zevi Hakohen: هو جامع تراث بعل يعقوب، وأحد قادة الحركة الحسيدية ومنظريها الأوائل، ويحمل فكر شيخه بعل شمطوب، له شرح لسفر "التكوين" سماه: "يوسف كرمة مثمرة". توفي عام 1810م. "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" الكبير (5/ 557).

(2) إسحاق لوريا: حاخام يهودي، وُلد في مدينة القدس عام 1534م، وأخذته أمه صبيا صغيرا بعد وفاة أبيه إلى مصر حيث تربى في بيت عمه، وفي جزيرة الروضة بالقاهرة اعتزل الناس وعكف على دراسة مذهب القبالة، وخرج من هذه الدراسة بفكر جديد لهذا المذهب بما يسمى بالقبالة الجديدة أو: "القبالة اللوريانية"؛ نسبة إلى اسمه، فجعل "القبالة" مدخلا لعلم اللاهوت المعاصر ومدخلا للفلسفة وعلم النفس، وتكونت له آراء في خلق الإنسان وفيما يسمى بالفراغ الميتافيزيقي، وكذلك في الحكمة الإلهية Theosophyالتي هي في رأيه بمثابة الشرارة في الإنسان. وله تأثير مباشر على فكر هيجل. توفي عام 1572م. (مصادر متعددة)، وانظر موقع القبالة بعنوان: "حكمة القبالا": http://www.kabbalah.info.

(3) بمعنى: أن الله والكون كلهم شيء واحد، فالله يتجلى في الكون، والكون مخلوق من الله!.

و"الصدِّيقية" فلسفة يحملها الحصيديون عن متصوفة المسلمين، غير أنهم يرون أن الصِدِّيق أفضل من النبي خلافا لمتصوفة المسلمين، بزعمهم أن النبي لم تكن له إرادة النبوة، لكن الصديق كانت له إرادة الصديقية وبلغها بلطف من الله.

وفي "الحصيدية المُحْدَثَة" عند مارتن بوبر[1]: لا يحل الله في مخلوقاته ويؤثر فيها فحسب؛ ولكن مخلوقاته تؤثر فيه بدورها، وكل فعل من ثمة له دلالة تتجاوز التاريخ إلى الكون كله مهما كان هذا الفعل، وواضح أن الحصيدية تساوي بين الحلال والحرام، والطاهر والنجس، وترفع الفروق حتى تسقط التكاليف، فتفرق الديانة إلى: ديانة الخاصة وديانة العامة!.

وطريقة الحصيديين ومصطلحاتهم تستمد من الدراويش الصوفية، خاصة الأتراك، نظرا لتأثرهم بهم، خاصة في الذكر الذي يصاحبه الإنشاد والرقص والموسيقى، والحضرة عند الدراويش تشبه الحضرة عند الحصيدية[2]. وما من شك أن فكر "الحصيدية" قد تأثر بأفكار الحسين بن منصور الحلاج، ومحمد بن عربي الطائي الحاتمي، وعبد الحق ابن سبعين وغيرهم من عرفاء المسلمين ومتصوفتهم، ولكنهم نقلوا فهمه نقلا حرفيا فلسفيا لا عرفانيا تربويا.

ك - المبحث الحادي عشر : يهود الدونمة Dönmeh :

فرقة مسيحانية حلولية إباحية معطلة. معنى اسمهم بالتركية: المرتدون؛ سموا بذلك لأنهم شايعوا داعيتهم "شبتاي تسيفي"[3] على الإسلام الذي اعتنقه ظاهريا،

---

(1) مارتن بوبر: ولد في فيينا بالنمسا، حيث عاش هناك لبعض الوقت قبل أن يسافر مع أجداده وهو في سن الأربع سنوات إلى أوكرانيا. في عام 1938م استقر في القدس، شارك بوبر في تأسيس الحركة الصهيونية، وخصص جزءا كبيرا من حياته لإبراز ما يسميه "القيمة الثقافية للديانة اليهودية والاعتراف بها". كتب العديد من الكتب؛ ومنها: "أنا وأنت". عام1923م، وكتاب: "أقوال الحسيديين" عام 1961م. توفي في فيينا عام 1965م. "الموسوعة الحرة" بالعربي.

(2) "موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود" ص110.

(3) شبتاي تسفي שַׁבְּתַי צְבִי، أو: سبطاي سوي، اسمه الحقيقي: موردخاي زيفي، وعرف بين الأتراك باسم قرامتشته: يهودي أسباني الأصل، تركي المولد والنشأة، ولد عام 1626م،

فلما تأكد للسلطات التركية نفاقهم؛ سموهم: المرتدين!.

وهم فرقة حلولية يقولون بأن الله حل في داعيتهم، أو أنه ابنه، وأنه "المسيح المنتظر" المخلص، وبمجيئه تنتفي الخطيئة، ولا يصبح ثمة داع للشريعة، ويتوقف الشر، ويبطل الفساد والفناء والموت، ويعم السلام والعدل والرخاء سائر الأرض؛ لأن المسيح يعيد الشعب إلى أرضه، فيعود الله إلى سكنى داره، فيغتبط، وتفرح الأرض وتُدر العسل واللبن.

ولذلك عندهم أن "التوراة" المعروفة بتوراة موسى لا تصلح في هذا العصر؛ لأن الأحداث تجاوزتها، فهذه توراة تقوم على تخويف الكفار بالعقاب، وأساسها: القول بخطيئة آدم، وجلها أوامر ونواه وزواجر، وأما "التوراة الجديدة" أو "التوراة الفيوضية" التي يفيض بها حديث شبتاي؛ فأساسها: أن العصر الجديد هو عصر حاجات روحية لا جسدية.

ومن هؤلاء "الدونمة": طائفة رفضت اعتناق الإسلام، ويسمون طائفة "المؤمنين" Ma'aminin يقولون بثلاثة آلهة في إله واحد، ويسمون بالمثلثين أو القائلين بالتثليث، فهناك: العلة الأولى؛ أو: الإله الأول، إله العالمين، والعلة الثانية: رب إسرائيل، الخالق البديع المصور البارئ الحافظ، له الأسماء الحسنى. والثالث: "الشخيناه"[1]؛ أو العنصر الإلهي الأنثوي؛ وهو الحضور الإلهي في الشعب، أو هو:

وأسس يهود الدونمة سنة 1648م حين أعلن أنه مسيح بني إسرائيل ومخلصهم الموعود. ولما استفحل خطره اعتقلته السلطات العثمانية وناقشه العلماء في ادعاءاته، ولما عرف أنه تقرر قتله أظهر رغبته في الإسلام، وتسمى باسم محمد أفندي. واصل دعوته من موقعه الجديد كمسلم وكرئيس للحجاب، وأمر أتباعه بأن يظهروا الإسلام ويبقوا على يهوديتهم في الباطن. طلب من الدولة السماح له بالدعوة في صفوف اليهود، فسمحت له بذلك، فاستفاد من هذه الفرصة العظيمة للنيل من الإسلام. اتضح للحكومة بعد أكثر من 10 سنوات أن إسلام شبتاي كان خدعة، فنفته إلى ألبانيا ومات بها عام 1648م. "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (2/ 208).

(1) الشخيناه שכינה: أو: السكينة، أو: "التجلي الأنثوي للإله"؛ وهو: تعبير تقابله كلمة "شخيناه"، وهي كلمة عبرية تعني حرفيا "السكون"، أو "الهجوع"، وهي تشير في الأدبيات

الشعب المقدس!.

ويهود "الدونمة" عبثية ينكرون البعث والحساب، وإباحية: نساؤهم على المشاع، ولهم احتفالات جنسية جماعية، وكان داعيتهم الأكبر يعتبر الإسلام أكبر أعدائه، وكان لهم دور كبير في اختراق "حزب تركيا الفتاة" التركي، وهدم الدولة العثمانية، ويقال إن الزعيم التركي مصطفى كمال أتاتورك كان منهم.

وقد تغلغل الدونمة في الحياة الثقافية التركية، واتصلوا بالصوفية والدراويش، وعن طريقهم انتقل التصوف الإسلامي إلى "الحصيديين" في أوروبا الشرقية، وهي أكبر الفرق اليهودية بعد "التلموديين"[1].

ل - المبحث الثاني عشر : اليهودية الإصلاحية/ العصرية : Modern Judaism

فرقة دينية يهودية حديثة ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر في ألمانيا، وانتشرت منها إلى بقية أنحاء العالم، وتسمى أيضا: "اليهودية الليبرالية"، و"اليهودية التقدمية". ظهور هذه الحركات اليهودية يعود إلى أزمة "اليهودية الحاخامية" أو "التلمودية" التي ارتبطت بوضع اليهود في أوروبا قبل "الثورة الصناعية"[2]. وقد بدأ

الدينية اليهودية إلى الحضرة الإلهية، أو حلول الإله في الإنسان والعالم. ويرى بعض علماء الدين أن ثمة علاقة بين فكرة الشخيناه، وفكرة اللوجوس في فلسفة فيلون. ويرى باتاي أن الشخيناه - أصلا - إلهة كنعانية قديمة هي ملكة السماء، وأن اليهود قاموا بعبادتها في المملكة الجنوبية قبل سقوط أورشليم، ويقال: إن بعض اليهود الذين فروا إلى مصر استمروا في عبادتها مدة طويلة بعد ذلك. ولعل الشخيناه تتلبس - أيضا - في اليهودي حينما ينفذ التعاليم الإلهية. وهي تتحول إلى حقيقة فعلية؛ أي: تتجسد في الأشخاص والأماكن والأشياء ذات القداسة، وخصوصا في ساعات الدروس الدينية والصلاة؛ أي: إنها تتجلى داخل الزمان والمكان وفي الشعب اليهودي بأسره، ويرمز الضوء عادة للشخيناه. "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (الكبير) (13/ 473 ترقيم الموسوعة الشاملة)، وانظر "الموسوعة الحرة" بالإنجليزي.

(1) "موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود" ص113.

(2) الثورة الصناعية: هي انتشار وإحلال العمل اليدوي بالمكننة. شهدت بلدان أوروبا الغربية

الإصلاح حين لاحظ كثير من قيادات اليهود انصراف الشباب تدريجيا عن المعبد وعن الشعائر اليهودية بسبب جمودها وأشكالها التي اعتبروها بدائية متخلفة، فأخذوا بإدخال بعض التعديلات ذات الطابع الجمالي؛ من بينها: تحويل المعبد من مكان يلتقي فيه اليهود للتخاصم والشجار إلى مكان للتعبد يتطلب التقوى والورع. وبدأت المواعظ الدينية تلقى بلغة الوطن الأم بدل العبرية، وتحولت إلى مواعظ روحية بدلا من مواعظ شرعية دقيقة. بل اختزلت الصلاة نفسها عن طريق حذف قصائد "البيوط"[1] وغير ذلك من الابتهالات والأدعية، واستخدم الأرغن والجوقة.

كل هذه الإصلاحات كانت ذات طابع شكلي وجمالي، وقام بها أعضاء ليسوا من المؤسسة الدينية ابتداء، غير أن تلك التغيرات ابتدأت تكتسب طابعا عقديا، واتجهت نحو إصلاح العقيدة نفسها، ومن ثمة تعرضت لرد فعل عنيف من قبل المؤسسة الدينية. وهو ما أدى في نهاية الأمر إلى انقسام اليهودية المعاصرة إلى فرق متعددة لا يعترف الأرثذوكس فيها بيهودية الآخرين. وقد انضم إلى هذه الحركة في ثلاثينيات القرن الثالث عشر لفيف من الحاخامات الشباب الذين كانوا تلقوا تعليما دينيا وعصريا في نفس الوقت. ثم بعد مزج فرنسا الدراسات الدينية بالدراسات العصرية في مناهجها؛ ظهر مفكرون داعون إلى الإصلاح؛ مثل أبراهام

خلال القرن الثامن عشر نهضة علمية شاملة قامت على أكتاف العلوم التي نُقلت سلفا من الشرق، والتي أسسها وألّفها العلماء العرب المسلمون إبان العصر الذهبي للإسلام، فتنوعت الأبحاث والتجارب لتشمل مختلف فروع العلم، ولتؤدي إلى اختراعات واكتشافات مهمة كانت السبب المباشر في قيام الثورة الصناعية خلال القرن التاسع عشر، وهي ثورة كان لها الأثر البالغ على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية سواء في أوروبا أو خارجها خصوصا بعد اختراع الآلة البخارية واكتشاف الكهرباء. الموسوعة الحرة.

(1) بيُوط Piyyut פִּיּוּט: كلمة عبرية مشتقة من كلمة "بوياتيس" اليونانية ποιητής التي تعني: "إنشاد"، أو: "شعر"، (ومنها كلمة "بويتري poetry" الإنجليزية). وجمع الكلمة العبرية هي "بيوطيم" פִּיּוּטִים. وهي نصوص شعرية غنائية تتناول الموضوعات الدينية وتعبّر عن المشاعر الدينية، وتدخل على الصلوات اليهودية بهدف إثرائها وتزيينها، خصوصاً على صلوات الأعياد والسبوت. "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (الكبير) (5/ 352).

جايجر[1]، وصموئيل هولدهايم[2]، وكاوفمان كولر[3] الذين يرجع لهم الفضل في تأسيس اليهودية الإصلاحية.

تحاول هذه العقيدة - المدرسة حل إشكالية الحلول الإلهي في الشعب

---

(1) أبراهام جايجر Abraham Geiger: عالم يهودي ألماني، تَزعَّم الحركة اليهودية الإصلاحية في ألمانيا. حاول أن يدخل على اليهودية مفاهيم معاصرة أقل قَبَلية وأكثر عالمية من المفاهيم السائدة في عصره، ودعا إلى عقد أول مؤتمر للحاخامات الإصلاحيين عام 1837 م، ذهب إلى أن اليهودية دين له رسالة عالمية شاملة وليست مقصورة على شعب من الشعوب. ولذلك؛ فقد ركز هجومه على فكرة الختان، وقوانين الطعام، وعلى عقيدة الشعب المختار، وعلى تصوُّر أن اليهود يكوِّنون شعباً عالمياً، وعلى استخدام العبرية في المعبد اليهودي. كما هاجم كل المفاهيم ذات النزعة الدينية الخصوصية. تظهر روحه الإصلاحية في كتاب "الصلوات" الذي نشره عام 1854م حيث اختفت كل الإشارات إلى العودة لأرض الميعاد وفكرة الاختيار. ومن أهم أعماله: بعض الدراسات التاريخية الخاصة بتطورواليهودية والعهد القديم وترجماته، كما كتب دراسة في أعمال موسى بن ميمون ويهودا اللاوي، ولد في فرانكفورت عام 1810م، وتوفي في برلين عام 1876م. عن موقع تربقافة: http://lahodod.blogspot.com. و"الموسوعة الحرة" بالإنجليزي.

(2) صموئيل هولدهايم: حبر يهودي عاش في الفترة بين عامي (1806م - 1860م)، من زعماء هيكل برلين عام 1849م، وقد أقدم على استبدال السبت اليهودي ومراسيمه بالأحد المسيحي وطقوسه، وألغى الاحتفال باليوم الثاني لشهود القمر الجديد وولادته، ومع ظهوره وظهور جايجر بدأت حركة الإصلاحيين تتخذ أشد تطرفا وغلوا من قبل، فقد صرحا معا بلغة واضحة أن اليهودية عقيدة دينية وأخلاقية صرفة ليس فيها ما يشير إلى خصائص قومية. "الموسوعة الحرة" بالعربي.

(3) كاوفمان كولر Kaufmann Kohler: أحد زعماء اليهودية الإصلاحية. وُلد وتلقَّى دراسته في ألمانيا عام 1843م، ثم استقر في الولايات المتحدة عام 1869م. وعمل حاخاماً للجماعة الإصلاحية في شيكاغو ونيويورك إلى أن عُيِّن رئيساً لكلية الاتحاد العبري عام 1903م. وكان كولر الشخصية الأساسية في مؤتمر بتسبرج الإصلاحي حيث تم تَبنِّي قراراته الإصلاحية الشهيرة. وكان معارضاً قوياً للصهيونية. وقد أسهم في تطور اليهودية الإصلاحية في الولايات المتحدة، وكان يُعَد العالم الإصلاحي الأساسي. اشترك في تحرير الترجمة اليهودية الأمريكية للعهد القديم، وفي الموسوعة اليهودية (القديمة التي صدرت في أوائل القرن العشرين). وله دراسة منهجية تاريخية للاهوت اليهودي تُعَدُّ من أهم أعماله. توفي عام 1926م. "المكتبة الإسلامية الشاملة" موقع إلكتروني. http://sh.rewayat2.com.

اليهودي وفي مؤسساته القومية، وترى أن "التوراة" نتاج تاريخي من صنع الإنسان، وبذلك فإنها تهدم العقيدة اليهودية من أساسها؛ إذ إن جوهر مشروع اليهودية الإصلاحية: محاولة نزع القداسة عن كثير من المعتقدات الدينية اليهودية، ووضعها في إطار تاريخي، وذلك حتى يتسنى التفريق بين ما هو مطلق متحرر من الزمان والمكان وبين ما هو نسبي ومرتبط بهما. ولذا عدلوا فكرة "التوراة"؛ فهي بالنسبة لهم مجرد نصوص أوحى بها الإله للعبرانيين الأولين، ولذا يجب احترامها كرؤى عميقة، ولكنها يجب أن تتكيف مع العصور المختلفة. أي: إن الشريعة فقدت سلطتها الإلزامية المطلقة، وأصبحت "روح العصر" النقطة المرجعية والركيزة النهائية.

وهم لا يعترفون بالشريعة الشفوية، فقد تم تأكيد الجانب العقائدي والأخلاقي على حساب الجانب الشعائري أو القرباني، فهم يرون أن "اليهودية الحاخامية" تدور في إطار الشعائر المرتبطة بالدولة اليهودية وبالهيكل، وهي بالنسبة إليه شعائر لم تعد لها أية فاعلية أو شرعية!. كما تم استبعاد العناصر القومية الموجودة في الدين اليهودي، وهي تؤكد قداسة اليهود وانعزالهم عن الأمم الأخرى.

وقد نفت هذه العقيدة جل الشعائر الدينية، والغيب، والقداسة عن كل شيء، بحيث اتخذت نظرة مادية في فهم الأمور، حتى انتهى بهم الأمر إلى نفي الإله نفسه!، واتخاذ اتجاه علماني صرف، وقاموا بإلغاء الصلوات ذات الطابع اليهودي القومي، وجعلوا لغة الصلاة: الألمانية ثم الإنجليزية، لا العبرية، وأبطلوا كل الفوارق بين "اللاويين"[1] و"الكهنة"[2] وسائر اليهود، وأدخلوا الموسيقى والأناشيد

---

(1) اللاويون Levites: هم نسل لاوي (ليفي) بن يعقوب عليه السلام، وقد أوكل إليهم "العهد القديم" سدانة المعابد اليهودية المقدسة، وراثة ورثوها من هارون عليه السلام. "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (الكبير) (4/ 235).

(2) الكهنة: هم رجال المعبد اليهود، ويطلق الكاهن في "العهد القديم" على رجل الدين، وعلى مقدم القرابين، وعلى الساحر وعلى النبي، ولكن هي درجة عليا من درجات رجال الدين

الجماعية في الدين، كما أباحوا الاختلاط بين الجنسين في محال العبادة، بل سمحوا للمرأة أن تصبح حاخاما.

وسموا معابدهم "الهيكل" في محاولة منهم لتوطين اليهودية في البلاد التي يعيشون فيها، وأنكروا فكرة البعث والجنة والنار، وأحلوا محلها فكرة "خلود الروح"، وأسقطوا معظم شعائر السبت. وقد قبلت اليهودية الإصلاحية الشواذ جنسيا كيهود، بل نصبت بعضهم حاخامات، وأسست لهم معابد إصلاحية معترفا بها من قبل المؤسسة الإصلاحية!.

وقد حاولوا الإبقاء على فكرة "شعب الله المختار" عن طريق إعطائها دلالة أخلاقية عالمية جديدة، فجعلوا الشعب اليهودي شعبا يحمل رسالته الأخلاقية لينشرها في العالم حتى يستطيع من يشاء أن يؤمن بها، كما يؤكد الإصلاحيون - أيضا - أن اليهود شُتتوا في أطراف الأرض ليُحققوا رسالتهم بين البشر، وأن النفي وسيلة لتقريبهم من الآخرين وليس لعزلهم عنهم.

وأضفوا على فكرة العودة والماشيَّح طابعا إنسانيا؛ إذ رفضوا فكرة العودة الشخصية للماشيح المخلص، وأحلوا محلها "العصر المشيحاني"، وهي فكرة تربط بين العقيدة المشيحانية وروح العصر. فالعصر المشيحاني؛ هو: العصر الذي سيحل فيه السلام والكمال، ويأتي الخلاص إلى كل الجنس البشري، وينتشر العمران والإصلاح، ويتم كل هذا من خلال التقدم العلمي والحضاري[1].

الخلاصة:

إن البحث في الفرق اليهودية يحتاج إلى كتاب وحده، نظرا لكثرتها وتشعبها؛ إذ كما مضى فإن شتات اليهود، وكثرة محنهم، والتأخر في تدوين توراتهم التي

اليهودي. ويوجد كهنة في ديانات أخرى أيضا، ويختلف المعنى باختلاف الدين. والنظر "حياة المسيح" ص237.

(1) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (2/ 146 - 150).

ضاعت في التابوت، والتباين في مفهوم النبوة لديهم، وتأثرهم بمن جاورهم من الأديان الأخرى؛ جعل الاختلاف في الأنظار والمفاهيم والعقائد اليهودية يتنوع بتنوع تلك المتغيرات. غير أنني آثرت ذكر أهم تلك الفرق، والتي لها تأثير بين إلى الآن في النسيج اليهودي، مع عدم اعتبار الحركات الفكرية والسياسية - نحو الفكر الصهيوني - جزءا من هذه المنظومة، إذ سأفرد له مبحثا في الفصل الرابع، وإن كان يمثل تيارا فكريا عقديا متميزا؛ نظرا لغلبة الاتجاه السياسي عليه، ولارتباطه الواضح بفكرة "المخلص" كما يأتي لاحقا بإذنه تعالى.

ويظهر مما مضى أثر مفهوم "الخلاص" في الفكر اليهودي في إنشاء الفرق اليهودية، أو بلغة أخرى اختلاف اليهود في استكناه مفهوم "الخلاص"؛ وهو: الاختلاف الذي ارتقى اختلافا في الإله نفسه، ومفهوم التوحيد، إلى الاختلاف في الكتب المقدسة، والمعاد، وقداسة الشعب اليهودي الإسرائيلي، ومفهوم أرض الميعاد، والهيكل المقدس...إلخ، وهي اختلافات تجعل من الفرق اليهودية أديانا متعددة، غير أن قدرة النموذج اليهودي على المحافظة على وحدته، ولم شتات أبنائه، جعل منه يقبل هذه التناقضات كلها في طيه، وهو ما اصطلح عليه الباحث المتخصص في الفكر اليهودي الدكتور عبد الوهاب المسيري رحمه الله تعالى بـ: "التركيب الجيولوجي" للفكر اليهودي، بمعنى أنها طبقات غير متجانسة ولكنها منضوية في مجسَّم واحد.

الفصل الرابع
أثر مفهوم الخلاص في مفهومي "نهاية التاريخ" و"المخلص" عند اليهود

المبحث الأول : نهاية التاريخ The End of History :

ويطلق عليها باللاتيني أيضا: Apocalypse؛ أي: القيامة. يرى الأستاذ عبد الوهاب المسيري أن "نهاية التاريخ": "عبارة تصف اللحظة التاريخية التي تسود فيها الواحدية (الروحية أو المادية) في بساطتها واختزاليتها التي تحوِّل الإنسان إلى شيء طبيعي/مادي، فلا يبقى سوى المبدأ الواحد، الذي يستوعب الإنسان تماماً فتختفي كل الثنائيات، ويختفي الزمان والتدافع، ويختفي معها الإنسان المركب، بل الحيز الإنساني ذاته. وبما أن ما يسود في العصر الحديث هو الواحدية المادية؛ فإن عبارة "نهاية التاريخ" تعني، في واقع الأمر، نهاية التاريخ الإنساني وبداية التاريخ الطبيعي. وفي العصر الحديث ترتبط فكرة نهاية التاريخ باليوتوبيا التكنولوجية والتكنوقراطية، وبالفردوس الأرضي، وبفكرة العودة إلى صهيون!"[1].

كما تذكر موسوعة المصطلحات Dictionnaire des symboles بأن مصطلح الأبوكاليبس "نهاية التاريخ"، أو: القيامة؛ أصبح: "رمزا للحظات الأخيرة في العالم، والتي ستشهد ظواهر مرعبة، تدفقات طوفانية للأنهار، انهيار الجبال، انشقاقات كبرى في الأرض، معانقة السماء من خلال انقصاف لا يوصف، وبالتالي أصبحت الأبوكاليبس رمزا لنهاية العالم!"[2].

---

(1) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (الكبير) (ج8).

(2) Dictionnaire des symboles. By Jean and Gheerbrant, Alain Chevalier . Publisher: Éditions Robert Laffont/ JUPITER 1982 .

فمسألة "نهاية التاريخ" ووجود "المخلص" الذي يصلح الدنيا قبل فنائها، ويعمرها قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، هي فكرة بشرية انطلقت من أعماق التاريخ[1]، فما من أمة من الأمم السابقة إلا وبشرها أنبياؤها بمخلص سيأتي آخر الزمان، ينشر في الدنيا العدل والقسط كما ملئت جورا وظلما، وهذه الفكرة لا تقتصر على اليهود والنصارى والمسلمين فحسب، بل عُرفت حتى في الأديان القديمة والأديان الوضعية؛ من مثل البراهما، والبوذية، والصابئة وغيرها.

ويمكن اعتبار نشأة فكرة "نهاية التاريخ" ابتدأت منذ النبي نوح عليه السلام، خاصة بعد الطوفان الذي عم العالم، فلم يبق في الدنيا بشر إلا من ركب السفينة مع نوح الأب الثاني للبشر.

كما أن فكرة "نهاية التاريخ" كفكرة إديولوجية - سياسية هي فكرة توراتية ما انفكت تدور بخلد اليهود والنصارى منذ قدم التاريخ، ثم استفحلت وانتشرت في القرنين الأخيرين بعد ظهور "الصهيونية المسيحية" و"الصهيونية اليهودية"، و"الحركة الإنجيلية" المعاصرة.

فمنذ نحو القرنين أعلن الفيلسوف الألماني "هيجل" أن التاريخ انتهى عام 1806م؛ لأنه رأى في دحر نابليون للملكية البروسية في معركة "يينا" انتصارا لمثل الثورة الفرنسية، وبشيرا بامتداد الدولة التي تجسد مبادئ الحرية والإخاء والمساواة إلى أنحاء العالم.

ومن مفارقات التاريخ أن يكون كارل ماركس - اليهودي الأصل - أشهر من روجوا لفكرة نهاية التاريخ؛ فقد كان رأيه أن التاريخ سيصل نهايته بتحقيق اليوتوبيا[2] الشيوعية، التي ستحل في النهاية جميع التناقضات السابقة عليها.

---

(1) خلافا لما تزعمه "الموسوعة الحرة" باللغات العربية والإنجليزية والإسبانية، من أنها فكرة من وضع الفيلسوف الأمريكي فرانسيس فوكوياما.

(2) **اليوتوبيا أو يوطوبية أو الطوبى**؛ بالإنجليزية: Utopia: مفهوم فلسفي يعني المكان الذي يبدو كل شيء فيه مثاليًا ولا توجد فيه أي نوع من الشر؛ كالفقر والظلم والمرض، وهو عكس الديستوبيا. وتطلق صفة يوتوبيا أيضا على الأفكار المثالية التي لا يمكن تطبيقها في

ومثلما قام كارل ماركس بقلب المنظومة الفكرية لهيجل؛ ظهر عالم الاجتماع الألماني "ماكس فيبر" ليدحض مادية ماركس، ويعيد الاعتبار لمثالية هيجل معتبرا أن الأخلاق البروتستانتية هي روح الرأسمالية، وأن الرأسمالية هي نهاية التاريخ.

وبعد أن أسقط التاريخ نفسه مادية ماركس، بسقوط الشيوعية في الاتحاد السوفياتي وشرق أوروبا؛ بدأ فوكوياما من حيث انتهى إليه وقبله هيجل بإعلان انتصار الغرب الرأسمالي والوصول إلى "نهاية التاريخ".

فقد توصل فرنسيس فوكوياما، عالم السياسة الياباني الأصل، الأمريكي الجنسية، في مقال إيديولوجي تضمنته محاضرته في مجلة The national interestعام 1989، ثم في كتابه: "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" عام 1992م[1]، إلى أن القرن العشرين قد أتم دورته بنصر مؤزر للحضارة الغربية، مستشهدا باستنزاف البدائل المنهجية الأساسية، وآخرها: الشيوعية، معتبرا ذلك نقطة النهاية لتطور البشرية.

ثم جاء كتاب "صاموئيل هنتنغتون" عالم السياسة الأمريكي، الذي حمل عنوان: "صدام الحضارات: إعادة تشكيل النظام العالمي"[2] والصادر عام 1996م، ليتنبأ بأن نهاية التاريخ هي نهاية الصراع بين الحضارات، أو بمعنى أدق: صراع بين

المجتمع، نظرًا لبعدها عن الواقع الحقيقي. وتسمى بالعربية: المدينة الفاضلة. "الموسوعة الحرة" بالعربي.

(1) طبع هذا الكتاب مترجما للغة العربية عام 1413هـ/ 1993م، ترجمة حسين أحمد أمين، بمركز الأهرام للترجمة والنشر - القاهرة. وقد تصدى للرد عليه مجموعة من المفكرين المسلمين، منهم: الدكتور الشيخ سلمان بن فهد العودة في كتابه: "نهاية التاريخ"، وهو كتاب صغير في نحو 56 صفحة.

(2) طبع كتاب "صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي" مترجما إلى اللغة العربية بترجمة طلعة الشايب، وتقديم د. صلاح قنصوه عدة طبعات، منها: الطبعة الثانية عام 1999م، وقد رد على هذا الكتاب المفكر الأمريكي ريتشارد بوني في كتاب سماه: "مدعوا نبوءة صدام الحضارات وحرب الإرهاب"، طبع ضمن منشورات "سطور" - القاهرة، عام 2008م، بترجمة فاطمة نصر.

الحضارة الغربية المسيحية وبقية العالم.

ثم استكمل المستشرق برنارد لويس السير في طريق التأسيس النظري للصراع بين الحضارات/ الأديان، والإعلان الإيديولوجي لانتصار الغرب المسيحي. ففي كتابه: "ثقافات في صراع" يؤرخ للصراع بين الغرب والشرق، ويشكل أكثر تحديدا بين الغرب الأوروبي الأمريكي المسيحي، والشرق الإسلامي!. فيختزل الصراع بين الحضارات إلى صراع بين الحضارة الغربية المسيحية والحضارة الإسلامية، فيكون صراع أديان، ويعلن في النهاية انتصار الغرب المسيحي، وهو الانتصار الذي بدأ منذ عام 1492م بسقوط الأندلس في يد الكاثوليك[1].

وأصل "المفهوم السياسي" لنهاية التاريخ هم المسيحيون، خاصة البروتستانتيون، فهم الذين فلسفوا لهذا المفهوم، وربطوه ربطا مباشرا بالمشيحانية في الفكر التوراتي والإنجيلي، وبنوا على هذا المفهوم: ضرورة تأسيس دولة لليهود في فلسطين آخر الزمان، وبناء "الهيكل" حتى تصبح الدنيا جاهزة لظهور "المسيح المخلص" حسب المفهوم التوراتي، أو "النزول الثاني" للمسيح حسب المفهوم الإنجيلي.

ولذلك سأستعرض في هذا الفصل مفهوم "المشيحانية"، في الفكر التوراتي اليهودي، ثم الحركات السياسية - العقدية التي حاولت تحقيق "نبوءات التوراة" على أرض الواقع، وجعل "مفهوم الخلاص" اليهودي حقيقة واقعية أكثر منه حقيقة عقدية.

المبحث الثاني: المشيحانية في الفكر اليهودي:

مضى معنا في "المقدمة" أن مصطلح "المشيَّح"، و"المشيحانية"؛ يعني: المخلص الذي سيأتي آخر الزمان، وبه ستكون "نهاية التاريخ"، وسيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما. فطبقا لما مضى من حالة السبي والقهر؛ احتاج

(1) "المسيح اليهودي ونهاية العالم: المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا" تأليف: رضا هلال. مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الثانية عام 1425هـ/ 2004م القاهرة ص247، 248.

بنو إسرائيل إلى من يثبِّت قلوبهم ويربط الأمل بينهم، ليحافظ على إيمانهم وتماسكهم، فكانت فكرة "المخلص"، أو "المشيحانية"؛

فعلى عكس الشعوب القديمة الأخرى التي كانت تصنع عصرها الذهبي في الماضي المتوغل في القدم؛ كان اليهود ينتظرونه في المستقبل، ولمرات عديدة كان "العهد القديم" يلمح إلى "الأيام الأخيرة" أو: "يوم الدينونة"، التي تبلغ فيها العظمة القومية ذروتها، فقد انغمس هذا الأمل في مخيلة الشعب، ومع الزمن بدأت العجائب التي كان عليها إظهار الحقيقة في ذلك العالم تتعدد وتتكاثر، فالمستقبل المجيد يدور حول شخص المسيح "ماشيح"، الذي سيرسله الله ليرأس تدشين العصر الجديد والعجيب!. و"المشيحانية" تتلخص في التالي:

أن في آخر الزمان سيأتي "مسيح" مخلص، يوجد بين بني إسرائيل، وينشئ لهم دولتهم، ويعيد بناء هيكل سليمان، ويجعل العالم كله مشرئبا متملقا إلى بني إسرائيل، وأن علامة هذا المخلص: حرب كونية سيشارك فيها نحو 200مليون شخص من قوى الخير وقوى الشر، وستكون هذه المعركة بمنطقة "هرمجدون"، وهرمجدون هي: منطقة "جبل مجدل" التي تقع على نحو 60 كلمترا شمال القدس الشريف "أورشليم".

فالنبوءة تنبني على فكرة:

1- وجود مخلص "مسيح"، يخلص الناس "قوى الخير" وهم بنو إسرائيل، من "قوى الشر" وهم سائر الناس.
2- يؤسس للدولة الدينية التي أسسها موسى من قبل.
3- يؤسس لدولة ملك بني إسرائيل كما أسسها داود عليه السلام.
4- يكون هذا "المسيح" من نسل داود عليه السلام.
5- يقيم دولة الله في الأرض بعدما فسدت دولة الدنيا.
6- من آيات هذه الدولة: حرب فظيعة وكبيرة، تكون سببا في فناء قوى الشر وبقاء قوى الخير "اليهود".

ويطلق على هذه العقيدة اسم: "المسحوية" أيضا، ولم تقتصر هذه العقيدة

على زمن القضاة إلى السبي، بل تحدث عنها أحبار ومفكرون يهود وغير يهود، جيلا بعد جيل، إلى أن نظّر لها أخيرًا المفكر الصهيوني الشهير "ثيودور هرتزل"[1] صاحب فكرة الوطن القومي لليهود: "دولة إسرائيل"، وأن تأسيس دولة إسرائيل هو السبب الأول والأساس لظهور هذا المسيح المخلص.

ومن النبوءات التي يعتمد عليها اليهود: ما جاء في "التلمود" من قوله: " إن المسيح يعيد قضيب الملك إلى بني إسرائيل فتخدمه الشعوب وتخضع له الممالك، وعندئذٍ يمتلك كل يهودي (2800) عبداً و(310) أبطالا يكونون قائمين تحت إمرته ". انتهى.

وفي عهد المسيح - أيضاً - كما يعتقد اليهود تكثر الخيرات عند اليهود، فتنبع الجبال لبناً وعسلاً، وتطرح الأرض فطيراً وملابس من الصوف كما جاء ذلك في سفر "يوئيل" الإصحاح الثالث بقوله: "ويكون في ذلك اليوم أن الجبال تقطر عصيراً، والتلال تفيض لبناً، وجميع ينابيع يهوذا تفيض ماءً". انتهى.

وقد أضفى اليهود "الإصلاحيون" على فكرة العودة والماشيح طابعا إنسانيا؛ إذ رفض ممثلوهم في مؤتمر بترسبرج Saint Petersburgفكرة العودة الشخصية

---

(1) ثيودور هرتزل Theodor Herzl: صحفي يهودي نمساوي مَجَري، مؤسس الصهيونية السياسية المعاصرة. ولد في بودبست عام 1860م، وتوفي في إدلاخ (Edlach) بالنمسا عام 1904م .تلقى تعليما يطابق روح التنوير الألماني اليهودي السائد في تلك الفترة، وعرض أفكاره في الكتيب الذي انتهى من تأليفه يوم 17يونيو1895م والذي نشر سنة1896م تحت عنوان"Der Judenstaat" ، دولة اليهود. وإن لم يجد الكتيب صدا واسعا في البداية، إلا أنه وضع فعلا حجر الأساس لظهور الصهيونية السياسية وتأسيس الحركة الصهيونية بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية بين 29 و31 أغسطس1897م وانتخاب هرتزل رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية. بعد ذلك بدأ هرتزل عدة محادثات مع شخصيات عديدة من دول مختلفة، مثل القيصر الألماني فيلهلم الثاني (Wilhelm II) الذي التقى به سنة 1898م مرتين في ألمانيا وفي القدس، أو السلطان العثماني عبد الحميد الثاني سنة 1901م، بحثا عن مؤيدين للمشروع الصهيوني. لكن جهوده فشلت وتركت المجال مفتوحا لمواصلة العمل على تأسيس الدولة. "الموسوعة الحرة" بالعربي. "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (2/ 271).

للمسيح المخلص، وأحلوا محلها فكرة: "العصر المشيحاني"؛ وهي: فكرة تربط بين العقيدة المشيحانية وروح العصر، فالعصر المشيحاني؛ هو: العصر الذي سيحل فيه السلام والكمال، ويأتي الخلاص إلى كل الجنس البشري، وينتشر العمران والإصلاح، ويتم كل هذا من خلال التقدم العلمي والحضاري. فالفكرة هنا فصلت تماما عن الشعب اليهودي وعن شخص الماشيح، وارتبطت بكل البشر وبالعلم الحديث[1].

بمعنى أنها صارت فكرة حضارية، وارتبطت بتأملات كل شعوب العالم، وليس هذا التفكير نوعا من الانفتاح بمقدار ما هو نوع من "علمنة اليهودية"، أو بلغة أخرى: تسهيل إقناع العالم بهذه الفكرة. فالفكر الإصلاحي مبني على أن هذا الإصلاح العالمي سيكون على يد اليهود، وبسبب اليهود، فهم نقطة مدار هذا الأمل الإنساني العارم.

المطلب الأول: أصل فكرة "المشيحانية" من العهد القديم:

ظهرت فكرة "المخلص" في عدة أسفار من أسفار "العهد القديم"، بل والحديث - أيضا - غير أننا بصدد الحديث عن العهد القديم فقط؛ من أهمها: سفر "الرؤيا" الإصحاح 16 (من أسفار العهد الجديد)، ونبوءات "صموئيل"، و"يوشع"، و"إشعيا"، و"أرميا"...وغيرهم من أنبياء أو متنبئ بني إسرائيل.

ومن تلك النصوص:

ما جاء في سفر "إشعيا" (14/7): "ولكن يعطيكم الرب نفسه آية: ها الصبية تحبل وتلد ابنا، وتدعو اسمه: "عِمَّانُوئيل". يعني: معنا الإله.

وفي سفر "ميخا" (2/5): "وأنت يا بيت لحم أفراتة، وأنت صغيرة أن تكوني بين عشائر يهوذا، فمنك يخرج لي الذي يكون حاكما في إسرائيل، وأصله منذ الأزمنة الباكرة منذ أيام الدهر".

وفي سفر "إرمياء" (5/23): "ها أيام تأتي، يقول الله: أقيم لداود غصن بر،

(1) "من هم اليهود وما هي اليهودية: أسئلة الهوية وأزمة الدولة اليهودية" ص108.

فيملك ملك وينجح، ويجري حقا عدلا في الأرض".

وفي سفر "دانيال" (9/ 24 - 27)، يشير إلى نبي جليل عظيم القدر، ونصه: "سبعون أسبوعا قصيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا، ولكفارة الإثم، وليؤتى بالبر الأبدي، ولختم الرؤيا والنبوة، ولمسح قدوس القدوسين، فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا، يعود ويبني سوقا وخليجا في ضيق الأزمنة"...إلخ.

من هذه النقول وغيرها استمد اليهود - ومن ورائهم المسيحيون - فكرتهم في المخلص الذي سيأتي آخر الزمان، وإن كان المسيحيون يعتبرون أن تلك الصفات إنما هي صفات المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، لأنه من أبناء يهوذا، ومن أبناء داود أيضا[1]، ومن هنا تظهر المفارقة بين مفهوم اليهود ومفهوم المسيحيين، والخداع والاستغلال المتبادل بين كلا الطرفين، من أجل تحقيق أهداف عقدية وسياسية ومصلحة مختلفة تماما.

المطلب الثاني: مهمة المسيح في "العهد القديم":

المسيح المنتظر عند اليهود ستكون مهمته العالمية: خلاص الشعب، وحكم العالم بشريعة صهيون، ففي سفر "إشعياء" 2/2 - 4: "ويحدث في آخر الأيام، أن جبل هيكل الرب يصبح أسمى من كل الجبال، ويعلو فوق كل التلال، فتتوافد إليه

(1) يقول شقيقنا العلامة حسن بن علي الكتاني فك الله أسره، في كتابه "ذكر أسماء الأنبياء عليهم السلام ومعانيها"/ مخطوط: "اختلف رواة "الإنجيل" في رفع نسب المسيح عيسى عليه السلام اختلافا لا يمكن الجمع بينه، وذلك عند متى ولوقا، دون غيرهما، ومع ذلك فهما يرويان نسب يوسف النجار الذي يقال: إنه تزوج مريم عليها السلام، أما نسب أم المسيح؛ فلم يذكره أي واحد من الرواة. لكن علماء المسلمين قد فعلوا ذلك كما هو في "تاريخ دمشق" للحافظ أبي القاسم ابن عساكر رحمه الله، وما ذكره هو نفس النسب الذي أورده متى أول "الإنجيل" (1/ 1 - 16)، ما يجعل مريم ابنة عم يوسف النجار. أما أن المسيح عليه السلام من آل داود؛ فهذا الذي كان مشهورا في زمانه، كما كان كثير من الناس يدعونه: "ابن داود" كما في "الإنجيل" في العديد من المواضع". بخ.

جميع الأمم، وتقبل شعوب كثيرة وتقول: تعالوا لنذهب إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيعلمنا طرقه، ونسلك سبله؛ لأن من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم تُعلم كلمة الرب، فيقضي بين الأمم، ويحكم بين الشعوب الكثيرة، فيصبحون سيوفهم محاريث، ورماحهم مناجل، ولا ترفع أمة على أمة سيفا، ولا يتدربون على الحرب فيما بعد".

ويرى اليهود أنه من البقية الصالحة من بني إسرائيل، من نسل داود، يعيد اليهود إلى أرض فلسطين كإعادة زرع النبتة في أرضها، ويسترجع دولة داود المثال الذي يجب أن يُرجى تحقيقه ليعم العدل العالم، فيرضى الله، فتثمر الأرض لبنا وعسلا[1].

وجاء في "التلمود": "سيأتي المسيح، ويحصل النصر، ويقبل هدايا الشعوب، ويرفض هدايا المسيحيين، وتكون الأمة اليهودية في غاية الثروة، لأنها قد حصلت على جميع أموال العالم!"[2].

وتأتي فكرة "المسيح المنتظر" عند اليهود مقترنة بفكرة "تجديد العهد" مع الرب "يهوه"، وحينئذ تتجدد أمتهم لتصبح جديدة بحبه. وساد الاعتقاد لدى اليهود أن الله سوف يبعث لهم في آخر الزمان من يخلصهم من الظلم والعقاب والتشرد، ويجمع شتاتهم في فلسطين، ويعيد بناء "الهيكل"، وتصبح مدينة أورشليم لا مثيل لها، ويقيم فيها الرب على جبل صهيون، فيتحقق مجد إسرائيل، ويكون هو ملكا عليهم، فتخدمه الشعوب وتخضع له الممالك، ويبلغ سلطانه البر والبحر، ويجعل من الأقلية اليهودية النخبة التي ترث العالم وتسوده وتحكمه.

ويرون أنه إذا حرك شفتيه بالدعاء؛ ماتت جميع الأمم، ولا يبقى إلا اليهود، فيخلوا العالم من سواهم، ويحجم الموت عن جنابهم المدة الطويلة[3].

ويعتقد اليهود - كذلك - أن المسيح عندما يخرج يجمع مشتّتي اليهود من

---

(1) "موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود" ص143.

(2) "قراءات معاصرة في العقيدة اليهودية" ص132.

(3) "قراءات معاصرة في العقيدة اليهودية" ص134.

كل أنحاء الأرض، ويُكوِّن منهم جيشاً عظيماً، ويكون مكان اجتماعهم في جبال أورشليم في القدس حيث جاء في سفر أشعيا الإصحاح السادس والستين ما نصه: "ويحضرون كل إخوانكم من كل الأمم، تقدِمَةً للرب، على خيل، وبمُرَكبات وبهوادج وبغال وهجن إلى جبلِ قُدسي: أورشليم"[1].

وهذا الاجتماع ليس مقصورا على الأحياء فقط، بل حتى الأموات من اليهود يحييهم الله ويخرجهم من قبورهم لينضموا إلى جيش اليهود الذي يقوده المسيح كما جاء في سفر "حزقيال" الإصحاح (37).

وبعد أن يجمع المسيح اليهود من كل أنحاء الأرض يقوم بجمع الأمم الأخرى الذين ظلموا اليهود ويحاكمهم ويقتص منهم على ما فعلوه باليهود كما جاء في سفر "حزقيال"، الإصحاح الثالث.

أما نتيجة هذه المحاكمة؛ فقد وضحها سفر "زكريا"، الإصحاح (13) وهو أنه: يقتل في ذلك اليوم ثلثا العالم على يد مسيح اليهود المنتظر، وفي عهد المسيح المنتظر كذلك تتغير أجسام اليهود وتطول أعمارهم ومن التغير الذي يحدث لليهود: أن أعمارهم تطول فيعمرون قروناً كثيرة، وكذلك تتغير أجسامهم فتصل قامة اليهودي في ذلك الوقت إلى مائتي ذراع. حيث جاء في "التلمود" ما نصه: "إن حياة الناس حينئذٍ ستطول قروناً، والطفل يموت في سن المئة، وقامة الرجل ستكون مائتي ذراع ".

كما أكد وجود هذه العقيدة عند اليهود الحبر اليهودي الكبير الذي أسلم السموأل بن يحيى المغربي السبتي، فقد قال في كتابه "بذل المجهود": "وينتظرون - يعني: اليهود - قائماً يأتيهم من آل داود النبي؛ إذا حرك شفتيه بالدعاء مات جميع الأمم، ولا يبقى إلا اليهود، وأن هذا المنتظر - بزعمهم - هو المسيح الذي وُعِدوا به...إلى أن قال: ويعتقدون - أيضاً - أن هذا المنتظر متى جاءهم يجمعهم بأسرهم إلى القدس، وتصير لهم دولة، ويخلو العالم من سواهم، ويحجم الموت عن

(1) "قراءات معاصرة في العقيدة اليهودية" ص134.

جنابهم المدة الطويلة"[1].

ولكن خلاص الشعب وحكم صهيون لن يتحقق إلا بعد حرب جوج وماجوج[2] في نهاية التاريخ، وظهور الحرب العظيمة المسماة "هرمجدون" הַר מְגִדּוֹ، ففي سفر "حزقيال" 39/ 1 - 8: "وتنبأ أنت يا ابن آدم على جوج، وقل: هذا ما يعلنه السيد الرب: ها أنا أنقلب عليك يا جوج رئيس روش ماشك وتوبال، فأحول طريقك وأقودك، وأحضرك من أقاصي الشمال، وآتي بك إلى جبال إسرائيل، وأحكم قوسك في يدك اليسرى، وأسقط سهامك من يدك اليمنى، فتتهاوى أنت وجميع جيوشك وسائر حلفائك الذين معك على جبال إسرائيل، وأجعلك قُوتا لكل أصناف الطيور الجارحة والوحوش البرية، فتصرع على وجه الصحراء؛ لأني قضيت - يقول السيد الرب. وأصب نارا على ماجوج وعلى حلفائه الساكنين بأمان في الأرض الساحلية، فيدركون أني أنا الرب، وأعرف اسمي القدوس بين شعبي إسرائيل، ولا أعود أدعه يتدنس، فتدرك الأمم أني أنا الرب قدوس إسرائيل. ها إن الأمر قد وقع وتم - يقول السيد الرب - هذا هو اليوم الذي أَخبرت به"..

ويصور "التلمود" الحال اليهودي عند ظهور "المسيح المنتظر"؛ فقد جاء فيه: "لما يأتي المسيح تطرح الأرض فطيرا وملابس من الصوف، وقمحا حبه كقدر كلاوي الثيران الكبيرة، وفي ذلك الزمن ترجع السلطة لليهود، كل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له، وفي ذلك الوقت يكون لكل يهودي ألفان وثمانمائة عبد يخدمونه، وثلاثمائة وعشرة أعوان تحت سلطته، ولكن لا يأتي المسيح إلا بعد انقضاء حكم الأشرار الخارجين عن دين بني إسرائيل...وتكون الأمة اليهودية إذ ذاك في غاية الثروة؛ لأنها تكون قد تحصلت على جميع أموال العالم، وستملأ هذه الكنوز سرايات واسعة لا يمكن حمل مفاتيحها وأقفالها على أقل من ثلاثمائة حمار!...وترى الناس كلهم حينئذ يدخلون في دين اليهود أفواجا، ويقبلون كلهم ما عدا المسيحيين؛ فإنهم يهلكون؛ لأنهم من نسل الشيطان!.. ويتحقق منتظر الأمة

(1) "بذل المجهود في إفحام اليهود". ص39.

(2) يعني: يأجوج ومأجوج، وتوجد عند المسلمين نبوءات قريبة من ذلك.

اليهودية بمجيء إسرائيل، وتكون تلك الأمة هي المتسلطة على باقي الأمم عند مجيئه"[1].

ويلاحظ من خلال نصوص "العهد القديم" أن "المسيح المنتظر" هو الذي سيصلح العالم، وينصر بني إسرائيل،ويقتل ثلثي العالم من أجلهم، وينشئ "دولة إسرائيل"، لا أن "دولة إسرائيل" هي التي ستكون سببا لظهور "المسيح المنتظر"، وهذه العقدة المهمة هي التي ستتجلى في المباحث القادمة، وكيف استطاعت "الصهيونية اليهودية" بعكس الواقع!.

ومن اعتناء اليهود المعاصرين بهذه النبوءة؛ أنهم يحيونها في أعيادهم إلى الآن؛ ففي عيد الاستقلال اليهودي: داخل الإطار الحلولي يكتسب الاحتفال بمناسبة قومية أبعادا دينية ويكون للاحتفال جانب ديني، وقد قررت الحاخامية الكبرى في إسرائيل أن يبدأ الاحتفال بقراءة المزامير (107، 97، 98) وينتهي بالنفخ في البوق "شوفار" שופר، الذي لا يستخدم إلا في المناسبات الدينية الجليلة، مثل عيد رأس السنة "روش هاشَّاناه" ראש השנה وتتلى العبارات التالية: "فلتكن مشيئتك أن تجعل من نصيبنا أن نسمع الشوفار يعلن مقدم الماشيَّح سريعا، كما جعلت من نصيبنا أن نرى بداية الخلاص!"[2].

أما عيد الفصح אידיש פֶּסַח؛ فتكثر في هذا العيد القصص حول النبي إيليا والمسيح المنتظر، كما تشيع الأغاني والأناشيد الجدية والهزلية[3].

المبحث الثالث: "الفكر الصهيوني" Zionism، ציונות:

كلمة "صهيوني" مشتقة من الكلمة "صهيون"؛ وهي: أحد ألقاب "جبل صهيون" والذي يعتبر الأقرب إلى مكان بناء الهيكل في القدس كما هو مذكور في الصحائف المقدسة المسيحية واليهودية، وتعبّر كلمة "صهيون" عن أرض الميعاد

(1) "الكنز المرصود في قواعد التلمود" ص139.

(2) "قراءات معاصرة في العقيدة اليهودية" ص20.

(3) "قراءات معاصرة في العقيدة اليهودية" ص31.

وعودة اليهود إلى تلك الأرض.

وصهيون على وفق التفسير التوراتي هو: الاسم الملازم للقدس الذي كان يشير إلى جبل الهيكل "جبل موريا"، ثم أصبح يشير إلى القدس العاصمة، ثم إلى مجموع الأراضي المقدسة: فلسطين وضفة الأردن، وأن اليهود يقدسون القدس وأرض الميعاد كلها تحت شعار: "صهيون الأمة الجامعة"، ويرددون كلمة: "العام المقبل في أورشليم"، ويعدون الأرض الموعودة المقدسة هي أعلى من الأراضي كلها، وحتى اليوم يستخدم الإسرائيليون واليهود جميعهم تعبير "الصعود إلى أعلى" حين الحديث عن انتقالهم من أي بلد في العالم إلى "إسرائيل". وفي سفر "أشعياء" (2/ 3) ما نصه: "لأنه من صهيون تخرج الشريعة (التوراة)، ومن أورشليم كلمة الله"[1].

وفي "مزامير داود" (6/2): "أما أنا؛ فقد مسحت مَلِكي على صهيون جبل قدسي". وفيها (132/ 13): "لأن الله قد اختار صهيون؛ اشتهاها مسكنا له".

ويرى الصهاينة أن ظهور الصهيونية يعود إلى اللحظة التي هدم فيها "تيتوس" الهيكل وفرض على اليهود الشتات، ويقوم الصهاينة بالتأريخ لوقائع تاريخ العبرانيين وتواريخ أعضاء الجماعات اليهودية في فلسطين بمصطلحات مثل: "الهيكل الأول"، و"الهيكل الثاني"، ويشير ابن جوريون[2] وكثير من العلماء الإسرائيليين إلى "دولة إسرائيل" باعتبارها "الهيكل الثالث!"[3].

---

(1) "الواقع الاجتماعي والاقتصادي الإسرائيلي وأثره في الفكر الاستراتيجي". تأليف: "آلاء طالب خلف. رسالة ماجستير، رسالة غير منشورة مقدمة إلى كلية بغداد عام 2006م، ص55. بواسطة كتاب: "قراءات معاصرة في العقيدة اليهودية" ص88.

(2) دافيد بن جوريون דוד בן גוריון: من كبار الصهاينة الذين استوطنوا فلسطين في أوائل القرن العشرين، عام 1906م، ولد في مدينة بلونسك البولندية عام 1886م، وكان اسمه: دافيد جرين، امتهن الصحافة أولا، من مؤسسي حزب العمل الإسرائيلي، ورئيس وزراء "إسرائيل" الذي قاد حرب عام 1948م من أجل تأسيس "دولة إسرائيل" في فلسطين، وأسس "جيش الدفاع الإسرائيلي"، توفي عام 1973م. "الموسوعة الحرة". بالعربي.

(3) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (1/ 160).

يقول هرتزل في تعريفه للصهيونية: "إنها حركة الشعب اليهودي في طريقه إلى فلسطين".

وفي طبعة عام 1943م من موسوعة "دائرة المعارف البريطانية" تم تعريف الصهيونية بأنها: "رد فعل لليهود على اللاسامية الأممية".

أما في طبعة عام 2000م من "الموسوعة البريطانية" فقد جاء قولها: "الصهيونية حركة يهودية قومية تستهدف إنشاء ودعم دولة لليهود في فلسطين "إرتز يسرائيل" אֶרֶץ יִשְׂרָאֵל.

فنحن نرى أن كل هذه التعاريف تعتبر اليهود شعبا واحدا، مظلوما، وأنه يعود إلى أرضه "أرض إسرائيل"، وهي لا شك تعاريف منحازة، متأثرة بالإديولوجيا الصهيونية.

ويرى الدكتور عبد المنعم الحفني أن "الصهيونية": "عقيدة ومنهج عمل"، فهي تجمع بين المفهوم العقدي لتصير طائفة جديدة من طوائف اليهود، وبين منهج العمل؛ لتصير حركة سياسية مرتبطة بالعقيدة اليهودية[1].

ويرى الدكتور الحسيني الحسيني معدي بأنها: "تلك الحركة اليهودية التي تسعى بكل الوسائل إلى إعادة مجد بني إسرائيل وبناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى المبارك، ومن ثمة السيطرة على العالم وحكمه من القدس على يد ملك اليهود الذي هو: المسيح المنتظر!"[2].

غير أن الدكتور الطيب بوعزة يرى أن الأنسب تعريفها بقوله: "الصهيونية: حركة ظهرت في القرن التاسع عشر استجابة لمشكلات أوروبية، وقد استثمرت التراث الثقافي اليهودي والدعم الأوروبي فانتهت إلى إقامة دولة عنصرية في فلسطين، مرتكزة في إقامتها لدولتها هذه على جدلية الإجلاء والتوطين، إجلاء للفلسطينيين أصحاب الأرض وتوطين اليهود بدلا عنهم"[3].

---

(1) "موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود" ص139.

(2) "القبالة وشفرة التوراة والعهد القديم" ص463.

(3) "مصطلح الصهيونية: نحو صياغة تعريف بديل" مقال بقلم د. الطيب بوعزة، منشور بموقع

وهذه العقيدة - الحركة تستند إلى "التوراة"، وتقوم على القول بأفضلية اليهود على العالمين، بدعوى تعهد قطعه الله على نفسه لنبيه إبراهيم، حيث أمره الله بالتوجه من أرضه في بلاد ما بين النهرين إلى أرض كنعان لتكون له أرضا ولذويه ما بقي الزمان، حسبما مر معنا من النصوص في "الفصل الثالث"؛ إذ تقوم الصهيونية على الاعتقاد بأن إبراهيم ونسله من بعده قد اختصوا الله بعبادتهم، فاختصهم الله بعهده، وهو عهد علامته: الختان، حصره اليهود في اللحم، وفسروه بأنه: عقد من طرف واحد قد دخله الله فألزمه للأبد، واختار فيه اليهود لرسالته الخُلقية، تتحقق بهم سيطرة القانون الأخلاقي المطلق في العالم، وهم طبقا لهذا التبرير: "شعب الله المختار"، لأنهم باختصاصهم قد صاروا أمة تقوم على "التوراة"، و"التوراة" هي: القانون الخلقي المطلق، ومن ثمة فهم يضربون مثلا للكمال الخُلُقي في العالم[1].

كما ينبني الفكر الصهيوني على مفهوم: "الاستمرار اليهودي"؛ أي: افتراض أن الجماعات اليهودية تكوِّن في العصر الحديث كُلا متجانسا على مستوى العالم، وأن ثمة استمرارية تاريخية وثقافية (بل أحيانا عرقية) تسم ما يسمى: "التاريخ اليهودي". وانطلاقا منه يذهب الصهاينة إلى أن اليهود المحدثين هم ورثة العبرانيين القدامى، وأن "حكومة إسرائيل" الحالية في فلسطين المحتلة ما هي إلا "الكومنويلث اليهودي الثالث"[2].

ومفهوم "الاستمرار اليهودي" يعطي اليهودي حقوقا مطلقة مستمرة لا تنقطع، ويسقط الحقوق القائمة للآخرين، فباسم هذا الاستمرار يدعي الصهاينة لأنفسهم

الجزيرة نت الإلكتروني.

(1) "موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود" ص139.

(2) الكومونويلث Commonwealth مصطلح يعني: المجموعة السياسية. انظر: "الموسوعة الحرة، موقع إلكتروني باللغة الإنجليزية: http://en.wikipedia.org. والمقصود هنا: مجموعة الطوائف والفرق اليهودية التي شكلت دولة في يوم من الأيام. في إشارة إلى "الكومنويلث الأول" الذي حطمه الأشوريون عام 721ق.م، والثاني هو الذي حطمه الرومان عام 70م، والثالث هو "دولة إسرائيل" الحالية.

شرعية احتلال فلسطين وطرد أهلها[1]، والانتقام من العراقيين ممثلين في البابليين الذين كانوا سببا في الشتات الأول، ودفع الإسبان لتعويضهم عن حقوق مجازر "محاكم التفتيش" في الأندلس، والألمان للتعويض عن "الهولوكوست".

إذا؛ يمكن تلخيص مفهوم "الصهيونية" بأنها: ***حركة إصلاحية علمانية، تقوم على مبدأ أن اليهود هم شعب الله المختار، وتسعى لإقامة "دولة إسرائيل" باعتبارها أرض ميعاد بني إسرائيل، وبناء "الهيكل" إعدادا لظهور المسيح المنتظر.***

ولم نقل: "حركة يهودية"؛ لأن الصهيونية نشأت بالأساس بين أحضان المسيحية لا اليهودية، كما أن هناك صهيونيتان: مسيحية، ويهودية!.

من هنا يظهر مفهوم "الخلاص" جليا في الفكر الصهيوني، وهو الفكر الذي حاول انتحال الاتجاه العلماني الإصلاحي في الفكر اليهودي، فرارا من القيود الصارمة للشريعة اليهودية، وفرارا من الاختلافات العقدية بين مختلف الفرق اليهودية، وفي نفس الوقت ينتمي إلى الأمة الموسوية، ويتبنى فكرة "شعب الله المختار"، ويسعى إلى تقديس الأرض وجمع اليهود فيها باعتبارها وعدا قطعه الله على نفسه لبني إسرائيل، وبناء "الهيكل" في القدس؛ إذ لا قيام للشريعة اليهودية بدونه. كل هذا إعدادا للظروف من أجل ظهور "المسيح المنتظر" الذي لن يظهر حتى تمتلئ الأرض فسادا وظلما، فهم يصنعون ذلك الفساد والظلم من أجل ظهوره، وحتى تقوم دولة إسرائيل، ويُبنى "الهيكل".

وتنبني الفكرة الصهيونية على سبع عقائد ومبدأ:

1- الله قد اختار العنصر العبري باختياره إبراهيم ليكون منه شعب الله.

2- أعطى الله ميثاقه لهذا العنصر، وهو ليس عقدا بل عهد من جانب واحد، أزلي لا ينقض.

3- تنفيذا لهذا العهد أخرج الله العنصر العبري من مصر وأنقذه من فرعون، وأهلك أهل فلسطين من أجله، وأسكن العبريين بها

(1) "من هم اليهود وما هي اليهودية: أسئلة الهوية وأزمة الدولة اليهودية" ص179.

وملكهم إياها.

4- قد اختار الله داود ليحقق به هذا العهد بإنشاء دولة داود، وقد جدد له العهد بأن هذه الدولة الإلهية لن تزول. وبذلك جعل الله للعنصر المختار: مُلكا وأرضا ودولة، هي: هذا الملك وهذه الأرض وهذه الدولة.

5- أن هذا العنصر العبري قد انحرف وضل عن الطريق، فأفلت منه الملك وآل للأمم، ولكن هذا الملك لله أولا وأخيرا، وقد قضى الله منذ الأزل أنه من نصيب شعبه، ومن ثمة فلا خوف من ضياعه.

6- أن هذا العنصر العبري من أجل ذلك سيظل يتطلع لإعادة هذا الملك وهذه الأرض لهذا الشعب كما قضى الله في كتابه، وسيكون تطلع هذا الشعب لاسترجاع هذا الملك بكل عقله ولبه.

7- أنه لا يشك للحظة أنه سيستعيده؛ لأنه لم ينحرف كله، بل بقيت منه بقية صالحة ضمنت وجودها "التوراة"، وتعود بركتها على سائر الشعب، وبها يصدق وعد يهوه بأن ملك العنصر العبري - الذي هو ملك الله - لن يزول.

8- يتبقى أن يترجم الشعب هذا الأمل إلى حقيقة بالإرادة الفعالة، والعمل الإيجابي المحقق[1].

وباعتبار أن المسيحية - النصرانية تعتبر في مرحلة من المراحل فرقة من الفرق اليهودية، ضرورة أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام كان من بني إسرائيل، ومن آل داود المعظمين في الديانة اليهودية، واعتراف المسيحية بصحف "العهد القديم"؛ فقد ظهرت فرق مسيحية تتبنى "المشروع الصهيوني" وربما قبل ظهور "الصهيونية اليهودية" نفسها، من أجل ذلك يمكن تقسيم الصهيونية إلى: "صهيونية مسيحية"، و"صهيونية يهودية".

---

(1) انظر "موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود" ص143.

1 - المطلب الأول: الصهيونية المسيحية[1]:

جاء في "إنجيل متى" (5/ 17) منسوبا إلى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام قوله: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء...ما جئت لأنقض، بل لأكمل". من هنا يظهر جليا مدى ارتباط الديانة المسيحية بالديانة اليهودية، إذ تعتبر الديانة المسيحية تتميما للديانة اليهودية وامتدادا لها.

بيد أن نهاية المسيح عيسى ابن مريم وصلت إلى ما وصلت إليه من رفعه للسماء ووفاته، فلم يكتمل تأسيس المسيحية، واستغرق تأسيسها أكثر من قرن، ليحدث تأسيسها على يد القديس بولص، وخلال تلك الفترة استمرت المسيحية يهودية، أو بمعنى آخر: يهودية مسيحية!. وكان أعيان من أسرة عيسى ابن مريم عليه السلام رؤساء لجماعة "اليهودية المسيحية"؛ كأخيه يعقوب، الذي يمكن اعتباره عمود اليهودية المسيحية الذي ظل ملتزما عنيدا بخط اليهودية المسيحية في أورشليم[2].

ويورد الكاردينال دانيلو أن جماعة "اليهودية - المسيحية" تكونت - أولا من مجموعة من الحواريين كانت تمارس ديانة المعبد، وتحفظ تعاليمها، وتفرض الطهارة ومراعاة الراحة يوم السبت، وأن لهم أناجيل؛ كإنجيل "العبريين"، و"مأثورات كلمنت"، و"الفضائل الكليمنتية"، و"نهاية العالم الثانية ليعقوب"[3].

ثم انحسر دور هذا التيار بعد ظهور يهودي تحول إلى النصرانية، وعرف بالقديس بولص، وهو من أعمدة الفكر المسيحي، وله كتابات عديدة في إنكار شريعة "العهد القديم"، وبلورة مفهوم "المسيح المخلص المصلوب الإله"، وإلغاء

---

(1) وقد تحدث الأستاذ رضا هلال بتفصيل كبير، في كتابه: "المسيح اليهودي ونهاية العالم: المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا"، عن الصهيونية المسيحية ونشأتها، وجعل نشأتها منذ نشأة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام نفسه، ولكنها بدأت تتبلور بالمفهوم الحديث عند نشأة المسيحية البولصية في القرنين الثاني والثالث الميلاديين.

(2) "المسيح اليهودي ونهاية العالم" ص55.

(3) "رؤية جديدة للأصول المسيحية واليهودية - المسيحية" مقال للكاردينال دانيلو، نشرت بمجلة "دراسات" الفرنسية، في ديسمبر 1967م. عن المصدر السابق.

الختان، ويوم السبت، والدعوة لأممية النصرانية بدل اقتصارها على بني إسرائيل[1].

وقد ظهر في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين فلاسفة ومفكرون يهود أمثال موسى بن ميمون، وطائفة "القبالة" الذين أثروا بكتاباتهم في الطبقة المثقفة والفلسفية الأوروبية المسيحية، مما جعلهم ينخرطون في الأفكار والاهتمامات اليهودية. ثم صادف ذلك الحملة الواسعة التي بذلتها الكنيسة الكاثوليكية في القرون الرابع والخامس والسادس عشر من أجل تحويل اليهود إلى مسيحيين، وهو الأمر الذي ظهر بسببه "المسيحيون الجدد"، أو: "اليهود المسيحيون". وهم: اليهود الذين أرغموا على التنصير.

بيد أن الدور التاريخي الذي لعبه المسيحيون اليهود أو اليهود المسيحيون يتمثل في أنهم مع بداية القرن السادس عشر أدخلوا ضمن السجالات الدينية: الاعتقاد بأن العناية الإلهية متضمنة في حضور الرب في التاريخ الإنساني، وأنه سرعان ما سيبدأ التاريخ الإلهي بمجيء المسيح مع بداية الألف عام السعيدة "الألفية". فظهرت بين اللاهوتيين والمفكرين الدينيين تفسيرات جديدة لسفر "دانيال" (العهد القديم)، وسفر "الرؤيا" (العهد الجديد)، تتصور تحول اليهود إلى المسيحية وعودة ظهور القبائل الإسرائيلية المفقودة باعتبارها الخطوات الأخيرة لـ: "نهاية التاريخ" الإنساني، ومن ثمة أصبحت الأحداث العظمى المرتبطة بذلك هي: عودة اليهود المتحولين إلى "أرض صهيون" وإعادة بناء المعبد، وإعادة تأسيس الحكم الإلهي للأرض من أورشليم. ولذلك رأى المسيحيون اليهود الذين يعتقدون بقرب الألفية أن اليهود الموجودين شركاء لا غنى عنهم في الأحداث العظمى المقبلة قبل مجيء المسيح[2].

---

(1) من كتاباته في هذا الباب: "الرسالة إلى أهل غلاطية"، و"الرسالة إلى أهل كورينثوس"، و"الرسالة لأهل أنطاكية" وكلها موجود ضمن "الكتاب المقدس".

(2) "المسيح اليهودي ونهاية العالم" ص62.

Richard H.Porkin and Gordon M.Weiner: "Jewish Christians and Christian Jews; from the renaissance to the enlightenment", Dordecht, Kluwer Academic Publishers, 1994. P6.

وفي هذا الإطار استعد الفرنسيسكان الإصلاحيون[1] في إسبانيا مع بداية القرن السادس عشر بقيادة الكاردينال زيمنس للألفية بتعليم العبرية والآرامية في جامعة آلاكا التي كانت قد أنشئت حديثا، كما جرى تنظيم وإعادة كتابة "الكتاب المقدس"، وراج مشروع "البحث عن قبائل إسرائيل المفقودة في العالم الجديد" (أمريكا)، والحفاظ عليها وتحويلها إلى المسيحية النقية بانتظار المجيء الثاني للمسيح!. وذكر كريستوفر كولومبس الذي أدخل الأوروبيين إلى أمريكا، وكان لأموال يهود "المارانو" الإسبان دور كبير في نجاح رحلته، ذكر في كتاب "النبوءات" أنه قال للملكة إيزابيلا الكاثوليكية: "إنه سوف يستخدم الذهب الذي يجده في العالم الجديد لإعادة بناء الهيكل، لكي يكون مركز العالم و"حلمة" الكرة الأرضية!"[2].

بيد أن الانطلاقة الكبرى للمسيحية اليهودية ترجع - في الأصل - لحركة الإصلاح الديني في أوروبا في القرن السادس عشر، ويعتبر مارتن لوثر Martin Luther مؤسس وزعيم حركة الإصلاح البروتستانتي مسؤولا إلى حد بعيد عن ظهور مناخ القرن السادس عشر الروحي والديني، الذي أوجد أرضا خصبة لانتشار المسيحية - اليهودية. فقد كتب عام 1523م كتابه: "المسيح ولد يهوديا" " That Jesus Christ was Born a Jew"، الذي أعيد طبعه سبع مرات في العام نفسه، وشرح فيه المواقف المؤيدة لليهودية، وأدان اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية لليهود محتجا بأن المسيحيين واليهود يتجذرون من أصل واحد، غير أنه كان في اتجاه

---

(1) الفرنسيسكان: أعضاء في منظمات نصرانية مختلفة تنتمي إلى الرومان الكاثوليك، أخذوا إلهامهم ونظام حكمهم وبرنامج حياتهم من القديس فرانسيس. وفي عام 1209م أسس فرانسيس نظام الفرايز الصغار لإصلاح الكنيسة. وبين عامي 1212م و1214م، وفي عام 1415م حدثت حركة إصلاح بين الرهبان؛ تمثلت في نشأة "الفرنسيسكان الإصلاحيين"، وأدت إلى تشكيل مجموعة أخرى تُسمى "مجموعة المتشددين". وفي عام 1897م أصدر البابا ليو الثالث عشر قرار توحيد نتج عنه ما يُعرف اليوم بالعائلات الثلاث المستقلة. "الموسوعة المعرفية الشاملة" موقع إلكتروني: http://mousou3a.educdz.com.

(2) المصدر السابق.

تنصير اليهود لا الاعتراف بديانتهم.

وقال فيه: "إن الروح القدس شاءت أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم، إن اليهود هم أبناء الرب، ونحن الضيوف والغرباء، وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل ما يتساقط من فتات مائدة أسيادها؛ تماما كالمرأة الكنعانية!"[1].

كانت نتيجة "الحركة البروتستانتية" والتغلغل التوراتي فيها: ظهور فكرة "الصهيونية المسيحية" قبل فكرة "الصهيونية اليهودية"، وتبنيها لفكرة عودة اليهود إلى فلسطين تمهيداً لعودة المسيح. وقد انتشرت هذه الفكرة في أوروبا بعد القرن السابع عشر، بحيث بدأ البروتستانت كتابة معاهدات تعلن بأن على جميع اليهود مغادرة أوروبا إلى فلسطين، وأعلن أوليفر كروميل بصفته راعي الكومنويلث البريطاني الذي كان قد أنشئ حديثا أن الوجود اليهودي في فلسطين هو الذي يمهد للمجيء الثاني للمسيح. حتى تبنى هذه الفكرة وتحدث عنها كبار الفلاسفة في تلك الحقبة وما بعدها؛ كهنري فنش، وجون لوك، وإسحاق نيوتن، وجوزيف برستلي، وجان جاك روسو، وبليز باسكال..وغيرهم من عظماء الفكر الأوروبي[2].

وأبرز رجال هذه الحركة في أمريكا هو: "وليام بلاكستون" Blackstone William الذي تحتفل الدولة اليهودية بذكراه، وهو ليس يهودياً؛ بل بروتستانتي ولد عام (1841م)، ودعا إلى "الحركة الصهيونية" قبل هرتزل بزمن، وذلك في كتابه المسمى: "عيسى قادم" Jesus is Coming، وقد ترجم إلى أكثر من 48 لغة؛ منها: العبرية، وطبع عدة طبعات، وبيع منه أكثر من مليون نسخة، وكان أوسع الكتب انتشارا في الغرب في القرن التاسع عشر.

---

(1) "المسيح اليهودي ونهاية العالم" ص63 نقلا عن:

Martin Luther, Saennthiche Werke, Vol.29,pp.7,46. R.H.Bainton, Here I stand : A life of Martin Luther, New York, Abingdon Cokes bury press, 1920. R.H.Bainton, The Reformation Of The Nineteenth Century, Boston, The Beacon press, 1920 .

وهو إشارة إلى ما جاء في إنجيل متى (15/ 28).

(2) "المسيح اليهودي ونهاية العالم" ص65 فما بعدها.

ويتلخص فكر "بلاكستون" فيما أسماه: "الاستعادة الأبدية لأرض كنعان من قبل الشعب اليهودي"، واستطاع "بلاكستون" بعد ذلك أن يصوغ مع طائفة من أعوانه عريضة ويوقعها مع أكثر من 413 شخصية أمريكية من النواب والقضاة والمحامين والنخب، ويرفعوها إلى الرئيس الأمريكي "بنيامين هريسون" يطالبونه فيها باستخدام نفوذه ومساعيه لتحقيق مطلب الإسرائيليين بالعودة إلى أرض فلسطين، وقد قدمت هذه العريضة عام 1891م.

وكان نابليون بونابرت Napoleon Bonaparte[1] أول رجل دولة يقترح إقامة دولة يهودية في فلسطين قبل وعد بلفور بنحو 118 عاما، فخلال وجوده في سوريا ضمن حملته الكبرى على الشرق، وحصاره لمدينة عكا الفلسطينية، الذي باء فيما بعد بالفشل، وذلك عام 1799م؛ أصدر بيانا يدعو فيه اليهود إلى أن يقاتلوا تحت لوائه لإعادة إنشاء مملكة القدس القديمة قائلا:

"من نابليون القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية في إفريقيا وآسيا إلى ورثة فلسطين الشرعيين؛ أيها الإسرائيليون، أيها الشعب الفريد، الذين لم تستطع قوى الفتح والطغيان أن تسلبهم اسمهم ووجودهم القومي، وإن كانت قد سلبتهم أرض الأجداد فقط..إن مراقبي مصائر الشعوب الواعين المحايدين، وإن لم تكن لهم مواهب الأنبياء مثل "أشعيا" و"يوئيل"؛ قد أدركوا ما تنبأ به هؤلاء بإيمانهم الرفيع...أدركوا أن عتقاء الله (سيعودون إلى صهيون وهم يغنون، وسيولد الابتهاج بتملكهم لإرثهم دون إزعاج فرحا دائما في نفوسهم) (إشعياء: 10/35)".

---

(1) نابوليون بونابارت Napoléon Bonaparte: قائد عسكري، وحاكم فرنسا، وملك إيطاليا، وإمبراطور الفرنسيين، عاش خلال أواخر القرن الثامن عشر وحتى أوائل عقد العشرينيات من القرن التاسع عشر. حكم فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر بصفته قنصلاً عامًا، ثم بصفته إمبراطورًا في العقد الأول من القرن التاسع عشر، حيث كان لأعماله وتنظيماته تأثير كبير على السياسة الأوروبية. قاد حملات على العالم، واستعمر أراضي شاسعة، وأسس قانونا يعتبر أصلا لكثير من القوانين الجاري بها العمل في العديد من دول العالم. وُلد نابليون في قصر آل بونابرت في بلدة أجاكسيو الواقعة بجزيرة كورسيكا، بتاريخ 15أغسطس سنة 1769م، وتوفي منفيا عام 1821م. "الموسوعة الحرة" بالعربي.

"انهضوا إذا بسرور أيها المعبَّدون، إن حربا لم يشهد لها التاريخ مثيلا تخوضها أمة دفاعا عن نفسها بعد أن اعتبر أعداؤها أرضها التي توارثوها عن الأجداد غنيمة ينبغي أن تقسم بينهم حسب أهوائهم...إن فرنسا تقدِّم لكم إرث إسرائيل في هذا الوقت بالذات، إن جيشي الذي أرسلتني العناية الإلهية به، والذي تقوده العدالة ويواكبه النصر؛ جعل القدس مقرا لقيادتي...".

"يا ورثة فلسطين الشرعيين؛ إن الأمة التي لا تتاجر بالرجال والأوطان كما فعل أولئك الذين باعوا أجدادهم لجميع الشعوب (سفر "يوئيل" 6/3)، تدعوكم لا للاستيلاء على إرثكم، بل لأخذ ما تم ضمه والاحتفاظ به بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء...سارعوا إلى هذه اللحظة المناسبة التي قد لا تتكرر لآلاف السنين، للمطالبة باستعادة حقوقكم التي سُلبت منكم لآلاف السنين، وهي: وجودكم السياسي كأمة بين الأمم، وحقكم الطبيعي المطلق في عبادة (يَهْوَه) طبقا لعقيدتكم، علنا وإلى الأبد (سفر "يوئيل": 3/ 21)"[1].

لقد كان "بيان نابوليون" بمثابة اعتراف دولي بوجود قومي لليهود، وبحق اليهود في وطن قومي في فلسطين.

وفي بريطانيا أسس البروتستانت صندوقاً سمي: "صندوق اكتشاف فلسطين"، أيام حكم فكتوريا، وكان رئيس الصندوق هو رئيس أساقفة كنتربيري Canterbury - وهو أكبر الأساقفة في بريطانيا - وذلك بغرض اكتشاف "أرض الميعاد" وحدودها ومعالمها كما وردت في "التوراة".

ثم ظهر بعد ذلك "بلفور" Balfour[2] صاحب الوعد المشهور، وتقول

---

(1) "المسيح اليهودي ونهاية العالم" ص70 نقلا عن:

Franz Kobler, Napoleon and the Jews, New york, 1975.

(2) آرثر جيمس بلفور Arthur James Balfour: سياسي بريطاني ولد في25 يوليو1848م، وتولى رئاسة الوزارة في بريطانيا من11 يوليو1902م إلى5 ديسمبر1905م، عمل أيضاً وزيراً للخارجية من 1916م إلى 1919م في حكومة ديفيد لويد جورج .اشتهر بإعطاء "وعد بلفور" الذي نص على دعم بريطانيا لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. "الموسوعة الحرة" بالعربي.

مؤلفة حياته؛ وهي: ابنة أخته: "إنه كان يؤمن إيماناً عميقا بالتوراة، ويقرأها ويُصدق بها حرفياً، وإنه نتيجة لإيمانه بالتوراة أصدر هذا الوعد، وكان رئيس وزراء بريطانيا في أيامه هو: "ديفيد لويد جورج"David Lloyd George الذي يقول عن نفسه: إنه صهيوني، وإنه يؤمن بما جاء في "التوراة" من ضرورة عودة اليهود، وأن عودة اليهود مقدمة لعودة المسيح"[1].

ثم بعد ذلك استفحلت الصهيونية، والمد اليهودي في فلسطين، وكثرت المنظمات المسيحية الداعمة للفكرة الصهيونية بحيث أصبحت أوسع من الحصر.

إن "المسيحية اليهودية" وخصوصا بعد الإصلاح البروتستانتي كانت وراء الغزو العبراني للمسيحية (تهويد المسيحية)، ومن ثم انطلاق الحركة "المسيحية الصهيونية" لإعادة اليهود إلى فلسطين باعتبار ذلك الخطوة قبل الأخيرة لنهاية التاريخ الإنساني مع المجيء الثاني للمسيح وبداية الألفية السعيدة، وأطلقت المسيحية اليهودية ثم الصهيونية اليهودية، ودعمتها بدافعين: أحدهما ديني؛ وهو: الاعتقاد بالميللية[2] والمجيء الثاني للمسيح، وثانيهما سياسي؛ ابتدأ بهدف إبعاد اليهود عن العالم المسيحي، ثم استخدامهم في السياسات الاستعمارية الأوروبية[3].

فتبين هنا الفرق بين نبوءات "العهد القديم" اليهودي، ومفهوم "الصهيونية المسيحية" لنهاية التاريخ، إذ اليهود ينتظرون "المسيح المخلص" من أجل أن يخلصهم ويجمعهم من العالم، وينشئ لهم مملكة كمملكة النبي داود عليه السلام، وينبي الهيكل، ويعيشون في رغد نحو ألف عام قبل أن تأتي القيامة. في خلال تقلب "الصهيونية المسيحية" هذا المفهوم وتجعل دولة إسرائيل والهيكل و"طرد اليهود من مواطنهم" والزج بهم في أتون حروب فارغة في فلسطين، مقدمة لظهور "المسيح المنتظر"!.

---

(1) "القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى" تأليف د. سفر الحوالي. منشورات مكتبة السنة، الدار السلفية لنشر العلم - القاهرة، طبعة عام 1414هـ/ 1993م. ص19.

(2) الاعتقاد بالميللية: هو الاعتقاد بعودة المسيح آخر الزمان، وحكمه للعالم ألف سنة.

(3) "المسيح اليهودي ونهاية العالم" ص74.

2 - المطلب الثاني: الصهيونية اليهودية:

لـ: "الصهيونية اليهودية" جانب عقدي نتيجة الديانة اليهودية التي يتبعها أنصار الحركة، وجانب ثقافي مرتبط بالهوية اليهودية وكل ما هو يهودي. وتجدر الإشارة أن الكثير من اليهود المتدينين عارضوا ومازالوا يعارضون الصهيونية بالإضافة إلى عدم انتماء بعض مؤسسي "دولة إسرائيل" إلى أي دين، والكفر باليهودية وغيرها من باقي الأديان، بل محاولة استقطاب حتى غير اليهود إلى أرض فلسطين ثم تهويدهم، كما يحدث مع جماعة "الفلاشا"[1] على سبيل المثال. وذلك يعود إلى عدم اقتناع اليهود أنفسهم بفكرة الخروج من مواطنهم والهجرة إلى أرض "كان يسكنها أجدادهم منذ نحو ألفي سنة"، وهو الأمر الذي يبرر أن جل يهود العالم يعيشون خارج فلسطين بالرغم من التحفيزات والإكراهات التي تعرضوا لها.

وليس مستغربا أن أول من أعلن ضرورة عودة اليهود لأرض الميعاد؛ كان من أكبر أعداء اليهود في زمانه؛ وهو: نابليون بونابرت، وهذا يبرره العنصرية التي كان يسعر بها الغربيون تجاه اليهود في العالم، بل حتى البروتستانت الذين تبدو من كتباتهم محنة وعطف على اليهود، لم يكن تحمسهم للصهيونية، بل و"ابتكارهم لها" إلا مطية من أجل ظهور المسيح الظهور الثاني بحسب اعتقاد المسيحيين. إذا كما نقول في التراث الإسلامي: ليس حبا في علي ولكن بغضا في معاوية"!.

وقد دارت رغبة جمع يهود العالم - خاصة الغربيين - خارج مواطنهم،

---

(1) يهود الفلاشا؛ أو: بيتا إسرائيل בית ישראל، هو اسم يطلق على اليهود من أصل حبشي، وقد تعتبر الكلمة نوعا من الاحتقار. اسم الفلاشا أو الفالاشا يعني باللغة الأمهرية: "المنفيون" أو: "الغرباء"، ويستخدمه الإثيوبيون من غير اليهود. بموجب ما تسميه إسرائيل بقانون العودة 1950م، أكثر من 90000 (أي: ما يقارب 85 % من يهود الفلاشا) هاجروا إلى فلسطين المحتلة، وبشكل ملحوظ في عمليتي موسى (1984م) وسليمان (1991م). الهجرات لا تزال متواصلة حتى الوقت الراهن. يدعي يهود الفلاشا انحدار نسبهم إلى الملكة بلقيس، وهم لا ينتمون إلى أي من الكتل اليهودية الرئيسية، ولهم عقائد دينية وطقوس تخالف اليهود، وهي مزيج بين الإسلام والمسيحية، ولذلك لا يعترف بهم الكثير من اليهود الإسرائيليون. "الموسوعة الحرة" بالعربي،"موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (1/ 92).

والزج بهم في أرض أخرى، اتفقوا فيما بعد على جعلها "فلسطين"، بين عاملين اثنين:

1- عامل قومي عنصري؛ وهو: محاولة طرد اليهود من أوروبا بطريقة مقنعة ومنطقية.

2- عامل ديني مشيحاني؛ وهو: جمع اليهود في "أرض إسرائيل" وبناء "الهيكل" من أجل ظهور "المسيح المخلص".

وقد سَخَّر "الصهاينة المسيحيون" كل جهدهم من أجل نشر هذا الفكر بين اليهود، خاصة بين المجموعة "العلمانية"، أو "اليهود الإصلاحيين"، وبذلك استطاعوا نشر فكرة "العودة إلى أرض الآباء والأجداد، "أرض الميعاد"!، وبلورة ما صار يعرف بـ: "الصهيونية اليهودية".

يعتقد "الصهاينة اليهود" أن الرغبة في الرجوع إلى "أرض الميعاد" أخذت طابعاً عالمياً بعد القضاء على مدينة القدس على يد الرومان في العام 70 للميلاد، وبعد تشتت اليهود في أصقاع الأرض، ولولا الصهيونية؛ لكان الاعتقاد السائد لدى اليهود أن تشرذمهم سينتهي يوم يجمعهم "المسيح المنتظر" في كيان قومي يوحدهم.

يقول الحاخام حاييم لانداو Haim Landau: "إن روح شعبنا لا تستطيع التعبير عن نفسها إلا إذا عادت الحياة "القومية" إلى أرضنا من جديد؛ لأن القبس الإلهي لا يؤثر في شعبنا إلا وهو في أرضه"[1].

كما أن التحرر الذي حصل لليهود في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وانتشار الحركات الليبرالية في أوروبا كان له الأثر البالغ في شعور اليهود بقوميتهم. طال حينئذ هذا الشعور عامة اليهود المقيمين في أوروبا وحتى الذين ابتعدوا عن التديّن اليهودي بصورته التقليدية. فلماذا لا يحق لليهود إنشاء دولتهم كذلك؟.

---

(1) "الإيديولوجيا الصهيونية" تأليف الدكتور عبد الوهاب المسيري، منشورات عالم المعرفة، الكويت 1982م ص158.

وأحد أهم الأمور التي ساعدت على تكوين "الحركة الصهيونية"؛ هو: ما حصل في فرنسا في العام 1894م عندما تنامى شعور "كُره السامية" في المجتمع الفرنسي، وهو الأمر الذي لم يأخذه اليهود في الحسبان، نتيجة حرية ورقي المجتمع الفرنسي. وكان من بين المهتمين بالشعور المفاجئ من قبل الفرنسيين بالعداء للسامية: صحفي نمساوي يهودي يدعى تيودور هيرتزل[1]، والذي كتب ورقة في العام 1896م أسماها: "الدولة اليهودية". في العام الذي يليه، نظم هيرتزل مؤتمراً في مدينة "بال" في سويسرا وتمخّض المؤتمر فأنجب: "المنظمة الصهيونية الدولية" والتي بدورها عينت هيرتزل رئيساً لها!. قاد " هرتزل" هذه المنظمة ووضع كتابًا بين فيه أهدافها التي تتلخص في: جمع اليهود وتوطينهم في دولة يهودية خاصة. وساعد "هرتزل" في حركته الصهيونية كتّاب كبار من اليهود؛ مثل: ماكس نوردو[2]، وإسرائيل زانجويل[3].

وكان أخطر ما تمخضت عنه حركة هرتزل الصهيونية هو: المؤتمرات السنوية التي أخذت تنعقد كل عام في بلد من بلاد العالم، وتضم كبار اليهود الذين يُطلق عليهم لقب "حكماء"، وكان أول هذه المؤتمرات وأهمها: مؤتمر بال في سويسرا

---

(1) سبق التعريف به.

(2) ماكس نوردو Max Nordau: مفكر يهودي ألماني، وزعيم صهيوني سياسي. اسمه الأصلي سيمون ماكسيميليان سودفيلد، وقد غيّر اسمه إلى ماكس نوردو أي ماكس النوردي .وُلد في المجر عام 1849م، حيث تلقّى دروساً في اللغة العبرية وفي اللادينو على يد أبيه الحاخام الأرثوذكسي السفاردي. ولكن نوردو، مع هذا، بدأ يبتعد عن التقاليد اليهودية وينغمس في الثقافة الألمانية مثل هرتزل.، ويعتبر من المؤسسين الأوائل للحركة الصهيونية. توفي بباريس عام 1923م. "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" الكبير (6/ 377).

(3) إسرائيل زانجويل Israel Zangwill: روائي إنجليزي وزعيم الصهيونية الإقليمية، ولد في لندن عام 1864م، وكان على رأس النشاط الصهيوني في إنجلترا حينما زارها هرتزل، واتصل به ليرتب له اجتماعاً مع قادة الأقلية اليهودية فيها. ويتسم موقف زانجويل تجاه اليهود بازدواجية غريبة،؛فهو من ناحية معجب إلى حد ما بالجيتو وبشخصياته، ولكنه من ناحية أخرى يجدها شخصيات ضيقة ومائلة للذوبان في العصر الحديث، ومن أهم مسرحياته: مسرحية آتون الصهر. توفي عام 1926م. "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (6/ 474).

عام 1897م، وتمت بهذا المؤتمر قرارات علنية وأخرى سرية، أما العلنية؛ فخلاصتها: تأسيس دولة لليهود في فلسطين، وأما السرية؛ فقد تسربت عن طريق مراسل جريدة "مورننج بوست" The Morning Post اللندنية في روسيا في أوائل القرن العشرين، والتي عرفت باسم: "مقررات حكماء صهيون" Protocols Offered Sofzzron[1].

وقد صرح بيرنباوم في هذا المؤتمر بأن الصهيونية ترى أن "القومية والعرق والشعب شيء واحد"، وهكذا أعاد بيرنباوم دلالة مصطلح "الشعب اليهودي" الذي كان فيما مضى يشير إلى جماعة دينية إثنية، فأصبح يشير إلى جماعة عرقية، وتم استبعاد الجانب الديني منه تماما!. واصبحت الصهيونية: "الدعوة القومية اليهودية التي جعلت السمات العرقية اليهودية قيمة نهائية مطلقة بدلا من الدين اليهودي"، وخلّصت اليهودية من المعتقدات المشيحانية والعناصر العجائبية الأخروية، وهي الحركة التي تحاول أن تصل إلى أهدافها من خلال العمل السياسي المنظم لا من خلال الصدقات[2].

ثم انتهت "الحركة الصهيونية" بتأسيس "دولة إسرائيل" سنة 1948، والتي اعتبرت صفحة حاسمة في الصراع اليهودي - الإسلامي، ومازالت فصولها تكتب إلى يوم الناس هذا.

ويرى الأستاذ عبد الوهاب المسيري أن "الصهيونية": "أهم الإديولوجيات اليهودية في العصر الحديث التي أنجزت عملية العلمنة من الداخل، وموقف الصهيونية من اليهودية يأخذ شكلين مختلفين مرتبطين:

1- رفض العقيدة اليهودية على أساس علماني صريح، وبشكل جذري وواضح.

---

(1) د. سفر الحوالي: "القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى" ص19، "الصهيونية" من الموسوعة الحرة الإنجليزية - موقع إلكتروني محكم، و"الصهيونية" من الموسوعة الحرة العربية - موقع إلكتروني محكم.

(2) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (2/ 198).

2- علمنة اليهودية من الداخل؛ أي: صهينتها من خلال الحلولية الكمونية مع استيعاب المصطلح الديني"[1].

الخلاصة:

مما مضى يتجلى أثر "مفهوم الخلاص" في الواقع اليهودي، وهو مفهوم يتجلى في واقع عقدي وآخر سياسي، إذ إن نصوص "العهد القديم" مع ما تضمنته من أسس قامت عليها الديانة اليهودية، متمثلة في الإله، وموسى، والشريعة، والأرض، والشعب، بقيت مواكبة للديانة اليهودية كديانة عقدية، وفكر قومي، كما أنها تمثل المدخل الأساس لفهم اليهودية كدين، وكشعب، وكواقع سياسي له بصمته الواضحة المعالم، بالأساس في هذا العصر، فقد استطاع اليهود بفضل محافظتهم على تلك المبادئ والتعصب لها، لم شتاتهم من مختلف بقاع الدنيا، والاجتماع في "الأرض المقدسة" بالرغم من جميع الإكراهات التي عانوا منها منذ السبي البابلي عام 586ق.م.

كما أن الحلولية التي أنشأها الفكر اليهودي بين مفهوم الإله والأرض والشعب، جعلت من الفرق اليهودية بالرغم من اختلافاتها الجذرية من الناحية العقدية، تشكل نسيجا متراكما، اصطلح الأستاذ عبد الوهاب المسيري على تسميته " التركيب الجيولوجي التراكمي، المكوَّن من عدة طبقات الواحدة فوق الأخرى".

غير أن أثر الشتات وعدم الترابط الفعلي، يسر على فكر علماني محض متمثل في "الحركة الصهيونية" قيادة أتباع هذه الديانة - رغما عن اختلافات طوائفها - إلى مشروع "الدولة اليهودية" دولة إسرائيل، وهو المشروع الذي لم يكن يخطر ببال أحد قبل مائتي عام، بناء على أساطير وقصص حملت على غير محملها، ولكن القوة السياسية والحربية التي كانت وراء المفكرين الصهاينة، استطاعت عن طريق ترسانة إعلامة ضخمة أن تفرض واقعا آخر، بل أن تقنع طائفة كبيرة من الحاخاميم بفكرة أرض الميعاد وأرض العودة، بعد أن يكاوا يعتقدون أنه لن يعيدهم إليها إلا

(1) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (2/ 205).

المسيح المنتظر.

من هنا؛ يظهر أثر اللادينية والبراغماتية التي مثلتها "الصهيونية المسيحية" في تحوير ديانة كاملة، هي الديانة اليهودية، وفي قلب المفاهيم من انتظار يائس لمخلص يعيد اليهود إلى إسرائيل، إلى فكرة أن المخلص لن يأتي حتى يعود الإسرائيليون إلى فلسطين ويهدموا الأقصى ويبنوا الهيكل، بمعنى أن النتيجة ستكون قبل المقدمة، وحيث تأتي النتيجة فلا داعي لأن تكون المقدمة!. وهو التجلي الواضح الأكبر للمفهوم العلماني للواقع.

الفصل الخامس
موقف المسيحية والإسلام من مفهوم "الخلاص" اليهودي

تحدثنا في الفصول السابقة عن مفهوم "الخلاص" في الفكر اليهودي، وأثره في بناء المفهوم العقدي للديانة اليهودية، ثم ابتناء الفسيفساء المذهبية اليهودية على هذا المفهوم، ثم الإشكالات المتعلقة بهذا المفهوم، ثم أثر مفهوم "الخلاص" في بلورة فكرتين مصيريتين في الفكر اليهودي؛ وهما: "نهاية التاريخ" و"المخلص"، ويمكن اعتبار البحث بتلك الفصول استوفى أهم ما يتعلق بالفلسفة الفكرية اليهودية، في الماضي والحاضر، وأثرها في الابتناء النسيجي والاجتماعي لهذه الفرقة من الديانات السماوية، والتي يمكننا القول بأنها أصل الديانتين النصرانية والإسلامية من حيث النشأة والمصادر.

فقد كثرت المحن والإحن على بني إسرائيل واليهود خصوصا، حتى كثر أنبياؤهم ومتنبئوهم، وبذلك كثرت شرائعهم، خاصة مع ضياع أصولهم التوراتية، واضطرارهم لإعادة كتابتها في فترات زمنية مختلفة، وكثرت العوائق والعقبات بحيث صار التمسك بالشريعة الموسوية ضربا من المستحيل كما قال إسحاق بن صموئيل الأورشليمي[1]، وصار اليهود

---

(1) إسحاق بن شموئيل الأورشليمي: حبر من أحبار اليهود، كان يلقب بالحبر الأعظم، أسلم وناظر اليهود من أجل الدخول في الإسلام، توصلنا من مؤلفاته برسالة بعنوان: "الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية"، تنم عن اطلاع كبير في الديانة اليهودية، ومعرفة تامة بشريعتها، وكتبها، وتاريخها، وقدرة على المناظرة. لم نقف له على ترجمة، غير أن أسلوبه في الكتابة يدل على أنه عالم مغربي، ربما من أهل القرن السادس أو السابع الهجري.

يعتقدون أنهم ملعونون منغمسون في الخطيئة مع استحالة بنائهم "الهيكل"، وتأسيس المعابد التي يقوم بها اللاويون وغيرهم من الأسباط.

كما أن كثرة الفتن والمحن، والشتات والاستعباد، خاصة بعد السبي البابلي؛ قوت في نفوس اليهود الفكرة المشيحانية، وانتظار المسيح المخلص الذي يملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا وظلما، ولا شك أن حياة الاستعباد واليأس وانتظار الأمل؛ تربط في قلوب المتدينين فكرة "المخلص" الذي سيأتي في يوم من الأيام ليقهر الطغاة ويعيد للدين جذوته ونقاءه كما كان من قبل.

من هذا المنطلق سأحاول في هذا الفصل إجراء مقارنة عقدية بين مفهوم "الخلاص" في الديانة اليهودية وما يقابله في كل من الديانتين المسيحية والإسلامية، عسى أن تكون قاعدة في إطار الدراسة المقارنة للأديان من أجل التقريب بين المفاهيم العقدية لهذه الديانات السماوية، وإنشاء أرضية للحوار المتبادل بين المتدينين بها.

المبحث الأول: مقارنة بين مفهومي "الخلاص" عند اليهود والنصارى:

تنقسم النصرانية إلى طوائف عديدة، اختلفت فيما بينها في ماهية الإله نفسه، وماهية المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام..

فمن قائل بتوحيد الإله توحيدا مطلقا، نافيا عنه الشريك والولد؛ وهم: الأريوسيون[1] ومن شابههم، وبين قائل بالإله الواحد وتعدد الأقانيم، وتأليه المسيح

(1) الآريوسية: كانت مذهبًا لاهوتيًا نصرانيًا مبكرًا يؤمن بالوحدانية ويقر بنبوة عيسى عليه السلام لا بألوهيته. وأتباع آريوس صاحب المذهب هم الآريوسيون المشار إليهم في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم. وكان آريوس، قسّا من الإسكندرية، بمصر. وفي حوالي 318م، رفض آريوس وأتباعه عقيدة التثليث: الأب والابن والروح القدُس. أنكر آريوش ألوهية المسيح وأكد أنه مخلوق. ووفقًا لآراء آريوس؛ فإن المسيح لم يكن أزليًا وإنما هو مخلوق رفيع المرتبة. وبالرغم من الجهود الكثيرة للبابوية والكاثوليكية من أجل حرب هذا المذهب؛ فقد انتشر في بلاد الأندلس وشرق أوروبا، والشام، ودخل جل أتباعه

عيسى ابن مريم باعتباره ابنا لله تعالى، بل وتأليه الروح القدس، ثم تأليه مريم العذراء عليها السلام. وبين قائل بأن الله هو المسيح ابن مريم، وهو الروح القدس، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. وأكبر الفرق التي آمنت بهذه المفاهيم هي: الكاثوليكية والأرثوذكسية، وهما أكبر الطوائف النصرانية المنتشرة في العالم اليوم.

أما عاصمة الطائفة الأرثوذكسية؛ فهي موسكو، بعد أن كانت القصطنطينية "إسلامبول" التي فتحها المسلمون سنة 1453م، فانتقلت عاصمة الأرثوذكس منها لموسكو. والطائفة الكاثوليكية عاصمتها: روما، وهي مركزها ومحل البابوية منها.

فحديثنا عن النصرانية - المسيحية هو بالأولوية حديث عن عقائد هاتين الطائفتين، اللتين تنتميان للقديس "بولص" صانع المسيحية بمفهومها الحديث.

انبثقت الفكرة المسيحية من أزمة الهوية والشريعة في الديانة اليهودية باعتبارها امتدادا لها، بل لم تتمايز عنها كدين مستقل إلا في القرن الثاني الميلادي كما سبق التنويه إليه. فقد بنت المسيحية نظرتها على اعتبار أن "المسيح المخلص" هو: عيسى ابن مريم، من بني يعقوب عليهما السلام.

غير أن الفكرة المسيحية - خاصة بعد أن تبلورت في زمن بولص ومن بعده - جعلت من "المشيحانية" فكرة لاهوتية، تنبني على قاعدة: أن الإنسان متلبس بالخطيئة، وأنه لن يخلصه من الخطيئة إلا الله، ولما كان الله تعالى مباينا لخلقه، لا مناسبة بينه وبينهم، لم يكن من الممكن نزوله إليهم مباشرة و"تخليصهم" من تلك الخطيئة، ضرورة أنه رؤوف رحيم بخلقه، فتجلى من لاهوته روح تلبس بالناسوت في شخص المسيح عيسى ابن مريم، وكان "الروح القدس" روح الله، هو الذي حل في مريم العذراء، ليتجسد على صورة المسيح "ابن الله" على حد زعمهم، فلما كان المسيح مركبا من اللاهوتية والناسوتية؛ كانت فيه مناسبة لتخليص الإنسان من

الإسلام بعد ظهوره. "الموسوعة المعرفية الشاملة" موقع إلكتروني. وقد تحدث الأستاذ محمد أبو زهرة بإسهاب عن هذه المدرسة في كتابه "محاضرات في النصرانية" ص138، منشورات دار الفكر العربي للنشر والتوزيع - القاهرة، من غير تاريخ.

الخطيئة.

وتنتهي الفكرة المسيحية إلى أن الله تعالى ضحى بهذا الابن على الصليب، ليقتله الأشرار، متمثلين في اليهود، ويتألم من أجل الناس، ثم بعد ثلاثة أيام قام من الموت وتغلب عليه، فكان في موته وتألمه حملا للخطيئة عن البشرية ورحمة بهم. والإيمان بهذا الصلب هو الطريق الوحيد للخلاص عند المسيحية.

أما بالنسبة للشريعة؛ فقد رأى بولص أنها لم تكن قمينة بتخليص اليهود من اللعنة، بل كانت سببا في لعنتهم، وبذلك لا يمكن للشريعة - وهي سبب اللعنة - أن تصبح هي نفسها سببا للخلاص، ولذلك قام بولص بالدعوة لإلغاء الشريعة، والاكتفاء باعتقاد فكرة الصلب، وألوهية عيسى بصفته ابنا لله. وأن مرتبة الكمال في العبودية والخلاص هي: التألم من أجل إسعاد البشرية كما تألم المسيح بن مريم من أجل ذلك[1].

من هنا أستعرض مفهوم الخلاص عند اليهود، وما يقابله عند النصارى - المسيحيين، عاقدا بذلك بحثا مقارنا بين الديانتين:

1 - الألوهية: نجد أن المسيحية خرجت من الإيمان بالله الأحد، إلى الإيمان بالإله الواحد الذي يتجلى في أقانيم ثلاثة؛ وهي: الله، والابن، والروح القدس. وهو ما يعتبره اليهود شركا وخروجا من الدين. غير أن الكاثوليكية تؤمن بثلاثة أقانيم تمثل الإله الواحد، أما الأرثوذكسية؛ فتعتقد بأن الثلاثة إنما هي شيء واحد بالأساس.

وقد قالت فرقة من فرق اليهود؛ وهي: "الصدوقية" ببنوة "العزير" لله تعالى، كما ألمحنا إليه في الفصل الثالث، ولكن بالرغم من ذلك لا يعترف اليهود بهذه الفكرة، خاصة مع نسبة البنوة للمسيح عيسى ابن مريم الذي يقول فيه اليهود قولا عظيما ولا يعترفون به لا من الخاصة، ولا نبيا، ولا حتى أن يكون مسيحا!.

---

(1) "الرسالة إلى أهل غلاطية" تأليف القديس بولص، تنظر ضمن "السفر المقدس" ص2492، فقد فلسف فيها لمفهوم الدين عند المسيحية التي يعتبر مؤسسها. ومما جاء فيها في باب إنكار الشريعة، ص2503: "فلماذا الشريعة إذا؟، إنها فقط أضيفت إظهارا للمعاصي، إلى أن يجيء النسل الذي قُطع له الوعد".

2 - نبوة موسى عليه السلام: يؤمن المسيحيون بنبوة موسى عليه السلام باعتباره أحد أنبياء بني إسرائيل، نظرا لإيمانهم بـ: "العهد القديم" مصدرا من مصادر الديانة المسيحية، غير أنهم يعتبرون أنه كان نبيا عظيما، ولكن نبوته نسخت بظهور عيسى ابن مريم. أما اليهود؛ فيعتبرون موسى بن عمران عليه السلام أعظم أنبيائهم، وصاحب الرسالة الخالدة التي لن تأتي بعدها رسالة تماثلها، بل حتى "المسيح المنتظر" سيسوسهم على شريعة موسى عليه السلام.

3 - الشريعة الموسوية: يؤمن المسيحيون بالشريعة الموسوية، ولكن باعتبارها شريعة منسوخة لا تعنيهم؛ لأنهم يرون أنها كانت سببا في اللعنة، فلا يمكن أن تكون سببا في الخلاص، من هنا لا يعطي المسيحيون الشريعة قيمة أساسية إلا من حيث التدين الزائد الذي يلتزمه الرهبان من مجاهدات وعبادات هم غير ملزمين بها.

يقول بولص في رسالته لأهل غلاطية: "فلماذا الشريعة إذا؟، إنها فقط أضيفت إظهارا للمعاصي، إلى أن يجيء "النسل" الذي قُطع له الوعد، وقد رُتبت بملائكة وعلى يد وسيط، ولكن عندما يصدر الوعد من جانب واحد؛ فلا لزوم لوسيط، والواعد هنا: هو الله وحده. فهل تُناقض الشريعةُ وعد الله؟، حاشا، فلو أعطيت شريعة قادرة أن تحيي؛ لكان البر بالحقيقة على مبدأ الشريعة، ولكن الكتاب حبس الجميع تحت الخطيئة، حتى إن الوعد على أساس الإيمان بيسوع المسيح يوهَب للذين يؤمنون. فقبل مجيء الإيمان كنا تحت حراسة الشريعة محتجَزين إلى أن يُعلن الإيمان الذي كان إعلانه منتظرا. إذا؛ كانت الشريعة هي مؤدبنا حتى مجيء المسيح؛ لكي نبرَّر على أساس الإيمان، ولكن بعدما جاء الإيمان؛ تحررنا من سلطة المؤدب، فإنكم جميعا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع!؛ لأنكم - جميع الذين تعمدتم في المسيح - قد لبستم المسيح"[1].

4 - شعب الله المختار: لا يؤمن المسيحيون بوجود شعب مقدس أو مختار،

(1) "الكتاب المقدس" ص2503/ "الرسالة إلى مؤمني غلاطية".

إنما تتمايز الشعوب بحسب إيمانها وقوة يقينها في فكرة "صلب المسيح" وتخليصه للناس، وبذلك فهم لا يولون بني إسرائيل أية مكانة خاصة.

يقول بولص: "لا فرق الآن بين يهودي ويوناني، أو عبد وحر، أو ذكر وأنثى؛ لأنكم جميعا واحد في المسيح يسوع، فإذا كنتم للمسيح؛ فأنتم إذا نسل إبراهيم، وحسب الوعد وارثون"[1].

نعم هناك حقد دفين بين أتباع الديانة المسيحية والديانة اليهودية؛ لاعتبار المسيحيين أن اليهود هم الذين قتلوا المسيح وصلبوه. غير أن المجمع الفاتيكاني المنعقد عام 1962م برأ اليهود من دم المسيح، ثم اعتذر لهم من جرائم محاكم التفتيش في القرنين الخامس والسادس عشر، وذلك عام 1998م.

يقول الأستاذ رضا هلال: "لقد أعادت البروتستانتية ثم الكاثوليكية منذ مجمع الفاتيكان الثاني 1962م، والاعتذار لليهود عام 1998م، الاعتبار لليهود باعتبار أن دورهم مركزي في خطة الرب لنهاية التاريخ والمجيء الثاني للمسيح، وأنهم سيتحولون إلى لمسيحية وإن لم يحدث ذلك بعد إتمام عودتهم إلى أورشليم؛ فإنه سيحدث مع المجيء الثاني للمسيح"[2].

غير أن "التلمود" مليء بالنصوص التي تلعن المسيحيين، وتدعو إلى قتلهم وشرب دمائهم[3].

فهل هذا الاعتذار حقيقي أم سياسي؟. الغالب على الظن أنه سياسي فقط؛ إذ إن الحقائق التاريخية لا تتبدل، فلو كتب التاريخ المسيحي بأن اليهود قتلوا المسيح - وهذا ما لا نؤمن به نحن المسلمون، ولكنهم أرادوا قتله - فإن موقف البابوية لن يغير تلك الحقيقة!.

---

(1) "الكتاب المقدس" ص2503/ "الرسالة إلى مؤمني غلاطية".

(2) "المسيح اليهودي ونهاية العالم" ص252.

(3) "قراءات معاصرة في العقيدة اليهودية" ص32، وقد سبق أن ألمحنا في الفصل الثاني أن الطبعة الجديدة من "التلمود" أخفى فيها اليهود ما قيل عن المسيح عيسى ابن مريم، والنصارى من شتم ولعن وتحريض.

غير أن أرباب المذهب البروتستانتي المسيحي يرون تعظيم بني إسرائيل باعتبارهم أحباب الله تعالى، وأن الله عظمهم في "التوراة" وجعل لهم مكانة خاصة، وقد مضى معنا قول "مارتن لوثر" في كتابه: "المسيح ولد يهوديا": "إن الروح القدس شاءت أن تنزل كل أسفار "الكتاب المقدس" عن طريق اليهود وحدهم، إن اليهود هم أبناء الرب، ونحن الضيوف والغرباء، وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل ما يتساقط من فتات مائدة أسيادها؛ تماما كالمرأة الكنعانية!". ولكن هذا التعظيم - بحسب الموسوعة الحرة - ليس لكي يبقوا يهودا، ولكن ليصبحوا نصارى جددا![1].

5 - أرض الميعاد: وهي فكرة رجوع اليهود إلى فلسطين وبناء "الهيكل". وهي فكرة لم تكن داخلة في العقائد المسيحية فيما قبل، غير أنها - كما سبق التنويه إليه - ابتدأت في البروز والتبلور منذ القرن الثاني عشر الميلادي، حتى ظهرت بوضوح في القرن السادس عشر، حيث انتشرت نبوءة بقرب ظهور المسيح المنتظر. أما الآن فزادت العقيدة اشتهارا وانتشارا في مختلف الطوائف المسيحية، خاصة البروتستانتية والإنكلكانية والكاثوليكية.

ذلك أن اليهود - كما مضى معنا - مازالوا ينتظرون ظهور المسيح في آخر الزمان، حيث سيملأ الأرض عدلا وصلاحا، بعدما ملئت ظلما وجورا، وسيكون أول عمله أنه: سيقتل ثلثي أهل الأرض في معركة شهيرة بمعركة "هرمجدون"، وسيحكم العالم ألف سنة.

أما المسيحيون فيؤمنون بأن المسيح عيسى ابن مريم نفسه هو الذي سينزل في آخر الزمان، فيملأ الأرض عدلا وصلاحا. وأن علامة نزوله: اجتماع اليهود في آخر الزمان في أرض فلسطين، وبناء "الهيكل"، من هنا برزت فكرة "الصهيونية المسيحية" كما نوهنا إليه أعلاه.

ففي سفر "رؤيا يوحنا" أن المسيح سينزل وسيحكم ألف سنة (رؤيا: 20/ 6)،

(1) الموسوعة الحرة، باللغة الإنجليزية.

وتبدأ الألفية بمعركة هرمجدون بين المسيح والشيطان (رؤيا: 20/ 1 - 3): "ثم رأيت ملاكا نازلا من السماء، وبيده مفتاح الهاوية، وسلسلة عظيمة قيد بها التنين - أي: الحية القديمة؛ وهو: إبليس أو الشيطان - وسجنه مدة ألف سنة، وطرحه في الهاوية وأغلقها عليه، وختمها حتى يكف عن تضليل الأمم إلى أن تنقضي الألف سنة، ولكن لا بد من إطلاقه بعد ذلك لمدة قصيرة".

"فحين تنقضي الألف سنة؛ يطلق الشيطان من سجنه، فيخرج ليضلل الأمم في زوايا الأرض الأربع، جوج وماجوج، ويجمعهم للقتال، وعددهم كثير جدا كرمل البحر". (رؤيا: 20/ 7، 8).

ثم تكون المعركة الفاصلة ونهاية التاريخ، يقول: "فيصعدون على سهول الأرض العريضة، ويحاصرون من كل جانب معسكر القديسين والمدينة المحبوبة، ولكن نارا من السماء تنزل عليهم وتلتهمهم، ثم يطرح إبليس الذي كان يضللهم في بحيرة النار والكبريت، حيث الوحش والنبي الدجال، هناك سوف يعذبون نهارا وليلا إلى أبد الآبدين".

وفي سفر "رؤيا يوحنا" (5/ 5): "ولكن شيخا من الشيوخ قال لي: لا تبك؛ قد انتصر الأسد الذي من سبط يهوذا، الذي هو أصل داود، وهو المستحق أن يفتح الكتاب ويفك ختومه السبعة".

قلت: غير أن اليهود - كما مضى بيانه - يرون أن المسيح سيأتي آخر الزمان، ويجمع اليهود من العالم، ويبني "الهيكل"...إلى آخر الأخبار السابقة، فمجيء "المسيح المنتظر" قبل قيام دولة لبني إسرائيل، وهو الأمر الذي استطاعت "الصهيونية المسيحية" استغفال اليهود، واستغلالهم في صورة "الصهيونية اليهودية" لفرض المفهوم المسيحي على رجعة "المسيح المنتظر"، وما ذلك إلا لمصالح دنيوية بحتة لا علاقة لها بالدين، الغرض منها طرد اليهود واستغلالهم في حربهم الاستعمارية ضد العالم.

ومن هنا يظهر جليا أن التقارب بين المسيحية واليهودية المعاصرة تقارب استراتيجي غير عقدي، فهما يختلفان تماما في مفهوم الألوهية، وفي مفهوم الشريعة

وفروعها وتفاصيلها، وفي مفهوم "المسيح المخلص"، وفي مفهوم "شعب الله المختار"، باستثناء البروتستانتية التي تتفق مع اليهودية في هذا المفهوم بمعاييرها الخاصة.

أما مفهوم "أرض الميعاد"، وبناء "الهيكل"، فإن اليهود يؤمنون به كغاية وهدف بحد ذاته؛ إذ لا قيام لدينهم بغيره، أما النصارى فهم يؤمنون بذلك كسبب ووسيلة من أجل ظهور المسيح مرة أخرى، فتكمن العلاقة من هذه الوجهة في صورة استغلال متبادل بين الملتين من أجل ظهور هذا المسيح المرتقب!.

المبحث الثاني: مقارنة بين مفهومي "الخلاص" عند اليهود والمسلمين:

أما المسلمون؛ فهم: المؤمنون بمبدأ: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فيؤمنون بالله الواحد الأحد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وعلى ضوء ذلك يؤمنون بالقرآن الكريم كتاب الله وكلامه الأزلي، المعجز بنفسه. ويؤمنون بنبوة ورسالة النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله، خاتم الأنبياء والمرسلين، والمصدق لما بين يديه من رسائل الأنبياء الأولين، وفي ضمن ذلك: يؤمنون بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وكلامه وأفعاله، كثاني الوحيين، ولازم كلمة التوحيد. فيؤمنون بالدين عقيدة وشريعة. وبأركان الإسلام الخمسة: الشهادتين، والصلاة، والزكاة، والصيام، وحج البيت الحرام لمن استطاع إليه سبيلا.

كل من آمن بهذه المبادي انطبق عليه وصف "المسلم"، وإن اختلفت الأنظار في التفاصيل، وكل من أسقط إحدى هذه المبادئ خرج من دائرة الإسلام. ولذلك فإطلاقنا لفظ: "الإسلام" أو "المسلم" إنما يعود لهذا التعريف أعلاه.

وبالمقارنة بين الديانتين الإسلامية واليهودية من حيث مفهوم "الخلاص"؛ فقد عادت الديانة الإسلامية إلى ملة إبراهيم: الملة الحنيفية، وآمنت بالله الأحد، الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد، ونسخت الكتب المقدسة التي كثر فيها الخلاف والدخيل باتفاق أصحابها، وجاءت بالقرآن الكريم باعتباره كتاب الله المنزل على رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، عبد الله

ورسوله، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وآمنت برسالة موسى وجميع الأنبياء والرسل، وبعيسى ابن مريم رسولا نبيا.

ويتفق اليهود والنصارى والمسلمون أن النص القرآني واحد منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، لم يتبدل، كما يتفقون أن نصوصهم - بحسب مفرداتها - قد تبدلت.

غير أن العقيدة الإسلامية تجسيدا لمفهوم "الخلاص" رأت الخلاص ينبني على عقيدة وشريعة؛ أما العقيدة؛ فهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره. والشريعة مبنية على: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام بمكة المكرمة لمن استطاع إليه سبيلا. وجاء القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وسلم بشرائع كثيرة تدير حياة المؤمن الخاصة والعامة، على مستوى الفرد والدولة والأمة.

ولكن خروجا من فكرة "الخطيئة الأول"؛ فقد نص الإسلام على قاعدة: "لا تزر وازرة وزر أخرى"، فلا يؤخذ أحد بجريرة غيره، إنما يكلَّف المرء بأفعاله.

كما أن الإسلام نص على قاعدة ثانية؛ وهي: الاستطاعة. ذلك أن كل أمر إلهي استعصى على العبد عمله، يرتفع حكم الوجوب فيه إلى أن تحصل الاستطاعة؛ وذلك ما في آية: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. [البقرة: 286].

وبذلك استطاع الإسلام أن يضم الأديان السابقة بمفهومها التوحيدي والتشريعي، ويحل عقدة مفهوم "الخلاص" فيها، ليكون رحمة للعالمين، ويسرا للناس أجمعين. فالمؤمن بالإسلام مؤمن برسالتي موسى وعيسى عليهما السلام، والمؤمن بالإسلام ليس مرتدا لا عن اليهودية ولا عن المسيحية.

من هذا المنطلق؛ أعقد مقارنة بين الديانتين اليهودية والإسلام من حيث الاتفاق والاختلاف في مفهوم "الخلاص" على التعريف الذي اعتمدته أول البحث:

1 - الألوهية: يتفق المسلمون واليهود في توحيد الله تعالى، وأنه الله الواحد الصمد، الذي لا أول له ولا آخر، ولا شريك له في ملكه. وإن كانت بعض كتابات "التوراة" و"العهد القديم" عموما و"التلمود" تشتمل على أنواع من التجسيم والتشبيه المخل بالتوحيد الخالص، والصفات التي لا يعقل نسبتها لله تعالى ولا يستقيم، بل انجر الأمر بطائفة "الصدوقيين" أن قالوا بأن عزيرا ابن الله، كما سبق التنويه إليه. بالرغم من ذلك نجد مجموعة من الحاخاميم اليهود، وكبار رجالاتهم ومفكريهم من مثل موسى بن ميمون، يرون أن تلك الألفاظ والقصص لا تعدو أن تكون استعارات وتشبيهات ليست مرادة بذاتها، ويحاولون الرجوع بتوحيدهم إلى التوحيد الخالص.

من هنا يمكن اعتبار هذا المبدأ أرضية في الحوار اليهودي - الإسلامي من أجل تقريب وجهات النظر، والوصول إلى فهم متبادل بين الديانتين.

2 - نبوة موسى عليه السلام: يؤمن المسلمون بنبوة موسى عليه السلام ورسالته، بل يعتبرونه من أولي العزم من الرسل، وهي المرتبة العليا في مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد امتلأ القرآن الكريم بقصص هذا النبي الكريم وحكاياته، والحض على الإيمان به وما أنزل عليه من الوحي، بل وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. [البقرة: 136]. كما ملئت السنة النبوية الشريفة بالكثير من حكايات هذا النبي الكريم، وتمجيده وتعظيمه.

غير أن المسلمين لا يؤمنون بأن شريعة موسى هي خاتمة الشرائع، بل يؤمنون بأنها منسوخة بشريعة النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله.

فالإيمان بنبوة موسى عليه السلام - على الأقل - هو مسألة أخرى من مسائل "الخلاص" التي يتفق عليها المسلمون واليهود، ويمكن اعتبارها ركيزة ثانية من ركائز الحوار اليهودي الإسلامي.

3 - الشريعة الموسوية: جاء الإسلام متمما لما بين يديه من الأخلاق والعادات؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[1]، فبالأحرى الشرائع السماوية السابقة. من هنا بالرغم من كون الشريعة الإسلامية ناسخة لما قبلها من الشرائع؛ فقد جاء الإسلام متمما للشرائع السابقة - ومنها: الشريعة الموسوية - ولكن رافعا للإصر الذي تضمنته، والتعسيرات التي ابتلي بها أرباب الديانات السابقة.

من هنا فإن الإسلام يعترف بالشريعة الموسوية ويتضمن أهم ما فيها، إلا أنه ينزل الكثير من الأثقال التي صار عدم فعلها تحصيل حاصل عند اليهود أنفسهم، إذ تعذر عليهم الحج للهيكل، وتقديم القرابين له، وقتل أنفسهم من أجل صدق التوبة، والتعبد في المعابد التي يرأسها الكهنة اللاويون؛ لضياع أنسابهم إلا ما ندر...إلخ. وهو الأمر الذي كان سببا أن ألغى القديس بولص العمل بالشريعة، إذ لم يجد شريعة بديلة، ولم ير أن الشريعة الموجودة ممكنة التطبيق، وأن الالتزام بها سبب للعنة، فألغاها كلية.

4 - شعب الله المختار: يؤمن الإسلام بأن قيمة المرء تعلو وتنزل بحسب إيمانه وأعماله، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[2]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه"[3].

غير أن الشريعة الإسلامية لم تنس مكانة من كان لهم فضل في الدين، وبركة في حمله والدعوة إليه؛ كآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، والعرب، وأبناء العلماء

---

(1) أخرجه الإمام مالك في "الموطأ" عن رقم (1609) بلاغا، ورواه متصلا الإمام البيهقي في "دلائل النبوة" (رقم 20571) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا.

(2) رواه الإمام مسلم في "الصحيح" باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، (رقم 2564) عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما مرفوعا.

(3) رواه الإمام مسلم في "الصحيح" باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، (رقم 7028) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا.

والصالحين والمجاهدين، فكل هؤلاء الناس لهم مكانة خاصة في الإسلام، بل يدخل الأبناء الجنة بشفاعة الآباء، فقد قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾. [الطور: 21].

من هنا حفظ الإسلام مكانة بني إسرائيل، واعتبرهم من أرفع الناس منزلة وقدرا، ولكن بشرط: إن هم حافظوا على التوحيد وطاعة الله تعالى، وآمنوا بالنبي الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم كخاتم الأنبياء وسيد المرسلين، الذي بشرت به "التوراة" نفسها في غيرما موضع[1]، كما هو مفصل في محله من كتب من آمن من أحبارهم، ومن ولع بالبحث عن آثار نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله في كتب السابقين.

فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. [آل عمران: 33]، وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. [البقرة: 47]. غير أن الله تعالى جعل حدا فاصلا في التفضيل؛ وهو: الإيمان والتصديق، فقد قال تعالى عمن كفر من بني إسرائيل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾. [المائدة: 78].

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله: "أيما رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه - وفي رواية: آمن لما جاء به عيسى وما جاء به محمد - وآمن بمحمد فله أجران"[2].

5 - أرض الميعاد: يعظم الإسلام والمسلمون ثلاثة أراض؛ وهي: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وبيت المقدس، وتزيد بعض الروايات بذكر "جبل الطور". وذلك باعتبار أنها أراض للأنبياء والمرسلين، ومنها ظهر التوحيد، وبنيت عليها المساجد الثلاثة التي وردت نصوص إسلامية كثيرة باحترامها وتطهيرها.

---

(1) ألمحنا في المقدمة إلى بعض تلك المواضع، وقد أفردها العديد من العلماء بالتصنيف.

(2) ولأحد كبار أعلام المغرب وأئمته: محمد بن عبد الرحمن ابن زكري (ت1144هـ) كتاب واسع في الموضوع بعنوان: "رشف الضرَب في فضل بني إسرائيل والعرب" مخطوط.

ومن حيث نظرة الإسلام بأن الدين عند الله واحد، وأنه ملة إبراهيم المبنية على "إقامة الدين وعدم التفريق فيه"، فإنه يعتبر أن الأنبياء جميعهم أنبياء للإسلام، وأن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل إلى الجميع، ومهيمنة رسالته وشريعته على الجميع.

فالمسلمون يعظمون سليمان عليه السلام، ويعتبرونه نبيا، وإن كان جل اليهود يعتبرونه ملكا فقط، ويعظمون المسجد الذي بناه سليمان "الهيكل"، ولكن يعتبرونه مسجدا للتوحيد، ولتقام فيه شرائع الله تعالى التي نسختها شريعة النبي سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى"[1].

كما يرون أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده المؤمنين، وأن الإراثة هي بحسب الإيمان لا بحسب النسب، ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. [الأعراف: 128].

وهذا موافق لما في "التوراة" نفسها؛ فقد جاء في سفر "التثنية" (4/ 25، 26): "وإذا غويتهم ونحتم لكم تمثالا لصورة شيء ما، وارتكبتم الشر في عيني الرب إلهكم إثارة لغيظه؛ فإنني أشهد عليكم اليوم السماء والأرض أنكم تنقرضون سريعا من الأرض التي أنتم عابرون نهر الأردن إليها لترثوها".

ولذلك فإن الفلسفة الإسلامية - كما مضى - مبنية على الإيمان والالتزام بشريعة الله، لا على النسب وحده، والانتماء لأمة دون الالتزام بما فيها.

وقد جاءت آيات مفصلة حول عودة اليهود إلى فلسطين آخر الزمان، وهي تتضمن تحذيرا ووعيدا، تجده في ديباجة سورة الإسراء؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا

(1) رواه الشيخان الإمام البخاري في "الصحيح" في باب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (رقم 1132) والإمام مسلم في "الصحيح" باب: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد (رقم 1397) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا.

كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾. [الإسراء: 4 - 8].

فالقرآن في هذه الآيات يتحدث عن أرض الميعاد، وأن اليهود في آخر الزمان سيعودون إلى أرض فلسطين، ويعلون في الأرض علوا كبيرا، ويكثر نسلهم وأبناؤهم وأموالهم، ونفوذهم في الأرض، بحيث إن أحسنوا نفعهم إحسانهم، وإن أساؤوا نفعتهم إساءتهم أيضا، وأن هذا الرجوع الثاني "والأخير" سيكون لفيفا من جميع الأرض؛ أي: إن جماعاتهم المتفرقة، وأنسابهم المتباينة سوف تجتمع في أرض فلسطين في آخر الزمان، وذلك قوله تعالى في آخر السورة: ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾. [الإسراء: 104].

غير أن هذا الرجوع الثاني لن يكون نعمة، بل سيكون نقمة لمن كفر ولم يؤمن، وسببا للفناء في حرب كبيرة ذكرت في "التوراة" و"الإنجيل" و"القرآن" و"السُّنة"[1].

وهذا التصور نفسه، تتفق عليه جل الفرق اليهودية، دون الاعتراف بالنتيجة نفسها، وإن كانت جماعة "أجودات إسرائيل" الأرثوذكسية ترى نفس النتيجة، ولذلك فإنها ترفض الرجوع لفلسطين وإنشاء "دولة إسرائيل"، وتعتبر أن ذلك من اختصاص "المسيح المخلص" وأن القيام بذلك إنما هو تدخل في اختصاص من

---

(1) فصل في هذا الموضوع العلامة محمد المنتصر بالله الكتاني في محاضرته: "قيام إسرائيل: نهاية اليهود" المنشورة ضمن ثلاث رسائل للمؤلف في الموضوع؛ أولها: "خلود الإسلام"، ثم: "فلسطين إسلامية قبل أن تكون عربية"، ثم الرسالة المنوه بها، وقد طبعت جميعها بدار الكتب العلمية ببيروت، بتاريخ 2011م، تحقيق وتعليق: زكريا توناني/ د. محمد حمزة بن علي الكتاني.

اختصاصات الله[1].

أما بالنسبة للمسيحانية؛ فإن للمسلمين نظرة اخرى، تتقاطع في نقاط، وتختلف في أخرى. فالمسلمون يرون أن في نهاية العالم ثلاثة أمور:

الأول: ظهور "المهدي المنتظر"، وهو رجل اسمه محمد بن عبد الله، من آل النبي صلى الله عليه وسلم، من أبناء سبطه الحسن بن علي، يظهر في آخر الزمان، ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، وأن علامة صدقه: جيش يأتي من قبل الشام، يُخسف بأوله ووسطه وآخره، وأن ظهوره سيكون بمكة المكرمة، ثم يفتح القدس، فالقصطنطينية، فروما.

الثاني: "المسيخ الدجال"، وهو رجل يهودي متأله، يدعي الألوهية، يتبعه سبعون ألفا من يهود أصفهان، ويكره الناس على عبادته، ويبقى في الدنيا نحوا من أربعين يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وبقية كأيام الله، وأن فتنته ستعم العالم كله. ثم سيلتقي في أرض فلسطين مع جيش المهدي، عند "جبل الدخان"، ويحاصر جيش المهدي، وأنه سيدخل كل بقاع الأرض خلا مكة والمدينة، وبيت المقدس وجبل الطور.

الثالث: المسيح عيسى ابن مريم، يؤمن المسلمون أنه سينزل آخر الزمان، وسيكون أول ظهوره والدجال محاصر للإمام المهدي عند جبل الدخان، فيظهر من باب توما بدمشق، عند المنارة البيضاء، فيجتمع عليه الناس، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ثم يلتقي بالمسيح الدجال عند جبل الدخان، فما أن يراه الدجال حتى يذوب كما يذوب الملح في الماء، فيقتله، فينتصر المسلمون، فيذهبون إلى المسجد الأقصى ويصلون، ويأتم المسيح عيسى ابن مريم بالإمام المهدي. وبعد نحو سبع سنين يموت الإمام المهدي.

ثم يخرج يأجوج ومأجوج، وهم نحو ربع سكان المعمور، فينتشرون في الأرض، ولا يرون أحدا إلا قتلوه، إلا مكة والمدينة والقدس، فإنهم لا يدخلونها،

---

(1) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (2/ 352).

ويتحصن المسلمون مع المسيح عيسى ابن مريم في الطور، ويطلبون منه الدعاء، فيدعو الله تعالى، فيرسل الله تعالى على يأجوج ومأجوج دودا يقتلهم، حتى لا يبقى في الأرض موضع شبر إلا وفيه رمة لميت منهم.

فيعظم البلاء، فيرسل الله أمطارا كثيرا تدفن جثث يأجوج ومأجوج، ويعيش المسلمون في أمن وأمان مع المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ما شاء الله لهم أن يعيشوا، وتعم الخيرات والبركات، وتلقي الأرض بخيراتها وذهبها، حتى يصير المرء يضرب قطعة الذهب بقدمه، ويقول: "في هذا كان يتقاتل الناس!". ويتظلل المجموعة من الناس بقشر الرمان لكبره وبركته. ثم تأتي ريح طيبة، فتأخذ روح كل من في قلبه ذرة من إيمان حتى لا يبقى في الدنيا إلا الكفار وشرار الخلق، لكع بن لكع، فيبقون في الدنيا ما شاء الله لهم أن يبقوا، وهم من تقوم عليهم القيامة[1].

هذا هو مختصر "المسيحانية" في الإسلام، وفيه - كما أسلفت - اشتراك واختلاف مع الرؤية المسيحية والرؤية اليهودية.

الخلاصة:

يتجلى مما استعرضته أعلاه أن هناك نقاط اشتراك كثيرة بين الإسلام واليهودية فيما يتعلق بمفهوم "الخلاص"، وأن تلك النقاط أكثر مما هي بين اليهودية والمسيحية كما وكيفا، ولذلك يمكن أن نؤسس على هذا المنطلق أرضية صلبة للحوار بين الدينين - الأمتين، من أجل جسر المفاهيم وتوحيد الرؤية في كثير من الأمور العقدية على الأقل.

إن من أهم أسباب الاختلاف بين المسلمين واليهود لا يعود لأصل الديانة من حيث هي ديانة، ولكنه يعود لأمور دنيوية وسياسية، وأطماع مادية لا تلبث أن

---

(1) أكثر العلماء المسلمون من التأليف في علامات الساعة، وما أخبر به القرآن الكريم، والسنة النبوية الطاهرة، خاصة ما يتعلق بالمهدي المنتظر، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، والمسيخ الدجال، وقصة يأجوج ومأجوج والدابة، وغير ذلك، وهي أخبار وأحاديث نص العلماء على تواترها وصحتها، ومن أشمل تلك الكتب: "النهاية" لابن كثير، وقد طبع عدة طبعات ضمن كتابه التاريخي الكبير: "البداية والنهاية".

تزول مع الوقت، فلو استطعنا الخروج من هذه "العقدة المصلحية"، والارتفاع بمستوى السمو الروحي للأديان، فإن أمورا كثيرا ستتبدل في العلاقة المتأزمة بين أتباع هذين الديانتين الذين عاشوا جنبا إلى جنب قرونا طويلة، واستطاعوا توحيد مفاهيم ورؤى ظهرت واضحة في كتابات موسى بن ميمون القرطبي وأمثاله.

إننا واليهود نشترك في مفهوم إلهي توحيدي واحد من حيث الأصل، وتاريخ نبوات واحد، وأصل للديانة واحد؛ وهو: إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ورؤية للمستقبل متقاربة، ونحن أقرب إلى فهم بعضنا من غيرنا، فلماذا أصبحنا أكثر الأمم عداء ونزاعا؟. وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾. [آل عمران: 64].

فمفهوم الحوار ينبني هنا على: عبادة الله تعالى وتوحيده، وعدم إدخال شريك معه في تلك العبادة لا من حيث التشريع ولا من حيث القصد بالعبادة، وعدم تأليه بعضنا بعضا بأن نجعل كلامه - "التلمود" مثلا - فوق كلام الله تعالى ووحيه القطعي لرسله عليهم الصلاة والسلام، وبذلك نكون متوحدين تحت لواء الله تعالى، منتهجين لوحيه الذي أوحى به إلى أنبيائه.

ويتجلى هذا المفهوم في التقارب بين الديانتين، في كلام حبر إسرائيلي كبير، دفعه التقارب بين الديانتين أن أشهر إسلامه، ولكنه لم يتنازل عن مبادئه ودينه اليهودي، وهو: إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي، إذ يقول في "الرسالة السبعية":

"قلت لنفسي: يا هل ترى؛ ما الذي يمنعني عن اتباع الحق؟. فقلت: لا مانع!، ثم قلت: وما هو الفرق الحاصل فيما بين ديانتي والديانة المحمدية؟. فأجبت ذاتي وقلت: إن الفروقات الباقية اللازمة والضرورية في هذا المعنى غير المتقدم شرحه هن سبع:

الفرق الأول: هو ترك فرائض المأكولات التي حرمتها الحاخاميم وأثقالها.

الثاني: هو التخلص من هذه اللعنات ونكباتها.

الثالث: أن أطرح الكلام الرديء والتجديف الذي كنتُ أتكلمه وأعتقده بحق

عيسى عليه السلام وأمه وغيرهما من حواريه وتعليماته.

الرابع: أن أقر بأنه نبي ورسول من عند الله برسالة معلنة بأفرادها.

الخامس: أن أقلع البغضة المزروعة في قلبي بحق الأمم من الناس، وهي معي عن آبائي وأجدادي، وبحق محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم بنوع أبلغ، الحاوي أكثر المحامد وصفاتها.

السادس: أعترف بأنه نبي عظيم، ورسول من عند الله، وشفيع للقائلين له: أنت لها أنت لها.

السابع: أعترف أنه جاء بشريعة عدلية، وفضيلة كاملة، حاوية معنى جوهريات ما جاء في الشرائع السابقة، وأحسن القصص، مهندمة إياها بالاستثناء اللازم لها.

هذا هو الذي يزيد علي ويلزمني، إذ عن إيماني بوحدانية الله تعالى هو هو، وختاني بمطهوري هو هو، وتطهيراتي وإسقاط غسلي هي هي، وكثير من الأحكام التوراتية؛ كأوجه الزواج المربوط بالقرابات عدا وجهين زائدين هي هي، واعترافي بموسى ونوح وإبراهيم وباقي الأنبياء هو هو، والشرائع العدلية؛ كالعين بالعين، والسن بالسن؛ هي هي، وقد رأيت كل ما يلزم ويتعلق اتباعه لذلك هو هو، محرر في القرآن الشريف، زائد الهندام حسن التوقيع، مرتبط بأظرف عبارة، ومتعانق إليه كل ما يلزم من الأمور العائدة لإصلاح الدنيا والآخرة"[1].

(1) "الرسالة السبعية" ص62.

الخاتمة

هل يمكن أن يساهم مفهوم "الخلاص" في السلم العالمي؟

استعرضت في مقدمة البحث "مفهوم الخلاص" بين الديانات الثلاث، وقد خرجت إلى أنَّ أجمعَ تعريفٍ لهذا المفهوم هو أن الخلاص: *مجموع الاعتقادات والأعمال التي تخرج الإنسان من خانة غضب الله وعقوبته، إلى خانة رضوانه والجنة، وتكون سببا في تغير طبعه من متعلق بشهواته إلى روحاني متصل بطاعة الله.*

إن البشرية في مجملها تسير نحو السعادة، وتتطلب السعادة والاستقرار في الحياة الدنيا وفي الآخرة؛ إذ ما من شك أن الحياة الدنيا إنما هي صورة للآخرة، كما قال بعض علماء المسلمين: "من لم يدخل جنة الدنيا لم يدخل جنة الآخرة"، ولذلك فإن البشرية كلها متحدة في مفهوم "إرادة السعادة"، ولذلك تأسست "الكليات الخمس" التي لا قيام للإنسانية بدونها؛ وهي: العِرض، والنفس، والمال، والعقل، والدين.

وكان بحث الإنسانية منذ غابر التاريخ عن "الدين" من أجل إشباع هذا الجانب النفسي والروحي للفرد، والذي بغيره يعيش الإنسان نوعا من الفراغ الذي يجعله يحيى حياة تعيسة غير مستقرة. ولذلك انتشرت الديانات في كافة معمور الأرض، فلا يمكن أن تجد مجتمعا بشريا إلا ولأعضائه اعتقادات وإيمانا يظنون أنه هو طريق خلاصهم ونجاتهم من حالة اليأس والإحباط..ولذلك رأيت تعريفا للتدين بهذا المفهوم أنه: **"التقاء المقيَّد بالمطلق"**.

ولا أقصد بالمقيَّد أنه: الرجوع إلى الخلف، بمقدار ما أعني: أنه استنفاد الوسائل المادية للوصول إلى أرب ما. كما أنني لا أعني بالمطلق: اللاشيء ولكن

أعني به: المطلق الذي لا يحده شيء، وفي نهاية المطاف هو: الخالق سبحانه وتعالى. ولذلك جاء في القرآن: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾. [الفاتحة: 2]. فمن هذا المنطلق كان الله تعالى مربي العالمين، وهاديهم ومرشدهم، سواء بإرادتهم أو بعدمها، إذ كل كمال ترمي إليه البشرية إنما هو مشتق من صفة من صفات الله تعالى، كما قال القائل:

هام الورى في معان أنت جامعها وكلهم لك عشاق وما علموا

هذا "المفهوم المشترك" يمكن اعتباره لبنة أساسية للحوار البيني بالنسبة للأديان والحضارات بعامة، وبين الديانات السماوية، خاصة الإسلام واليهودية الذين تجمعهما قواسم مشتركة، بخاصة. وإن أي حوار يستلهم هذه المبادئ الكبرى المتفق عليها سيكون حوارا بناء، وحوارا منتجا لا شك أنه سيفضي إلى نوع من التفاهم البيني، ومن ذلك: الاستقرار والسلم العالمي.

إن الحديث عن "السلم العالمي" يجرنا إلى الحديث عن "اللاسلم العالمي"، أو: "الحرب بين الأمم"، وهو واقع تعيشه الأمم يوميا، فالحرب هي نتيجة تشاجر، وهو يكون نتيجة تعارض في الرؤى والحاجيات، ولذلك يمكننا القول بأن التعارض في الرؤى والحاجيات هو سبب "اللاسلم العالمي"!.

إن التعارض هو بالضرورة: عدم الالتئام، وعدم التوافق، وعدم إرادة التوافق بلغة أخرى، كما أن إرادة الحاجيات تعود بالضرورة إلى النهم الذاتي، وعدم رؤية الآخر، والأنانية، وهذه الصفات تضم في طياتها: حب النفس، حب ما في يد الآخر، وبالتالي إنكار ما عند الآخر، وهو نوع من أنواع دفع الحق والتعلق بالباطل..ف: "اللاسلم العالمي" سببه الأساس هو: حب الأنا، واتباع شهوات النفس.

ولذلك فإن أي إرادة نحو "السلم العالمي" يجب أن تكون خارج حب النفس والأنا، وفي إطار التجرد الكامل من أجل البحث عن الحقيقة المطلقة والحق الأوحد. وإلا صار أي حوار أو نقاش إنما يصب في طريق الخديعة والسياسة الماكرة التي تروم في نهاية المطاف الاستيلاء على الآخر وأخذ ما بين يديه.

ولما كان التدين هو: إخلاص الوجهة لله تعالى، وما كان سواه فهو خارج عن

ذلك التعريف؛ فإننا يمكننا تلخيص الشجار العالمي بأنه: حرب بين الدين واللادين!.

من عرضنا في هذا البحث حول الديانة اليهودية، يتجلى لنا أن الدين اليهودي يتركب من فسيفساء تضم بين ثناياها مصادر حقة، ومصادر باطلة...أو بلغة أخرى: مصادر ترجع إلى الوحي المنزل، ومصادر ترجع إلى الضرورات الوقتية التي امتزجت بثقافات كثيرة ربما فرضت نفسها في فترة زمنية معينة، ولكن لا تقف أن تكون وحيا سماويا يكتسب الحق المطلق الصالح في كل زمان ومكان.

فبتجريد "الدين اليهودي" عن تلك "النزعات الشهوانية"، متمثلة فيما تضمنه "التلمود" من تشديدات دينية، ومواقف عدائية من الآخر، غير مرهونة بزمان ولا مكان، ولا تكتسب قوة الوحي، وبإعادة قراءة "الأسفار المتفق عليها من التوراة والعهد القديم"، مع اتفاقنا أن النصوص التي وصلت إلينا منها إنما هي نصوص بالمعنى لا بالحرف، بمعنى قبول المفهوم العام دون الانجرار إلى تناقضات وانحرافات أطراف الكلام، وهو معنى تتفق عليه سائر الطوائف اليهودية كما ألمحت إليه في محله. وافتراض منهجية واحدة وموحدة لفهم نصوص "العهد القديم" مبنية على الشمولية، ومرجعية الأنبياء، وتحكيم "الوصايا العشر". بفعل ذلك سنستطيع بناء مفهوم جديد للخلاص في الديانة اليهودية، ينطبق مع الوحي السماوي؛ أي: مع "التوراة" وأسفار "العهد القديم"، وبالأحرى "الوصايا العشر".

وهذه الحركة الإصلاحية قامت في الديانة اليهودية من قديم الزمان، وما فصلته سابقا في "الفرق اليهودية" دليل على محاولات الإصلاح الداخلي التي تبناها الحاخامات اليهود من أجل رأب الصدع الذي بني على عدم الوثوق بمصادر الديانة في حد ذاتها، وما الحركة الإصلاحية في القرن التاسع عشر، والتي انتشرت انتشار النار في الهشيم إلا مظهرا من مظاهر تلك الحاجة، ولكن يجب أن تبقى في نطاق الوحي والدين، لا أن تنزلق نحو العلمنة واللادينية.

إن أسفار "العهد القديم" تدعو إلى عبادة الله الواحد، الذي لا شريك له ولا ولد، ولا يماثل المخلوقات، ولا نسبة بينه وبينها.

كما أن موسى نبي رسول من الله تعالى، له قداسته ومكانته، وصفته الشريفة هو وسائر الأنبياء والرسل، فليس إلها، ولا ابنا للإله، وهذا قدر تفق عليه سائر الطوائف اليهودية.

و"بنو إسرائيل" شعب اختاره الله وفضله بكثرة الأنبياء، وكثرة الحديث عنه في الكتب السماوية، ومنها: "القرآن" و"الإنجيل"، وانفرد في وقت من الأوقات بعبادة الله تعالى في العالم، ولكن الله قصر تفضيله بالتزامه بهذه الرسالة السماوية، واتباعه لهديها حسبما ألمحنا إليه في الفصل الثاني، وليس تفضيلا مطلقا من غير عمل ولا إصلاح. كما أن بني إسرائيل لا يقتصرون على اليهود، بل يوجدون بين المسلمين والمسيحيين وغيرهم.

و"أرض فلسطين" أرض مقدسة، ولكنها ملك الله تعالى، وعدها لمن آمن بالله وعمل صالحا، وأورثها لهم، سواء أكانوا من بني إسرائيل أو من غيرهم.

و"الشريعة" هي دين الله تعالى الذي أوحى به لأنبيائه، ولذلك فلا سلطة لأحد في رسم شرائعها إلا أن يكون نبيا من الأنبياء، كما أن النبي الذي له الحق في رسم الشريعة له الحق في نسخها، ضرورة أنها ما جاءت إلا من طريقه، فمتى ثبتت النبوة والرسالة؛ قُبل النسخ والتغيير.

هذه المبادئ الأساسية التي تتوافق مع نصوص "العهد القديم" بفهمها فهما كليا لا انتقائيا أو جزئيا، يمكن أن تكون طريقا معبدة نحو معرفة الحق المطلق من ناحية، والحوار مع الآخر، سواء أكان مسيحيا أم مسلما، بل بين فرق الديانة اليهودية نفسها، وإن حوارا بناء بين أتباع هذه الديانات الثلاث، لا شك أنه سيفضي إلى نقاط تواصل كثيرة سيكون لها ما بعدها في إطار العلاقات بين أتباع هذه الديانات - الحضارات، وهو الأمر الذي سيتسبب في سلام شامل يعم أرباب هذه الديانات - الحضارات، ولا شك أنه سيساهم في السلم العالمي الشامل.

فهل سيكون العمل على استجلاء "مفهوم الخلاص" في الديانة اليهودية بخاصة، والديانات الأخرى بعامة سبيلا نحو حوار ديني هادف ومنتج؟.

وهل سيكون البحث في "مفهوم الخلاص" طريقا إلى إعادة النظر الداخلي

في إطار أرباب الديانة اليهودية من أجل مراجعة مفاهيمها الأساسية التي اختلف أتباعها فيها أنفسهم، والقيام ثورة إصلاحية توراتية في هذا الدين؟.

وهل سيكون الحوار الإسلامي - اليهودي حوارا منتجا وفعالا، ينتج عنه سلام حقيقي مبني على توحيد الله تعالى وطاعته، أم سيكون حوارا سياسيا استغلاليا فقط؟.

وهل يمكن اعتبار الحوار الإسلامي - اليهودي طريقا صائبا من أجل حل مشكل الصراع العربي - الصهيوني في أرض فلسطين، وذلك عن طريق تفاهم منهجي واستراتيجي بين رجال الدين من كلا الطرفين؟.

هذه أسئلة حاولت استجلاءها وفك معماها في إطار بحثي هذا، ولكن الأيام والسنين المقبلة ستبين فيما إذا استطاع العقلاء من أرباب الديانات أن يكونوا في المستوى الملائم، والوعي الحقيقي من أجل خدمة الإنسانية بعامة، وخدمة دياناتهم بخاصة، أم ستبقى الأمور كما هي عليه؟.. ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. [التوبة: 105]. والحمد لله رب العالمين.

فهارس البحث

1- فهرس الآيات القرآنية.

2- فهرس نصوص "العهد القديم"

3- فهرس الأعلام المترجم لهم.

4- فهرس المصطلحات والأماكن والمجموعات المعرف بها.

5- فهرس المصادر والمراجع.

6- فهرس المواضيع.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	الترقيم	الصفحة
﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾	الأنبياء/ 107	3
﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلهِ حَنِيفًا...﴾	النحل/ 120 - 125	4 - 3
﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي...﴾	العنكبوت/ 46	4
﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾	القمر/ 56	12
﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾	الشعراء/ 82	27
﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل..﴾	المائدة/ 78، 79	36
﴿إنا هُدنا إليك﴾	الأعراف/ 156	37
﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا﴾	البقرة/ 111	37
﴿الحمد لله رب العالمين﴾	الفاتحة/ 2	170
﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ...﴾	التوبة/ 105	173

فهرس نصوص "الكتاب المقدس"

النص	الترقيم	الصفحة
"لترفع البرية ومدنها صوتها...".	أشعيا/ 42	4
"وسوف أزلزل كل الأمم، وسوف يأتي..".	حجي/ 9/ 7 - 9	4
"وتمسح هرون وبنيه ليكهنوا لي"	الخروج 30/30	26
"وأتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داود.."	صموئيل الثاني/ 2/4	26
مسحاء الرب"	مزامير داود 105/15	26
"مسيح الرب"	صموئيل الثاني 23/1	26
"لا تمسّوا مسحائي ولا تؤذوا أنبيائي"	الأخبار الأول 16/22	26
"الشيخ المعتبر هو الرأس...".	أشعياء 9 - 15	33
"يهوذا؛ إياك يحمد إخوتك..."	التكوين 49/ 8، 9	37
"أما أنا فهو ذا عهدي معك، وتكون..."	التكوين 17/ 4 - 8	47
"لأنك أنت شعب مقدّس للرب إلهك.."	التثنية 7/6 - 8	47
"أنا الذي ترائيت لإبراهيم وإسحق..."	خروج 6/ 3	66
"كلام من سمع أقوال الله ومن..."	العدد 16/24	66
"وكان صوت أجنحة الكروبين...".	حزقيال 10/ 5	66
"اسمعوا واشهدوا على بيت يعقوب..."	عدد 3/ 13	66
"في ذلك اليوم يكون رب القوات....".	أشعيا 28/ 5	66
"أهيه الذي أهيه".	الخروج 3/ 14	66
"لأنك شعب مقدّس للرب إلهك..."	التثنية 14/ 2	71
"إياك قد اختار الرب إلهك لتكون...".	التثنية 7/ 7	73
"فاعلم أن الرب إلهك هو الله الإله الأمين".	التثنية 7/ 9 - 11	73
"فأخذ موسى الدم ورش على الشعب...".	الخروج 8/24	73
"لأنك شعب مقدس للرب إلهك...".	التثنية 7 - 6	73- 74
"وصار الشعب مملكة من الكهنة...".	الخروج 19/ 6	74
"وآخذكم من بين الأمم، وأجمعكم...".	حزقيال 36/ 25، 26	74
"ها أيام تأتي - يقول الرب - وأقطع مع...".	إرميا 31/ 31	74
"وانفصل نسل إسرائيل من جميع...".	نحميا 9/ 2	75

النص	الترقيم	الصفحة
"وأن لا نعطي بناتنا لشعوب الأرض...".	نحميا 10/ 31	75
"إن الأراضي التي تدخلون لتمتلكوها...".	عزرا 9/11	75
"فقام عزرا الكاهن وقال لهم...".	عزرا 9/ 12	76
"كانت تخوم الكنعاني من صيدون".	تكوين 10	78
"لنسلك أعطي هذه الأرض من....".	تكوين 15/ 18 - 20	78
"وكان جوع في الأرض...".	تكوين 26/ 1 - 6	78
"يستعبد لك شعوب...".	تكوين 27	79
"أنا الرب إله إبراهيم أبيك...".	تكوين 28	79
"وقال الرب لموسى: اصعد من هنا..".	الخروج 33/ 1 - 3	79
"وقلت لكم: ترثون أنتم أرضهم..".	الأخبار 20/ 24	79
"وكلم الرب موسى في عَرَبات مُؤاب..".	العدد 33/ 50 - 53	79
"وإذا غويتهم ونحتم لكم تمثالا لصورة...".	تثنية 4/ 25، 26	80، 163
"وإذا رجعتم إلى الرب إلهكم...".	تثنية 3/ 30، 2	80
"وأرش عليكم ماء نقيا فتطهرون...".	حزقيال 36/ 25 - 28	81
"فسكن بنو إسرائيل في وسط...".	القضاة 3/ 5 - 8	81
"بعدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا..".	إرميا 11/ 10 - 13	81
"كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتوني...".	إرميا 20/3	81
"ليس لأجل بِرّك وعدالة قلبك...".	تكوين 9	82
"ولكن يعطيكم الرب نفسه آية...".	إشعيا 7/ 14	126
"وأنت يا بيت لحم أفراتة، وأنت صغيرة".	ميخا 2/5	126
"ها أيام تأتي، يقول الله: أقيم لداود..".	إرمياء 23/ 5	126-127
"سبعون أسبوعا قصيت على...".	دانيال 9/ 24 - 27	127
"ويحدث في آخر الأيام، أن جبل..".	إشعياء 2/ 2 - 4	127
"ويحضرون كل إخوانكم من كل...".	إشعياء 66	129
"وتنبأ أنت يا ابن آدم على جوج...".	إشعياء 39/ 1 - 8	130
"أما أنا؛ فقد مسحت مُلكي...".	مزامير داود 2/ 6	132
"لأن الله قد اختار صهيون...".	مزامير داود 132/ 13	132
"لا تظنوا أني جئت لأنقض...".	إنجيل متى 5/ 17	137
"سيعودون إلى صهيون وهم يغنون...".	إشعياء 10/35	141

فهرس الأعلام المترجم لهم

أبراهام جايجر	115 - 116
أبيقور	97
أحمد نسيم سوسة	63
آرثر بلفور	142
أستير	55
إسحاق بن يعقوب الأصفهاني (أبو عيسى)	107
إسحاق لوريا	111
إسرائيل بن إليعازر (بعل شمطوب)	110
إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي	167
إسرائيل زانجويل	146
باروخ سبينوزا	86
بعل شمطوب = إسرائيل بن إليعازر	
بنيامين بن موسى النهاوندي	106
بولس الطرسوسي	103
تسيفي هاكوهين	111
تيتوس يوسيفوس	101
ثيودور هرتزل	125
جاكي الصباغ	6
جوزيف رينان	103
حاييم الزعفراني	6
حاييم بياليك	76
دافيد بن غوريون	132
سبطاي سوي = شبتاي تسفي	

سليمان بن أدرت الأندلسي	110
شبتاي تسفي	112
شماي	62
صموئيل هولدهايم	116
العزير (عزرا بن شريه)	97
عقيبا بن يوسف	62
عنان بن داود	106، 108
فرانسيس بيكون	21
فيثاغورث الساموني	102
فيلون الإسكندري	101
كاوفمان كولر	116
مارتن بوبر	112
ماكس نوردو	146
مناحم الجليلي	104
موردخاي زيفي = سبطاي سوي	
موسى بن ميمون القرطبي	8، 23، 43، 44، 116، 167
نابوليون بونابارت	142
نسيم بن يعقوب القيرواني	110
يعقوب بن إسحاق القرقساني	105
يعقوب بن يوسف = تسيفي هاكوهين	
يودغان	107

فهرس الأماكن المعرف بها

ابن الله	41، 97
أبوكاليبس	120
الأبيقوريون - الصدوقيون	
الأرض المقدسة	48، 49، 69، 70، 77، 148
أرض الميعاد	5، 15، 42، 52، 69، 74، 76، 79، 83، 99، 119، 131، 132، 142، 144، 14، 148، 156، 158، 162، 164
الإسرائيليون	77، 132، 141، 144، 149
أسفار الأنبياء	54، 58
الأسفار الخمسة	42
الأسينيون	100، 101
أوهام السوق	13، 21
الأيام الأخيرة	124
أيل	66
إيلوهيم	86
بابا	14
البراهمة	102
بروتستانت اليهودية	108
البروتستانتية	122، 140، 155، 156، 158
بعل	87
بني مقرا - القراؤون	
بيوط	115
تابوت الشهادة - تابوت العهد	
تابوت العهد	35، 53
التاريخ اليهودي	14، 15، 29، 30، 31، 32، 134
تجديد العهد مع الرب	128
التلمود	61
التلمود البابلي	62
التلمود الفلسطيني (الأورشليمي)	62

التلموديون	109
الثورة الصناعية	114، 155
جماتريا	
الجمارا	60، 61، 64
جوييم	48
الحاخاميم - الربانيون	
الحصيدية المحدثة	112
الحصيديون	110، 112
الحلولية - الطبقة الحلولية	
الحلولية	48، 85، 94
الخاصية الجيولوجية التراكمية	85
الخطيئة	27
الخلاص	11، 21
الخلاص اليهودي	15، 84
الربانيون	95
روش هاشاناه	131
الزوهار	95
السامريون	90، 91
سانهادرين	86، 98
سفينة العهد - تابوت العهد	35، 53
سيناجوج	99
سيود إبيجريفا	57
شخيناه	113
شداي	66
الشعب الأبدي	71
الشعب الأزلي	71
الشعب المقدس	71، 114
شوفار	131
صباؤوت	66
الصدوقيون - الأبيقوريون	
الصديقية	112
الصهيونية - الفكر الصهيوني	
الصهيونية المسيحية	5، 16، 121، 137، 140، 143، 149، 154، 157

الصهيونية اليهودية	5، 16، 121، 131، 136، 140، 143، 144، 145، 157
الطبقة الحلولية	85، 94
الطوبى - يوتوبيا	
العبرانيون	37، 41، 52، 54، 55، 73، 74، 117، 132، 134
العصر المشيحاني	71، 118، 126
العهد القديم	55
الغنوصية	94
الغيورون	100، 104
الفريسيون	97، 98، 99، 100
الفكر الصهيوني	77، 79، 95، 119، 125، 131، 134، 135
القبالاه	85، 91، 92، 93، 94
القراؤون	105
قنائيم - الغيورون	
القيامة - نهاية التاريخ	
كتب الحكمة والأناشيد	55، 57
كتب القانون	57
الكهنة	26، 52، 67، 68، 74، 94، 104، 117، 161
الكومنويلث اليهودي الثالث	134
الكومونويلث	140
اللاويون	151، 161
الماشيح	25، 27، 91، 100، 101، 104، 109، 118، 125، 126، 131
مخطوطات البحر الميت	102
مخطوطات قمران - مخطوطات البحر الميت	
المخلص	25
المسحوية	124
المسيح المخلص	104، 123، 125، 126، 137، 143، 145، 151، 152، 158، 164
المشناه	61
المشيحانية ،	25، 126
المقابيون - المكابيون	

المكابيون	96
المؤمنين (طائفة)	113
الميللية	143
النبوة عند بني إسرائيل	32، 33
نهاية التاريخ	123
نوطيرقون	94
الهيكل	46، 69
الهيكل المقدس - الأرض المقدسة	
الهيلينية	98، 105
الوصايا العشر	38، 40، 41، 42، 45، 52، 53، 87، 171
يعلى هامقرا - القراؤون	
اليهود	36
اليهود الأرثوذكس	57، 58
يهود الدونمة	112
يهود الفلاشا	88، 144
اليهودية	41
اليهودية الإثنية	88
اليهودية الاستيطانية	88
اليهودية الإصلاحية	87، 88، 108، 114، 116 ، 117، 118
اليهودية التقدمية - اليهودية الإصلاحية	
اليهودية الحاخامية	99، 107، 108، 114، 117
اليهودية العلمانية (الإنسانية)	88
اليهودية اللبرالية - اليهودية الإصلاحية	
اليهودية المعيارية	85
يهودية دفتر الشيكات	88
يهوه	43
يهيه	43
يوتوبيا	120، 121
يودغان	107
يوطوبية - يوتوبيا	
يوم الدينونة - الأيام الأخيرة	

فهرس مصادر ومراجع البحث

قائمة الكتب باللغة العربية:

1- "أبحاث في الفكر اليهودي". تأليف: حسن ظاظا، دار القلم - دمشق، دارة العلوم بيروت الطبعة الأولى سنة 1407/ 1987.

2- "أبو الأنبياء"، ضمن "المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ عباس محمود العقاد" ج11، منشورات دار الكتاب اللبناني - بيروت الطبعة الأولى سنة 1978م.

3- "أطلس الأديان". د. أحمد شلبي: "مقارنة الأديان اليهودية" تأليف: د. أحمد شلبي، منشورات مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، الطبعة الثامنة عام 1988م.

4- "أطلس الأديان: تاريخ، عقائد، انتشار" تأليف: سامي بن عبد الله المغلوث، منشورات "العبيكان للنشر" - الرياض، الطبعة الثانية عام 1430هـ/ 2009م.

5- "الإيديولوجيا الصهيونية" تأليف الدكتور عبد الوهاب المسيري، منشورات عالم المعرفة، الكويت 1982م.

6- "بذل المجهود في إفحام اليهود"، تأليف الحبر السموأل بن يحيى المغربي السبتي، تقديم واعتناء: محمد أحمد الشامي، منشورات مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة، بدون تاريخ.

7- "تاريخ الأمم والملوك" تأليف الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، نشر بدار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الأولى سنة 1407هـ.

8- "تاريخ ابن خلدون"، المسمى: "العبر وديوان المبتدأ والخبر"، تأليف عبد الرحمن ابن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: الأستاذ خليل شحاتة، مراجعة: الدكتور سهل زكار، منشورات: دار الفكر للطباعة، ولنشر والتوزيع - بيروت، طبعة أولى عام 1421/ 2001.

9- "التفسير التطبيقي للكتاب المقدس" التعريب والجمع التصويري، والمونتاج والأعمال الفنية: شركة ماستر ميديا - القاهرة، بإشراف مجموعة كبيرة من رجال اللاهوت الكنسي، والرهبان والقسس.

10- "التلمود: تاريخه وتعاليمه"، تأليف: د. ظفر الإسلام خان، منشورات دار "النفائس" - بيروت، الطبعة الثامنة عام 2002م.

11- "التلمود والصهيونية"، تأليف: أسعد رزوق، منشورات مركز الأبحاث، بيروت 1970م.

12- "التوراة السامرية" مترجمة إلى اللغة العربية، ترجمة الكاهن السامري أبو الحسن إسحاق الصوري، نشرها الكاهن السامري عبد المعين صدقة، بمصر عام 1398/ 1978 بمكتبة الأنصار - القاهرة.

13- "الجامع لأحكام القرآن" تأليف محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، منشورات دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى عام 1418/ 1998.

14- "حياة المسيح" المنشور ضمن "المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ عباس محمود العقاد" ج11، منشورات دار الكتاب اللبناني - بيروت الطبعة الأولى سنة 1978م.

15- "ذكر أسماء الأنبياء عليهم السلام ومعانيها" تأليف حسن بن علي الكتاني. مخطوط.

16- "الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية"، تأليف: الحبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأرشليمي. قدم لها، وخرج نصوصها، وعلق عليها: عبد الوهاب طويلة، طبعة "دار القلم" - دمشق، عام 1410هـ/ 1989م.

17- "صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي" تأليف صامويل هنتنغتون، ترجمة طلعة الشايب، وتقديم د. صلاح قنصوه. الطبعة الثانية عام 1999م.

18- "صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية" تأليف محمد عثمان شبير، منشورات دار النفائس، عمان، 2004م.

19- "صفة التلمود والزوهار في الديانة اليهودية" مقال بقلم أحمد سوسة، منشور بمجلة مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد 1974م.

20- "الفكر الديني الإسرائيلي: أطواره ومذاهبه". تأليف حسن ظاظا، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة 1975م.

21- "الفكر الديني اليهودي: أطواره ومذاهبه" تأليف د. حسن ظاظا، منشورات دار القلم- دمشق/ الدار الشامية - بيروت، الطبعة الرابعة عام 1999م.

22- "القبالة وشفرة التوراة والعهد القديم، خفايا كتاب اليهود السري المقدس، طقوس وحشية وتعاليم جهنمية شيطانية". تأليف الحسيني الحسيني معدي، طبع بدار الكتاب العربي، دمشق- القاهرة، الطبعة الأولى عام 2007م.

23- "القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى" تأليف د. سفر الحوالي. منشورات مكتبة السنة، الدار السلفية لنشر العلم- القاهرة، طبعة عام 1414هـ/ 1993م.

24- "قراءات معاصرة في العقيدة اليهودية"، تأليف عدنان عبد الرزاق الربيعي، منشورات دار النفائس للنشر والتوزيع - عمان/ الأردن/ دار الفجر للنشر والتوزيع - بغداد، الطبعة الأولى عام 1432هـ/ 2011م.

25- "القطاع الخيري ودعوى الإرهاب" تأليف: محمد بن عبد الله السلومي، طبع الرياض من غير اسم الناشر، سنة 1424هـ.

26- "كتاب "الإنجيل" كيف كتب وكيف وصل إلينا" تأليف: القمص عبد المسيح بسيط أبو الخير. منشورات مطبعة المصريين- القاهرة الطبعة الأولى عام 1994م.

27- "الكنز المرصود في قواعد التلمود" تأليف: د. روهلنج - شارل لوران. ترجمة: الدكتور يوسف حنا نصر الله. دراسة وتقديم: الحسيني الحسيني معدي. منشورات كنوز للنشر والتوزيع - القاهرة، عام 2008م.

28- "لسان العرب" تأليف: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، منشورات دار صادر - بيروت عام 2003.

29- "مدعوا نبوءة صدام الحضارات وحرب الإرهاب"، تأليف ريتشارد بوني، ترجمة فاطمة نصر، منشورات "سطور" - القاهرة، عام 2008م.

30- "المسيح اليهودي ونهاية العالم: المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا" تأليف: رضا هلال. مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الثانية عام 1425هـ/ 2004م القاهرة.

31- "مفصل العرب واليهود في التاريخ" تأليف أحمد سوسة، ط5، بغداد 1981م.

32- "مقدمة لدراسة الفكر العبري الوسيط" تأليف أحمد الجداد، تقديم: الحاخام جاكي الصباغ، طبع بمطبعة Safi Graphe بمدينة آسفي بالمغرب عام 2010.

33- "الملل والنحل"، تأليف أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: أبي محمد محمد بن فريد، منشورات المكتبة الوقفية - القاهرة، الطبعة الأولى سنة 2003م.

34- "من هم اليهود، وما هي اليهودية؟، أسئلة الهوية وأزمة الدولة اليهودية" تأليف الدكتور عبد الوهاب المسيري، الطبعة السادسة دار الشروق - القاهرة، عام 2009م.

35- "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة"، إشراف وتخطيط ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني، منشورات دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الرابعة عام 1420هـ/ 2000م.

36- "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" (الكبير) تأليف الدكتور عبد الوهاب المسيري، نسخة إلكترونية.

37- "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" تأليف الدكتور عبد الوهاب المسيري، منشورات دار الشروق - القاهرة، الطبعة الخامسة عام 2009م.

38- "نقد الدين اليهودي"، تأليف جميل خرطبيل، منشورات صفحات للدراسات والنشر، الطبعة الثانية - دمشق سنة 2007م.

39- "نهاية التاريخ والإنسان الحديث" تأليف فرنسيس فوكوياما، ترجمة حسين أحمد أمين، منشورات مركز الأهرام للترجمة والنشر - القاهرة، عام 1413هـ/ 1993م.

40- "الواقع الاجتماعي والاقتصادي الإسرائيلي وأثره في الفكر الاستراتيجي". تأليف: "آلاء طالب خلف. رسالة ماجستير، رسالة غير منشورة مقدمة إلى كلية بغداد عام 2006م.

41- "يهود الأندلس والمغرب" تأليف: حاييم الزعفراني، ترجمة وتقديم الدكتور أحمد شحلان، منشورات "مرسم الرباط"- الرباط، الطبعة الأولى عام 2000م.

42- "اليهودية والمسيحية". محمد ضياء الدين الأعظمي، المدينة المنورة، 1988م.

43- "اليهودية واليهودية المسيحية"، تأليف: فؤاد حسنين علي، منشورات جامعة الدول العربية - القاهرة، الطبعة الأولى سنة 1968م.

قائمة المقالات والمواقع الإلكترونية:

44- "حكمة القبالا": http://www.kabbalah.info. موقع إلكتروني.

45- "رؤية جديدة للأصول المسيحية واليهودية - المسيحية" مقال للكاردينال دانيلو، نشر بمجلة "دراسات" الفرنسية، في ديسمبر 1967م.

46- "صنعت خلاصا" تأليف: القمص زكريا بطرس، كتاب إلكتروني.

47- "عقائد الجماعات اليهودية" مقال بقلم الدكتور عبد الوهاب المسيري، منشور بجريدة"الاتحاد" الإماراتية بتاريخ 2007/12/22م.

48- "العقيدة الصهيونية" مقال بقلم: خديجة الجودر. منشور بجريدة "أخبار الخليج" عدد26/7.

49- "قاموس الكتاب المقدس" تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص

اللاهوتيين، كتاب إلكتروني.

50- "مفهوم الخطيئة والمسائل المطروحة حوله" تأليف المطران يوسف أنيس أبي عياد، مقال منشور بالموقع للإلكتروني لـ: "جمعية التعليم المسيحي بحلب".

51- "موسوعة الأديان" موقع: Jawwad.org.

52- "الموسوعة الحرة"، موقع إلكتروني بعدة لغات عالمية:

http://ar.wikipedia.org ،http://en.wikipedia.org.

53- "الموسوعة المعرفية الشاملة" موقع إلكتروني:

http://mousou3a.educdz.com.

54- http://lahodod.blogspot.com.

55- http://sh.rewayat2.com.

قائمة المراجع باللغات الأجنبية:

56- Barnstone, Willis; Meyer, Marvin (2003). The Gnostic Bible. Shambhala Books. pp. 880. ISBN 1-57062-242-6.

57- Dictionnaire des symboles. By Jean and Gheerbrant, Alain Chevalier. Publisher: Éditions Robert Laffont/ JUPITER 1982.

58- Franz Kobler, Napoleonand the Jews, New york, 1975.

59- Martin Luther, Saennthiche Werke, Vol.29,pp.7,46. R.H.Bainton, Here I stand: A life of Martin Luther, New York, Abingdon Cokes bury press, 1920. R.H.Bainton, The Reformation Of The Nineteenth Century, Boston, The Beacon press, 1920.

60- Richard H.Porkin and Gordon M.Weiner: "Jewish Christians and Christian Jews; from the renaissance to the enlightenment", Dordecht, Kluwer Academic Publishers, 1994.

61- The new standard jewish encyclopedia, Jerusalem, &1977.

فهرس المحتويات

تمهـيد 3
المقدمة 21
المبحث الأول : مفهوم "الخلاص" بين الديانات السماوية الثلاث 21
المبحث الثاني : مفهوم مصطلح "المخلص" 25
المبحث الثالث : مفهوم "الماشيَّح" و"المشيحانية" 25
المبحث الرابع : مفهوم "الخطيئة" 27
الفصل الأول/ مفهوم "الخلاص" في الديانة اليهودية 29
المبحث الأول : مفهوم "التاريخ اليهودي" 30
المبحث الثاني : النبوة عند بني إسرائيل 32
المبحث الثالث : المحنة عند بني إسرائيل 35
المبحث الرابع : التعريف بالديانة اليهودية 36
المبحث الخامس : تحرير مفهوم "الخلاص" في اليهودية 42
الخلاصة 49
الفصل الثاني/ إشكاليات متعلقة بمفهوم "الخلاص" اليهودي 51
المبحث الأول : إشكالية تدوين "العهد القديم" 52
استطراد : التلمود 59
المبحث الثاني : إشكالية تطبيق "الشريعة اليهودية" وبناء "الهيكل" 64
أهمية "الهيكل" وارتباطه بتطبيق الشريعة 68
المبحث الثالث : إشكالية فكرة : "شعب الله المختار" 71
المبحث الرابع : إشكالية "أرض الميعاد" 76
الخلاصة 82
الفصل الثالث/ أثر مفهوم الخلاص اليهودي في تكون الطوائف اليهودية 84
أ - المبحث الأول : السامريون 90
ب - المبحث الثاني : القبّالاه 91
ج - المبحث الثالث : الربانيون (الحاخاميم) 95
د - المبحث الرابع : الصدوقيون 96
هـ - المبحث الخامس : الفريسيون 98

و - المبحث السادس : الأسينيون 100
ز - المبحث السابع : الغيورون (قنّائيم) 104
ح - المبحث الثامن : القراءون..... 105
ط - المبحث التاسع : التلموديون..... 109
ي - المبحث العاشر : الحصيديون..... 110
ك - المبحث الحادي عشر : يهود الدونمة Dnmeh 112
ل - المبحث الثاني عشر : اليهودية الإصلاحية/ العصرية Modern Judaism 114
الخلاصة 118
الفصل الرابع/ أثر مفهوم الخلاص في مفهومي "نهاية التاريخ" و"المخلص" عند اليهود..... 120
المبحث الأول : نهاية التاريخ The End of History 120
المبحث الثاني : المشيحانية في الفكر اليهودي..... 123
المطلب الأول : أصل فكرة "المشيحانية" من العهد القديم..... 126
المطلب الثاني : مهمة المسيح في "العهد القديم"..... 127
المبحث الثالث : "الفكر الصهيوني" Zionism..... 131
1 - المطلب الأول : الصهيونية المسيحية 137
2 - المطلب الثاني : الصهيونية اليهودية 144
الخلاصة 148
الفصل الخامس/ موقف المسيحية والإسلام من مفهوم "الخلاص" اليهودي 150
المبحث الأول : مقارنة بين مفهومي "الخلاص" عند اليهود والنصارى 151
المبحث الثاني : مقارنة بين مفهومي "الخلاص" عند اليهود والمسلمين 158
الخلاصة 166
الخاتمة هل يمكن أن يساهم مفهوم "الخلاص" في السلم العالمي؟ 169

فهارس البحث

فهرس الآيات القرآنية 177
فهرس نصوص "الكتاب المقدس"..... 178
فهرس الأعلام المترجم لهم..... 180
فهرس الأماكن المعرف بها..... 182
فهرس مصادر ومراجع البحث 186
فهرس المحتويات..... 191